دروس في المعارف الإسلامية
٢

معرفة الإمام

تأليف

سماحة العلامة آية الله السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

المجلد الأول

ترجمة السيد محمد مسعود الحسيني المرندي

دار الحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحیم

هُوَ العَزیز

إمام شناسی

بحث های تفسیریّ ، فلسفیّ ، روائیّ ، تاریخی ، اجتماعی

در بارهٔ إمامت وولایت بطور کلّی

ودر بارهٔ إمامت وولایت أمیرالمؤمنین علیّ بن أبیطالب

وأئمّهٔ معصومین سلام الله علیهم أجمعین بالخصوص

درس های استدلالی علمیّ متّخذ از قرآن کریم

وروایات وارده از خاصّه وعامّه ؛ وابحاث حلّی ونقدی

پیرامون ولایت

لمؤلّفه الحقیر :

سیّد محمّد حُسَین حسینیّ طهرانیّ

عُفِیَ عَنه

هو العزيز

معرفة الإمام

بحوثٌ تفسيريّةٌ ، فلسفيّةٌ ، روآئيّةٌ ، تاريخيّةٌ ، اجتماعيّةٌ

حَوْلَ الإمامةِ والولايَةِ عُمُوماً ؛

و حَوْلَ إمامةِ و ولايةِ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالبٍ

و الأَئِمَّةِ المعصومينَ سلامُ الله عليهم أجمعين

خصوصاً

دُروسٌ استِدلاليّةٌ و علميّةٌ مُتّخَذةٌ من القرآنِ الكريم

وروايَاتٌ مأْثورةٌ عن الخاصَّةِ والعامَّةِ ؛ وأَبحاثٌ حَلّيَّةٌ ونَقدِيَّةٌ

حَوْلَ الوِلايَةِ

لمؤلّفه الحقير

السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

عُفِيَ عنه

الفهرس

فهرس المطالب و الموضوعات

معرفة الامام

المجلّد الأوّل

المطالب | الصفحة

المقدّمة المؤلّف : من الصفحة ٣ إلى الصفحة ٥

الدرس الأول

عصمة الأنبياء و الأئمّة عليهم السّلام

من الصفحة ٩ إلى الصفحة ٢٤

يشمل الموضوعات التالية :

الإختلاف الأساسى بين الشيعة و السنّة ١١

ءايات القرءان تدلّ على ثلاث مراحل من عصمة الأنبياء ١٥

مناظرة هِشام بن‌الحكم مع‌عمروبن‌عبيد فى لزوم وجودالإمام فى المجتمع ١٩

بكاء جميع الموجودات فى عزاء شهادة سيّد الشّهداء ٢٣

الدرس الثانى :

بيان أصل الوراثة فى العصمة

من الصفحة ٢٧ إلى الصفحة ٤٥

يشمل الموضوعات التالية :

اصل الوراثة من السنن الإلـهيّة غير القابلة للتغيير ٢٩

المطالب	الصفحة
شمول قانون الوراثة للمعنويّات و الأسرار الإلهيّة	٣١
انتقال النور الإلهى والحقيقة المحمّدية بعد النبىّ الأكرم إلى أميرالمؤمنين	٣٣
كلام الهاتف لآدم فى انتقال النور الإلهىّ منه إلى الأئمّة عليهم السّلام	٣٥
تفسير ءاية « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا »	٣٧
من هم المعنيّون بـ(عباداللَه المصطفين الذين ورثوا الكتاب)	٣٩
روايات علماء أهل السنّة المشهورين فى مقام أميرالمؤمنين عليه السّلام	٤١
مضامين زيارة السيّد الشّهداء عليه السّلام فى الأول من رجب	٤٥

الدرس الثالث :

فى امتيازات العباد الـمصطفين

من الصفحة ٤٩ إلى الصفحة ٦٦

يشمل الموضوعات التالية :

عباد اللَه المخلصون يمكنهم حمداللـه كما يليق بشأنه	٥١
عدم منافات هذا المقام مع جملة (مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ)	٥٣
عباداللَه المخلصون مصانون عن المعصية	٥٥
المراحل الثلاث لعصمة الأنبياء	٥٧
مقام أميرالمؤمنين عليه السّلام	٥٩
فاطمة بنت أسد أمُّ أميرالمؤمنين	٦١
كيفيّة ولادة أميرالمؤمنين عليه السّلام فى الكعبة	٦٣
تسمية أميرالمؤمنين عليه السّلام	٦٥

الدرس الرابع :

المطالب الصفحة

لزوم عصمة الأنبياء و الأئمّة عليهم السّلام

من الصفحة ٦٩ إلى الصفحة ٨٣

يشمل الموضوعات التالية :

الصفات المعتدلة للإنسان ٧١
اثبات عصمة المقرّبين من اللَه من القرءان الكريم ٧٧
عصمة أميرالمؤمنين عليه السّلام ٧٩
ردّ أميرالمؤمنين عليه السّلام على اعتراض فاطمة عليها السلام ٨٣

الدرس الخامس :

العصمة أمرٌ موهبيّ

من الصفحة ٨٧ إلى الصفحة ١١٠

يشمل الموضوعات التالية :

قوّة العصمة فى الأنبياء حاكمة على وجودهم فى جميع الأحوال ٨٩
عصمة أميرالمؤمنين عليه السّلام ٩١
ءاية الإنذار و حديث العشيرة ٩٣
صحّة سند حديث العشيرة ٩٥
حديث العشيرة عند المستشرقين ٩٩
جنايات الطبرى فى نقل حديث العشيرة ١٠١
إقتران الولاية مع التوحيد و الرسالة ١٠٥
أميرالمؤمنين هو الناصر و المعين للنبيّ الأكرم فى جميع مراحل الرسالة ١٠٧

الدرس السادس :

المطالب الصفحة

عصمة الأنبياء لا تـتنافي مع اختيارهم فى فعل أفعالهم

من الصفحة ١١٣ إلى الصفحة ١٣٨

يشمل الموضوعات التالية :

مَلَكة العصمة لا توجب جعل الأفعال اضطراريّة ١١٥

بناء أساس عالم الوجود مبنى على اختلاف الموجودات ١١٩

كمال كلّ موجود فى فعليّة قابليّة ذلك الموجود ١٢٣

الأنبياء كانوا عالمين و مختارين فى جميع أفعالهم ، المعجز منها

و غير معجز منها ١٢٥

إعطاءملكة العصمة أميرالمؤمنين للأنبياء ليس للأخرين،ودلالة كلامابن سينا

على ذلك ١٢٧

إثبات عصمةأميرالمؤمنين عن طريق اتّحادنفسهمع نفس رسول اللَه ١٢٩

قصّة ليلة المبيت و إيثار و تضحية أميرالمؤمنين لرسول اللَه ١٣١

نزول ءاية (**و إذ يَمْكُرُبِكَ الَّذينَ كَفَرُوا**..) فى ليلة المبيت ١٣٥

مباهاة اللَه ملائكته بإيثار أميرالمؤمنين رسول اللَه بنفسه ١٣٥

أشعار أميرالمؤمنين فى ليلة المبيت حسب رواية ابن عبّاس ١٣٧

الدرس السابع :

منصب الإمامة أعلي من منصب النبوّة

من الصفحة ١٤١ إلى الصفحة ١٥٣

يشمل الموضوعات التالية :

إعطاء منصب الإمامة لإبراهيم كانت زمن شيخوخته ١٤٣

إعطاء مقام الإمامة لإبراهيم عليه السّلام كان بعد نبوّته ١٤٥

المطالب	الصفحة
هداية الموجودات على يد الإمام	١٤٧
تحقّق أميرالمؤمنين بمقام الإمامة و الولاية	١٤٩
حديث أنس فى ولاية أميرالمؤمنين	١٥١
مكر قريش بأميرالمؤمنين	١٥٣

الدرس الثامن :

الولاية التكوينيّة للإمام بإذن اللَه علي نفوس السعداء و الاشقياء

من الصفحة ١٥٧ إلى الصفحة ١٧٥

يشمل الموضوعات التالية :

الإمامة هى الهيمنة على عالم الأمر	١٥٩
يجب أن يكون لدى الإمام قوّة ملكوتية فى الأمور	١٦١
معنى الروايات الواردة فى لنّ عليًّا قسيم الجنّة و النّار	١٦٣
تفسير الإمام الرضا عليه السّلام فى مجلس المأمون فى لنّ عليًّا قسيم الجنّة و النّار	١٦٥
معنى « الوسيلة » فى رواية النبىّ الأكرم	١٦٧
المعانى المختلفة لـ(علىّ قسيم الجنّة و النّار)	١٦٩
الولاية تُظهر السرائر السليمة و السيّئة	١٧١
أشعار السيّد الحميرى و دعبل الخزائى فى رواية « علىٌّ قَسيمُ الجَنَّةِ و النّار »	١٧٣
رواية عمّاربن‌ياسرعن رسول اللَه فى ولاية أميرالمؤمنين عليه السّلام	١٧٥

الدرس التاسع :

المطالب الصفحة

فى معني الولاية التكوينيّة

من الصفحة ١٧٩ إلى الصفحة ١٩٣

يشمل الموضوعات التالية :

زوال عالم اليقظة عند النوم ، و بالعكس ١٨١

تحقيق فى معنى الصراط ١٨٣

رواية (**لاَ يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إِلَّا مَن كَتَبَ لَهُ عَلِيٌّ الجَوازَ**) بالطرق المختلفة ١٨٥

كلام المرحوم العلّامة العسكرى فى رواة هذه الرواية من العامّة ١٨٧

توضيح معنى الرواية المذكورة ١٨٩

فى أشعار السيّد الحِمْيَرى ١٩١

مدح أميرالمؤمنين عليه السّلام لقبيله همدان اليمنيّيــن فى صفّين ١٩٣

الدرس العاشر :

لزوم الإمام الحىّ لتمتّع القلوب

من الصفحةُ ١٩٧ إلى الصفحة ٢١٤

يشمل الموضوعات التالية :

قلب الإمام مركز إفاضة العلوم ١٩٩

الشيعة تعتبر أساس تعاليم الإسلام قائم على الإمامة ٢٠١

حقيقه الأنهار الجارية فى الجنّة ٢٠٣

الأنهار الأربعة الجارية فى الجنّة : أنهار الماء ، اللبن ، الخمر، والعسل المصفّى ٢٠٥

نهر الزنجبيل و عين الكافور ٢٠٧

المطالب	الصفحة
عين التسنيم تجرى تحت أقدام أميرالمؤمنين	٢٠٩
ساقى الحوض الكوثر	٢١١
أشعار السيّد الحميرى فى حوض الكوثر و ساقيه	٢١٣

الدرس الحادى عشر :

معني وحي الخيرات إلي الأئمّة

من الصفحة ٢١٧ إلى الصفحة ٢٣١

يشمل الموضوعات التالية :

وحى الخيرات إلى الأئمّة	٢١٩
تحقق الشرائط الإمامة	٢٢١
ثورة زيدبن علىّ بن الحسين لم يكن بأمر من الإمام	٢٢٢
الرواية فى اتّحاد نفس الرسول الأكرم مع نفس أميرالمؤمنين	٢٢٥
الخصال الموجودة فى أميرالمؤمنين	٢٢٧
رفع الشبهة فى أنّ خصائص مقام الولاية منافية لقدرة اللّه تعالى	٢٢٩
مقام الولاية هو ظهور الصفات و الأسماء الإلهيّة	٢٣١

الدرس الثانى عشر :

الهداية إلى الحقّ تلزم للعصمة

من الصفحة ٢٣٥ إلى الصفحة ٢٤٩

يشمل الموضوعات التالية :

لزوم اتّباع الحقّ	٢٣٧
لزوم اتّباع الإمام المعصوم مبنى على أصل لزوم اتّباع الحقّ	٢٣٩

المطالب	الصفحة
روايات أهل السنّة فی معيّة علیّ للحقّ و الحقّ لعلیّ	٢٤١
تذاكر علقمة و الأسود و أبی أيّوب الأنصاری فی خلافة علیّ	٢٤٣
رواية ابن عبّاس فی معيّة علیّ للحقّ و الحقّ لعلیّ	٢٤٥
سبب مخالفة المعاندين لخلافة أميرالمؤمنين عليه السّلام	٢٤٧
إعتراف عُمر بمقام أميرالمؤمنين فی روايات أهل السنّة	٢٤٩

الدرس الثالث عشر:

معني هداية الأئمّة ، و شرائط الهادی إلي الحقّ

من الصفحة ٢٣٥ إلی الصفحة ٢٧٤

يشمل الموضوعات التالية :

الإمام يجب أن يكون مهتديًا إلی الحقّ ، و فی ذلك شروط ثلاثة	٢٥٥
سبع مسائل من أُمّهات مسائل الإمامة	٢٥٧
الإمام يجب أن يكون معصوماً حتمًا و مؤيّدًا من قبل اللـه تعالی	٢٥٩
أفضليّة الإمام علی أفراد البشر فی الملكات النفسانيّة	٢٦١
روايات « عَلِیٌّ خَيْرُ البَشَرِ »	٢٦٣
بيانات جبرئيل فی هيئة دحية فی أمر ولاية أميرالمؤمنين	٢٦٥
إظهار أبی بكر ندمه من الخلافة	٢٦٧
خمسة إشكالات علی خطبة أبی بكر	٢٦٩
تأسف أبی بكر عند موته علی تسعة أمور	٢٧٣

الدرس الرابع عشر :

لزوم اتّباع الاعلم

المطالب الصفحة

من الصفحة ٢٧٧ إلى الصفحة ٢٩١

يشمل الموضوعات التالية :

تحقيق فى معنى كلمة لاَ إلَهَ إلَّا اللَه ٢٧٩
الإمام يجب أن يكون أعلم أفراد الأمّة ٢٨١
عاقبة أمر كلّ أمّة تولّى أمرها رجلاً و فيهم أعلم منه سيؤول الى السَفال و الفساد ٢٨٣
أميرالمؤمنين كان أعلم الأمّة ٢٨٥
إعتراف عمر بأعلميّة أميرالمؤمنين عليه السّلام ٢٨٧
تأسّف ابن‌عبّاس من منعهم الإتيان بالصحيفة إلى‌رسول اللَه عند ارتحاله ٢٨٩
منع عمر من الإتيان بصحيفة و دواة لرسول اللَه ٢٩١

مُقَدِّمَةُ المُؤَلِّفِ

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

حمداً أزليّاً و ثناءً لا ينفد و لا يتناهى مختصّاً باللَه عزّوجلّ ، الذى أوجد بحكمته البالغة عالم الخلقة من كَتْمِ العدم ، و خلع عليه رداء الوجود ، و اختار بنى ءادم من بين تلك العوالم بجامعيّة منطق العقل و الإحساس ، فشرّفهم لذلك بشرف التكليف و المسؤوليّة و الإلتزام .

وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنى ءَادَمَ وَ حَمَلْنَهُمْ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَتِ وَ فَضَّلْنَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً .

و سلاماً لا حدَّ له ، و تحيّةً و إكراماً لا حصر له ، لقادة تربية البشريّة الذين جعلوا ـ بنشرهم لواء الحمد الإلهىّ ـ النورَ الساطع للإيمان و الإيقان متجلّياً فى قلوب أفراد البشر ، و الذين أشعلوا فى كيان الأرواح مشعل التوحيد و الولاية ، ليمكّنوا البشرَ أصحاب النفوس الهيولانيّة و القوة و القابليّة غير المحدودة فى طريق التمكين بالحقّ . و خاصّةً خاتم النبيّين **مُحَمَّد بن عَبْدِاللَه** و وصيّه الكريم سيّد الوصيّين **عَلىّ بن أَبى طالب** صلوات اللَه عليهما ، حاملا لواء الحمد و حائزا مقام الشفاعة الكبري ، **وايئمّة المعصومين** ، لا سيّما بقيّة اللَه فى الأرضين **الحُجَّة بن الحسن العسكرى** عجّل اللَه تعالى فرجه الشريف ، الذين كانوا المظهر التام للأسماء الالهيّة : الجماليّة و الجلاليّة ، و الأيات الكاملة لأنوار الأحديّة و الواحديّة ، و المرايا الكبرى للحقّ ، و الخلفاء العينيّين للبارى تعالى شأنه العزيز ، و واسطة الفيض و إشراق النور الأزلى على هياكل الوجود و ماهيّات

الإمكانية .

اولئك الذين كـانوا فى الولايـة التكوينيّـة مـرءاةً تامّـة للجمـال الالـهى و الـجلال الأزلى، و اللؤلؤ الـمنير الـمفيض لنور الأحدية على عالـم ما سـواهم؛ و فى الولاية التشريعيّة باب الشريعة و منـهلَ الإلـهام ، و الأخـذَ للأحكـام مـن مصدر التشريع و الـحقائق .

و باعتبار انّ مسألة الإمامـة و الولايـة مـن أهـمّ الـمسائل الـحياتيّة ؛ و باعتبار ان جـميع جهات القابليّات الإنسانيّة ستقوى و تنمـو ـ بـمعرفة هـذه الـحقيقة ـ فى مدارج الكمال و معارجه ، بينما سيسبّب الـجهل بـهذه الـحقائق و عدم اتّباعـها حـرفَ القابليّـات و الإمكانـات و جعلـها تنصـبّ فـى مسـير الإنـحراف ، و فـى اضـمحلالـها فى الـمستنقعات العفنة للماديّات و الشـهوات .

لذا فقد منّ اللّه تبارك و تعالى على هـذا الـحقير ، ليقـوم فى ايّـام شـهر رمضان الـمبارك لسـنة ألـف و ثلاثـمائة و واحـد و تسـعين هجريّـة قمريّـة ببحث و مناقشة مسألة الإمامـة و الولايـة مـع جـمع مـن الأخلّـاء الروحيّـين و الإخوة الإيـمانيين .

و قـد تقـرّر ان يكـون أسـاس البحـث قائمـاً علـى الأيـات القرءانيّـة . و لأهـميّة الـموضوع بالنسبة للاخوة من أهل السنّة ، فقد تقـرّر الاسـتفادة مـن فنّ الـجدل ، و النقل من روايات و تواريخ العامّة ، مع الاسـتفادة إجـمالاً مـن روايات الـخاصّة كذلك .

و كان متصوّراً انّنا سنستطيع انهاء دورة كاملة مـن هـذا البحـث فى شـهر رمضان الـمبارك ، الاّ انّ الشهر قد تصرّم، و لـم يـجرِ بيان أكثر من سُدس مـمّا كان فى النيّة بيانه ، بالرغم من انّه قد جرى كـلّ يـوم الكـلام و البحـث الوافـى فى الأمر .

و كان من الألطاف الـسنيّة للخـالق اللطـيف انّ التوفيق قد شـملنـى فـى

نفس شهر رمضان ، لأقوم فی المنزل بکتابة و جمع مذاکرات البحث .

ثم انقضت سنواتٌ أربع علی هذا الأمر حُرمتُ خلالها من جمع مسائل الإمامة ـ بشکل منّظم و مرتّب طبعاً ـ حتّی شملتنی من جدید الألطاف الخفیّة للَه عزّوجل فی شهر رمضان المبارك لسنة ألف و ثلاثمائة و خمس و تسعین ، فاستأنفنا البحث السابق فی أیام الشهر مع الأعزاء الإیمانیّین و الإخوة الروحانیّین ، فتمّ الی نهایة الشهر مناقشة و تدوین سُدس ءاخر من البحوث ، فصار مجموع ما جری بحثه و کتابته فی شهری رمضان هذین ثُلث ما فی نظرنا .

وها نحن نقدّم مجموع هذه الکتابات التی جُمعت فی مجلدّات أربعة لمطالعة أصحاب النظر و البصیرة .

و الأمل أن یوفّقنا اللَهُ جلّت أسماؤه لبحث و تحریر باقی الأبحاث ، بمحمّدٍ و ءاله الطّاهرین . و سیکون تمام هذه الأبحاث فی حدود اثنی عشر مجلّداً تشکلّ قسم « معرفة الإمام» من **دورة العلوم و المعارف الإسلامیّة** ، حیث سیتمّ تدوینها و تحریرها فی هیئّة دروس سیکون مجموعها فی حدود مائة و ثمانین درساً .

و باعتبار أنّ هذه الدروس ستکون فی خصائص الإمام و شروط القیادة و الزعامة و الحکومة ، و فی لزوم العصمة للأئمة الطاهرین سلام اللَه علیهم أجمعین ؛ فانّه سیجزی البحث و المناقشة ـ ضمناً ـ فی شرائط النبوّة و لزوم العصمة و ءاثار و خواصّ الأنبیاء أیضاً . و فی الحقیقة فانّ هذا البحث بحث کامل و شامل یشمل أیضاً البحث فی النبوّة العامّة و یُغنینا عن ایراد بحث مستقلّ لها .

نشکر اللَه سبحانه الذی منّ علینا بهذه الموهبة لنسعی فی هذه البحوث قدر الوسع ، و فی حدود ظرفیّة الحقیر البسیطة ، و لنقدّم مجّاناً

ماجاء فى الأبـحاث و الـــمطالعات و الدراســات و الـــمذاكرات فى طبـق اخلاص ، فنضعه فــى مرأى و منظر من اخوتى و نظرائى فى الإنسانية .

فَلِله الْحَمْدُ وَ لَهُ الشُّكرُ و ءاخِرُ دَعْوَانَا أن الْحَمْدُ لِلَهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ ؛ وَ صَــلَّى اللَهُ عَــلَى مُحَــمَّدٍ وَ ءاله الــطَّاهِرين .

السـيّد مـحمّد الـحُسين الـحسينـىّ الطهرانىّ

الدّرسُ الأوّلُ

عِصمةُ الأنبياءِ والأئمّةِ عليهمُ السّلامُ

بسم اللَه الرّحــمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على مــحمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجــمعين من الآن إلــى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة إلاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الـحكيم فــى كتابه الكريــم :

كَانَ النّاسُ أُمّةً وَ حِدَةً فَبَعثَ اللَهُ النّبِيّنَ مُبَشّرِينَ وَ مُنذِريــنَ وَ أَنْــزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَبَ بِالْحَقّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَــا اخْتَلَــفَ فِيــهِ إِلّا الّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَتُ بَغْيًا بَيْنَــهُمْ فَــهَدَى اللَــهُ الَّذِيــنَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقّ بِإِذْنِهِ وَ اللَهُ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ إِلَــى صِــرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . [1]

أساس الاختلاف بين الشيعة و السنّة:

انّ أساس الاختلاف بين الشيعة و السنّة ينحصــر فــى مسـألة الولايــة ، فالشيعة يقولون انّ الامام يــجب أن يكـون معصومـاً و مُنصّبـاً مـن قبـل اللَـه سبحانه و تعالـى ، بينما يقول السنّة انّ العصمة ليست مــن شـرائط الإمـام ، وأنّ الناس بإمكانهم أن يختاروا إماماً لهم فيتّبعوه .

أمّـا بقيّـة الــمسائل الــمُختلف عليـها بـين هذيـن الفريقـين فمتفرّعــة بأجـمعها عـن ذلـك الأصـل و تابعـة له ؛ لأنّ أرضـيّة الاخـتلاف فـى الأساس

١ـ الأية ٢١٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

(و الاصل) لابدّ أن تؤدّى الى اختلافات كثيرة فى الفروع ، امّا لو انتفى الاختلاف فى الأساس ، فاتّحد هذان الفريقان فى المرام و المذهب ، فانّ الاختلافات فى الفروع ستنتفى بدورها و تتبع الأصل فى الوحدة .

و سنناقش هذه الأيّام بعون اللَه و بالاستعانة بأرواح الطيّبين و أولياء اللَه أساس هذه المسألة ، و سنبيّن شرائط الإمام من خلال كتاب اللَه و النصّوص الصريحة التى و ردت عن رسول اللَه صلى اللَه عليه و ءاله ، **بِحَوْلِ اللَهِ وَ قُوَّتِهِ وَ لاَ حَوْلَ وَ لاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَهِ الْعلِىّ الْعظِيم** . و سنذكر شاهداً و مثالاً كمقدّمة من أجل توضيح هذا المعنى قبل الاستدلال بالأية التى وردت فى مطلع البحث .

الإمام بمنزلة القلب فى جسم الإنسان:

هناك فى جسم الإنسان أجهزة متنوّعة و مختلفة يؤدّى كلٌّ منها وظيفةً خاصّة ، فالعين وظيفتها النظر ، و الأذن وظيفتها السّمع ، و الأنف للتنفّس و الشمّ ، و اللسان للتذوّق و الكلام ، و اليد للأخذ و العطاء ، و الرجل للمشى ؛ و كلّ هذه الأعضاء تسعى دائبةً لتنفيذ وظيفتها ، الاّ انّها ـ من وجهة نظر الحياة الماديّة ـ تستمدّ قوّتها من القلب .

ثمّ انّ القلب يضخّ الدم الى جميع أعضاء الجسم و جوارحه ، فيمدّها فى كلّ لحظة بحياةٍ جديدة ، و يبقيها ـ بهذا العمل ـ فى نشاط مستمرّ و حياة دائمة . و لو حدث أن توقّف القلب للحظة واحدة و تخلّي عن مسؤوليّته ، لأُصيبت تلك الأعضاء و الجوارح الحيّة و النشيطة بالموت و الفناء و لتعطّل دورها ، فتفقد العينُ رؤيتَهَا ، و الأذنُ سمعَها ، و اليدُ حركتها ، كما تُشلّ الرِّجلُ و تفقد الإحساس .

و بناءً على هذا فانّ فائدة القلب هى الإشراف و الزعامة و إيصال الحياة الى كافّة أعضاء الجسم التى تخضع لإشرافه ، و لا يمكن لأحد ان

يُنكر حاجتنا للقلب بحجّة انّ القلب لا يعمل شيئاً لأنّه لايرى و لايسمع و لايتكّلم و لايكتب و لا ... و لا ... .

و بحجّة انّ لنا عيناً نرى بها، و أذناً نسمع بها، و لساناً نتكلّم به ، و يداً نكتب بها . فهذا الكلام خاطئ و لا محلّ له ، لأن العين و الأذن و اللسان ميّتة بدون القلب لا دور لها و لا عمل ، و انّما وجد ذلك الإبصار فى العين ، والسمع فى الأذن بسبب قوّة القلب .

انّ العين تتعرّض فى كلّ لحظة لألاف الأفات و حالات الفساد الخارجيّة ، و الأمر كذلك بالنسبة للأذن و لسائر الأعضاء الأخرى ، لكنّ القلب لا يَفتُر لحظةً عن المراقبة و الدفاع و إيصال الدم كطعام و دواء من أجل دفع الاعتداءات الخارجيّة و موجبات الفساد الأخرى و الميكروبات المهلكة . لذا فانّ العين و الأذن تعيشان تحت ولاية و سلطان القلب الذى يمثّل الجهاز المنظّم لعمل تلك القوى ، و الذى يمدّ سائر أعضاء الجسم بالحياة .

امّا من الناحية المعنوية ، فانّ المخّ هو الذى ينظّم عمل هذه القوى و الأعضاء ، فالعين ترى فقط ، اى انّه اثر انعكاس النور فانّ صورةً للشئ المرئى ستنعكس فى شبكيّتها ، امّا ماهيّة هذا الصورة و ما الذى سنفعله بها ؟ فانّ ذلك ليس من وظيفة العين ، بل من وظيفة المخّ الذى يأخذ هذه الصورة و يدقّق فيها و يهيّؤها لإستفادة الانسان .

لذا فانّ الذين يتعاطون الخمور فيثملون ، او الذين يُصيبهم الإغماء او الجنون ، لم يحصل فى أعينهم نقصٌ ما ، بل انّ عيونهم سليمة تعمل بوظيفتها جيداً فى عكس الأشعة و إظهار الصورة المرئيّة ، لكنّ جهاز المخّ و الفكر صارا لا يعملان بوظيفتهما المعتادة ، لأنّ مجموعة الأعصاب التى تنقل الصورة الى المخّ قد تعطّلت عن عملها بوظيفتها ، فصارت سلسلة

الأعصاب توصل هذه الصورة الى المخّ فلا يستطيع تمييزها و الإفادة منها فى محلّها .

لذا نشاهد انّ الشخص الثمل لا يُميّز بين أخته و أمّه و زوجته ، فيحاول الإعتداء عليهنّ ، أو أنّه يتحرّك فى معبر عامّ عارياً ، فلا يمكنه ان يشخصّ انّ صورة المعبر التى كانت محفوظةً فى قواه الذهنيّة سابقاً مُطابقة لصورة هذا المعبر أم لا كى يحكم بعدم جواز الحركة فى هذا المعبر عارياً .

و هذا الثمل السكران يهذى و يصيح بصوت عال ، و يعمل اعمالاً مُستهجنة أمام الأخرين ، و لا يأبى أكل الخبائث ، و لا يُبالى بارتكاب الجنايات ، بالرغم من أنّ قواه السمعيّة و الذوقيّة و الشميّة تعمل بوظيفتها . و ذلك لأنّ جهاز المخّ المنظّم و المراقب لا يعمل بوظيفته فى هذه الحالة لأنه قد تعطّل . لذا فانّه لن يعجز فقط عن الرؤية و تميز الأشياء ، أو أن يسمع بأذنه و يعمل بيده ، بل انّه سيصرف هذه القوى فى إهلاك نفسه و إفسادها ، و سيقطع بيده أغصان حياته و يستأصل جذورها .

و بناءً على هذا فانّ وجود جهاز المخّ فى الجسم أمر حيوىّ من أجل استخدام هذه الأعضاء و الجوارح و إعمال كلٍّ منها فى مواقع الحاجة ، و لتطبيق الصور الحاصلة مع الصور المحفوظة سابقاً فى الذاكرة و الأحكام الصحيحة المترتّبة عليها ، و لذلك نرى أنّ المجنون الذى فقد قواه العقليّة لا يترتّب على رؤيته و قوله و فعله أىّ نتيجة صحيحة .

و لو تركنا الإنسان جانباً فاننا سنجد فى الحيوان كذلك قلباً و مخّاً لا يستطيع أىّ حيوان بدونهما الاستمرار فى الحياة و فى أداء وظائفه و لو كان ذا خليّةٍ واحدة .

و الأمر كذلك فى الجمادات أيضاً ، فإنّ الشى الذى يرسم لها وحدتها و يجعلها تحت خاصيّة و كيفيّة واحدة هو الروح و النفس الواحدة التى

کانت جاریة فیها قبلاً . و لذا فانّها تمتلك خاصیّة واحدة و یُشاهد عنها ءاثار واحدة . و قد جرت الاستفادة من هذا الأمر فی التقنیة و صناعة السیارات ، فاستطاعوا ـ بإیجاد ءالات منظّمة و معدّلة ـ تنظیمَ حرکة العجلات و المحرّکات .

اننا حین نرید ملء الساعة و نصبها ، فانّ ضغط النابض سیکون قویّاً فی البدء ، و سیحاول تحریك العجلات المسنّنة بسرعة ، امّا حین یرتخی النابض و یقلّ ضغطه ، فانّه سیحاول تحریك تلك العجلات ببطء . و لهذا السبب فقد وضعوا فی الساعة جهازاً بإسم (البندول أو الرقّاص) لیقوم بتنظیم الحرکة ، بحیث تتحرّك الساعة فی کلّ الأحوال علی منوال واحد ، سواءً کان ضغط النابض قویّاً أو ضعیفاً ، فتنظّم الوقت بشکل صحیح .

کما انّ الماکنات البخاریة المستعملة فی المعامل الکبیرة اذا خلت من المنظّم فانّها ستتحطّم بأجمعها ، لأنّ قِدر البخار سیولّد عند غلیانه کمیّات ضخمة من البخار اذا ما اندفعت خلف المکابس فانّ الألات ستدور ءانذاك بسرعة هائلة فتؤدّی الی تحطّم الماکنة . امّا حین تنخفض الحرارة فی قِدر البُخار فانّ من الممکن ان تنخفض السرعة تبعاً لذلك . و لذلك یوضع فی هذه الألات منظّم للضغط(ضابط للضغط) لینظّم وصول کمیّات البخار الی المکابس ، و لا یسمح بوصول الفائض من البخار الی المحرّکات ، بل یقوم بخزنه فی مخزن الذخیرة لیفید منه عند انخفاض ضغط البخار ، فیرسله ءانذاك مع البخار المولّد ، و بذلك تتحرّك المحرّکات بشکل منظّم و هادئ دائماً فی السرعة الخاصة المطلوبة .

و یحتاج المجتمع البشری من أجل تبدیل القوی و تنظیم الأمور و رفع الإختلافات بین الناس و منع التعدّیات علی حقوق الفرد و المجتمع ، و لهدایة جمیع الأفراد الی مقصد الکمال و الهدف من الخلقة و نیل المُنی

من جميع القوى و الكنوز الالهيّة ، الى منظّم صحيح ، و إلّا لهلك المجتمع ولما استطاع أن يستفيد من كنوز الحياة .

ضرورة وجود الإمام المعصوم فى المجتمع :

انّ الإمام هو المنظّم لعالم الإنسانيّة و المجتمع ، لذا يتحتّم أن يكون ذا قوىً متينة و أفكار صائبة و ءاراء قادرة ، ليكون مشرفاً على أعمال الأمة و أفعالها ، و ليسوسها بالتنظيم و العدل .

و تسأل هنا : أيستطيع الإمام ـ ترى ـ أن يُصلح المجتمع اذا كان نفسه يُخطىء و يُبتلى بالمعصية و الإثم شأنه شأن أفراد المجتمع الأخرين ، أو إذا كان مثلهم مُصاباً بالهوس و الشهوة ؟

أوَ يمكنه ءانذاك أن يرفع الإختلاف فيما بينهم ، فيُعطى كلَّ ذى حقٍّ حقّه ، و يقف فى وجه الإعتداءات ، و يمنح العيش لجميع أفراد المجتمع ، و يعلّمهم المعارف والحقائق حسب استعدادهم و حاجتهم ، و يُبيّن لهم موارد الخطأ و الزلل فى سلوكهم الى اللَه و وصولهم الى مقصد الكمال ؟!

كلاّ و حاشا !

و على هذا فانّ قائد المجتمع و زعيم الناس و إمامهم يجب أن يكون معصوماً عن الإثم و عارياً عن أى خطأ و زلل ، كما ينبغى أن يكون ناظراً الى الأحوال و الأفعال و الخواطر القلبيّة لكلّ واحد من أفراد الأمّة بفكرٍ عميق متّسع ، و صدرٍ منشرح بنور اللَه ، و قلبٍ مُنَّور بالتأييدات الغيبيّة .

على انّ بعض العامّة يقول بعصمة الأنبياء ، و بعضهم يقول بمرتبة ضعيفة من عصمتهم ، بينما ينكر البعض الأخر العصمة فيهم ، فلا يعتبرهم مصونين بأىّ وجه عن الأخطاء و المعاصى . الاّ انّ الشيعة عموماً يشترطون العصمة للأنبياء بجميع معانيها ، كما يقولون بالعصمة للأئمّة صلوات اللَه وسلامه عليهم أجمعين .

عصمة الأنبياء على ثلاث مراحل :

و سنتحدّث فى اثباتنا لهذا الموضوع عن عصمة الأنبياء ، فنثبتها من القرءان الكريم ، ثم نتحدث عن الأئمّة عليهم السلام .

امّا بشأن الأنبياء فنقول : انّ العصمة مورد البحث فى ثلاث موضوعات :

١ ـ فى موضوع تَلَقِّى الوحى ، اى انّ قلب النبىّ يجب ان يكون منزّهاً عن الخطأ عند نزول الوحى ، فيتلقّي ذلك الوحى كما نزل ، لا يزيد فى التلقّى عليه و لا يُنقِص ، و لا يجلّى فى نفسه ذلك الوحى الاّ فى حقيقته الواقعة .

٢ ـ فى موضوع تبليغ الوحى : اى انّ على النبىّ أن يبلّغ الوحى كما أخذه ، دون أن يُخطئ أو ينسى فيما أُوحى اليه ، و دون أن يزيد أو ينقص فى أدائه للوحى شيئاً على صورته الحقيقيّة .

٣ ـ المعصية و الذنب : فالنبىّ لا يرتكب أىّ عمل يُخالف مقام العبوديّة للَه أو يتنافى مع الاحترام أو يهتك حرمة مقام المولى ، سواءً فى أقواله أو فى أفعاله . و إجمالاً فانّ هذه المراحل الثلاث يمكن تلخيصها فى جملةٍ واحدة : أى وجودُ أمرٍ من جانب اللَه لدى الإنسان المعصوم يصونه عن الخطأ و المعصية .

امّا الخطأ فى غير هذه المواضع ، مثل الخطأ فى الأمور الخارجيّة نظير الالتباسات التى تحصل فى حواسّ الإنسان ، أو فى إدراكات الأمور الإعتباريّة ، و نظير الخطأ فى الأمور التكوينيّة من النفع و الضرر و الصلاح والفساد ، فهى خارجةٌ بأجمعها عن محل النزاع و الكلام بين الشيعة و السنّة .

امّا تلك المراحل الثلاث من العصمة فتدلّ عليها الأيات القرءانية ،

كقوله تعالى :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَهُ النَّبِيّنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَهُ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . [١]

و تبيّن هذه الأية أنّ الغرض من إرسال الأنبياء و إنزال الوحى و الكتاب انّما هو دعوة الناس الى الحقّ ، و هديهم الى طريق الحقّ و الصواب فى جميع موارد الاختلاف قولاً و فعلاً و اعتقاداً .

و هذا هو هدف الخلقة من بعث الأنبياء ؛ لأنّ اللَه تعالى لا يضلّ فى هذا القصد بمفاد الأية :

لاَ يَضِلُّ رَبِّى وَ لاَ يَنْسَى . [٢]

و هو بالغٌ أمره و هدفه ، لا يصدّه عنه رادع و لا يمنعه مانع ، بمفاد الأية الشريفة :

إِنَّ اللَهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَهُ لِكُلِّ شَىءٍ قَدْرًا . [٣]

و مفاد الأية الكريمة :

وَ اللَهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِه . [٤]

و ينبغى ـ بناءً على هذا ـ لحفظ الوحى عند إنزاله و إبلاغه و أدائه أن يُصان الأنبياء من أى خطأ و زلل ، لأنّ قلب النبىّ اذا أخطأ عند تلقّى الوحى

١ـ الأية ٢١٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ ذيل الأية ٥٢ ، من السورة ٢٠ : طه .

٣ـ ذيل الأية ٣ ، من السورة ٦٥ : الطّلاق

٤ـ ذيل الأية ٢١ ، من السورة ١٢ : يوسف

أو تبليغه ، فانّ الهدف من رسالته سيكون غير متحقّق ، لأنّ المفهوم من الرسالة هو الدعوة الى الحقّ :

وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ .

و سيتردّد الأمر فى حالة الخطأ بين أن يكون اللّه تعالى قد أخطأ و نسى فى انتخاب الرسول و طريقة إنزال الوحى على قلبه ، أو أن غرضه كان الدعوة الى الحقّ لكنّه أخطأ فى طريقة انزال الوحى على قلب النبىّ على نحوٍ لا يكون معه عُرضة للتغيير و التبديل ؛ و هذا ليس صحيحاً بمقتضى قوله تعالى :

لاَ يَضِلُّ رَبِّى وَ لاَ يَنْسَى .

أو انّ غرضه كان الدعوة الى الحقّ ، و لم يحصل فى إجراء هذه الدعوة أى خطأ و التباس ، و لكن ظهرت عوائق خارجيّة حالت دون تحقيق أمر اللّه ، و هذا أيضاً مستحيل بمفاد الأية الكريمة :

إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِه . و الأية :

وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِه .

و بناءً على هذه المقدّمات ، فانّ اللّه سبحانه و تعالى يحفظ الأنبياء حتماً من الخطأ و الالتباس فى كيفيّة تلقّى الوحى و إبلاغه ، و يطهرّ قلوبهم و يُصفّيها بحيث ينعدم فيها اثر إنزال الوحى أىُّ موج أو ارتعاش أو تزلزل يكون باعثاً على قلب و تغيير كيفيّة و واقعيّة الوحى ، و بحيث لا يبقي فيها أىّ أثر للإضطراب أو الإبهام الباعث على تأويل و تفسير الإدراكات الواقعيّة على غير حقيقتها و واقعيّتها . و هذا هو معنى حقيقة العصمة فى مرحلتى تلقّى الوحى و إبلاغه . و امّا فى المرحلة الثالثة و هى صونهم و عصمتهم عن المعاصى ، فمن الممكن ـ ببيان مقدّمةٍ أخرى ـ أن نعتبر دلالة الأية السابقة عليها دلالةً تامّة . و هى انّه لو عصى نبىّ او ارتكب إثماً

فانّه سيكون بفعله هذا قد أجاز هذا العمل و أباحه لأمّته ، لأنّ العاقل لا يفعل شيئاً الاّ اذا كان حسناً ؛ فاذا ارتكب المعصية فى حالٍ يأمر قولاً بخلافها ، فانّ ذلك سيبعث على السقوط و التناقض ، و سيكون قد دعا بفعله و قوله الى أمرين متناقضين ، فهو يمنع الناس بقوله و كلامه من ذلك العمل ، ثم يُثبت بفعله له إباحة ذلك العمل و يرخّص لأمّته فيه .

و من المعلوم انّ الدعوة الى المتناقضين ليست دعوةً للحقّ ، لأن ذينك المتناقضين سيبطل أحدهما الأخر ؛ و اللَه سبحانه الذى يبعث الأنبياء للدعوة الى الحقّ لا يجعلهم دعاةً الى الأمور المتناقضة ، بل يصونهم عن فعل غير الحقّ و عن اى معصية ، لأنّ عصمة الأنبياء فى إبلاغ الرسالات و أداء وحيهم كما ينبغى سوف لن تكون تامّة بدون العصمة عن مقام المعصية ؛ و قد اتّضح بهذا البيان أنّ الأية السابقة تدلّ علي عصمة الأنبياء فى ثلاث مراحل : التلقّى ، و ابلاغ الوحى ، و فى مقام الخطأ و المعصية .

كما ان الإمام ـ و هو الحافظ للشريعة و المبيّن للأحكام و الحارس للقانون بالنسبة للأمّة ـ حائز على مقام قلب النبىّ و إدراكه ، و لا فرق بينه و بين النبىّ من وجهة النظر هذه ، الاّ انّ النبىّ هو الذى يأتى بالشريعة و الكتاب ، و الإمام هو الذى يقوم بإبلاغها و المحافظة عليها .

و الأدلّة التى تفيد فى اثبات عصمة الأنبياء واردة بعينها فى اثبات عصمة الإمام .

روى الحجّة الكلينى فى كتاب (الكافى) [١]، عن علىّ بن ابراهيم ، عن والده ، عن حسن بن ابراهيم ، عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبى

١ـ (أُصول الكافى) ، المجلّد الأول ، ص ١٦٩ ، كتاب الحجّة ، باب الإضطرار الى الحجّة .

عبداللَه (الصادق) عليه السلام جـماعةٌ من أصحابـه منـهم حُمـران بـن أعـين و مـحمّد بن النُّعمان و هِشام بـن سـالم و الطّيـار و جـماعةٌ فيـهم هِشـام بـن الحَكَم [1] و هو شابّ ، فقال أبو عبداللَـه عليـه السّـلام : يـا هشـام ! ألا تخـبرنى كيفَ صنعتَ بعمرو بن عبيدٍ ؟

فقال هِشام : يا ابن رسول اللَه إنّى أُجلّك و أستحييك و لا يعمـل لسـانى بين يديك . فقال أبو عبداللَه : إذا أمرتُكم بشىءٍ فافعلوا .

قال هشام : بَلَغنى مـا كـان فيـه عمـرو بـن عبيـدٍ و جلوسُـه فى مسـجد البصرة ، فَعَظُمَ ذلك علىّ ، فخرجتُ اليه و دخلـتُ البصـرةَ يـومَ الجمعـة فـأتيتُ مسجدَ البصرة ، فاذا أنا بحَلْقَة كبيرة فيها عمرو بن عبيـد و عليـه شَـمْلَةٌ سـوداء مُتّزراً بها من صوف ، و شـملةٌ مُرتديـاً بهـا ، و النـاسُ يسـألونه ، فاسـتفرجتُ النـاسَ فـأفرجوا لى ، ثمّ قعـدتُ فى ءاخـر القـوم علـي ركبـتىّ ثمّ قلـتُ : أيـهّا العالِمُ ! إنّى رجلٌ غريبٌ تأذنُ لى فى مسألة ! فقال لى : نعم !

فقلتُ : أَلَكَ عَيْنٌ ؟

فقال : يا بُنَىّ لِمّ شىء هذا من السؤال ، و شىء تراه كيف تسألُ عنه ؟

فقلتُ : هكذا مسألتى .

فقال : يا بُنـىّ سَل و إن كانتْ مسألتُك حـمقاء .

١ـ ولد هشام بن الحكم فى الكوفة ، و نشأ و ترعرع فى واسط ، ثم عمـل بالتجـارة فى بغداد و سكن هناك الى ءاخر عمره ؛ و قد نُقل مدحُه و الثناء عليه عن الأئمّة الصادق والكاظم و الرضا عليهم السّلام . كان راوياً للحديث و له أصل فى الأُصول الاربعمائـة الشـيعيّة ، و كـان من أجلّة الـمحدّثين و مهرة الـمتكلّمين و الـمناظرين ، و كان له فى فتوّته مهارة كبـيرة فى فـنّ الـمناظرة (رجال الـميرزا محمّد بن على الاردبيلى الـمعروف بـ(جامع الرواة) ج ٢ ، ص ٣١٣ وهذه الرواية يرويها المجلسى أيضاً فى (بحار الأنوار) ج ٧ ، ص ٣ ، نقـلاً عـن (إكمـال الديـن) و (علل الشرايع) و (الأمالى) للشيخ الصّدوق .

قلتُ : أجبنى فيها .

قال لى : سَل !

قلتُ : أَلَكَ عَيْنٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ فما تصنعُ بها ؟

قال : أرى بها الألوان و الأشخاص .

قلتُ : فَلَكَ أنفٌ ؟

قال : نعم .

قُلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أشمّ به الرّائحة .

قلتُ : أَلَكَ فمٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : لَذوقُ به الطَّعْمَ .

قُلْتُ : فَلَكَ أُذُنٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ بها ؟

قال : أسـمعُ بها الصَّوتَ .

قلتُ : أَلَكَ قَلْبٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أُميّزُ به كُلَّما وَرَدَ على هذه الجوارح و الحواسّ .

قلتُ : أَوَ لَيْسَ فى هذه الجوارح غنىً عن القلب ؟

فقال : لا .

قلتُ : و كيف ذلك و هى صحيحةٌ سليمةٌ ؟

قال : يا بُنَىّ ! إنّ الجوارح إذا شكّت فى شىءٍ شَـمَّتْهُ أو رأتـه أو ذاقتـه أو سـمعته رَدَّتْهُ الى القلب فَيَسْتَيْقِنُ اليقينَ و يُبْطِلُ الشَكَّ .

قال هشام : فقلتُ له : فإنّما أقامَ اللَهُ القلبَ لشكِّ الجوارح ؟

قال : نعم .

قلتُ : لابُدَّ من القلب و إلاّ لـم تستيقن الجوارحُ ؟

قال : نعم .

فقلتُ له : يا أبا مروان [1]، فاللَهُ تبارك و تعالى لـم يترك جوارحـك حتّـى جعل لـها إماماً يُصحِّح لها الصحيحَ و يتيقّنُ به ما شُكَّ فيـه و يَـتْرُكُ هـذا الخلـقَ كلَّهم فى حَيْرتهم و شكّهم و إختلافهم ، لا يُقيم لهـم إماماً يـردّون إليـه شـكّهم و حيرتهم و يُقيم لك إماماً لجوارحك تردُّ اليه حيرتَك و شكّك ؟!

قـال : فسـكتَ و لـم يقـل لى شـيئاً ، ثمّ التفـتَ إلىّ فقـال لى : أنـت هشـامُ بن الحكم ؟ فقلتُ : لا .

قال : أمِن جُلسائِهِ ؟

قلتُ : لا .

قال : فمن أين أنتَ ؟

قال : قلتُ : من أهل الكوفة .

قـال : فـأنتَ إذاً هـو . ثمّ ضمّـنى اليـه و أقعـدنى فى مجلسـه و زال عـن مجلسه و ما نطق حتّى قمتُ .

قـال : فضحـك أبـو عبـداللَه عليه‌السلام و قال : يا هـشام . مَـن عـلمّك

١ـ (أبو مروان) كُنية عمرو بن عبيد .

هذا ؟

قال : شيءٌ أخذتُه منك و ألّفتُهُ .

فقال : هذا واللَهِ مكتوبٌ فى صُحُف إبراهيم و موسى . [١]

و باعتبار انّ الإمام بمنزلة قلب العالَم و مخّه ، فانّ سروره و حُزنه سيؤثرّ فى جوارحه و أعضائه أى فى جميع مخلوقات اللَه واحداً فواحداً .

يقول السيوطى فى (الخصائص الكبرى) : **و أخرج الحاكمُ و البيهقىّ و أبو نعيم عن الزُّهرى قال : لَمَّا كَانَ صباحُ قُتِلَ عَلِىٌّ بنُ أبى طَالِبٍ ، لَمْ يُرْفَعْ حَجَرٌ فِى بَيْتِ الْمَقْدِسِ إلاَّ وُجدَ تَحْتَهُ دَمٌ .**

و أخرج أبو نعيم من طريق الزُّهرى عن سعيد بن المسيّب قال : صَبِيحَةُ يَوم قُتِلَ عَلِىٌّ بْنُ أبى طَالِبٍ ، لَمْ تُرفَعُ حَصَاةٌ مِنَ الاَرضِ إلاَّ وَ تَحْتَهَا دَمٌ عَبِيطٌ . [٢]

و يروى الشيخ الصدوق فى كتابىْ (علل الشرايع) و (الأمالى) بسند واحد عن جبلّة المكيّة قالت : سمعتُ ميثم التمّار (قدّس اللَه روحه) يقول : و اللَه لتقتل هذه الأُمّةُ ابنَ نبيّها فى المحرّم لعشرٍ يمضين منه ، و ليتخّذنّ أعداءُ اللَه ذلك اليوم يومَ بركة ، و إنّ ذلك لكائن قد سبق فى علم اللَه تعالى

١ـ يروى الصدوق هذه الرواية فى (الأمالى) ، ص ٣٥١ ، عن سعد بن عبداللَه ، عن ابراهيم بن هاشم ، عن اسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبدالرحمن ، عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبى عبداللَه الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حُمران بن أعين ومؤمن الطّاق و هشام بن سالم و الطيّار و جماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم و هو شابّ ؛ ثمّ ينقل عين الحديث الى ءاخره . و أورده المرحوم المجلسى فى (بحار الانوار) الطبعة الكمبانى ج ١٤ ، ص ٥٤٩ (السماء و العالم) ، و فى الطبعة الحروفية ج ٦١ ، ص ٢٤٨ عن (أمالى الصدوق) .

٢ـ (الخصائص الكبرى) ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، حسب نقل (شيعه در اسلام) للسبط ، القسم الثانى ، ص ١٢٤ .

ذكره ، أعلمُ ذلك بعهدٍ عهده إلىّ مولاى أميرُالمؤمنين عليه السلام ، و لقد أخبرنى أنّه يبكى عليه كلُّ شىء ، حتّى الوحوش فى الفلوات و الحيتان فى البحر و الطير فى السماء ، و يبكى عليه الشمسُ و القمر و النجومُ و السماء و الأرض و مؤمنو الإنس و الجنّ و جميع ملائكة السماوات و الأرضين و رضوانُ و مالكُ و حملةُ العرش ، و تمطرُ السّماءُ دماً و رماداً .

ثمّ قال : وجبت لعنةُ اللَه على قتلة الحسين عليه السّلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع اللَه إلها ءاخر ، و كما وجبت على اليهود و النّصارى و المجوس .

قالت جبلّة : فقلتُ له : يا ميثم ! فكيف يتّخذ الناسُ ذلك اليوم الذى قُتِلَ فيه الحسينُ عليه السلام يومَ بركةٍ ؟ فبكي ميثم رضى اللَه عنه ثمّ قال : يزعمون لحديثٍ يضعونه أنّه اليوم الذى تابَ اللَهُ فيه على ءادم ، و انّما تاب اللَه على ءادم فى ذى الحجّة ؛ و يزعمون أنّه اليوم الذى قبل اللَهُ فيه توبةَ داود ، و انما قبلَ اللَهُ عزّوجل توبتَهُ فى ذى الحجّة ، و يزعمون انّه اليوم الذى أخرج اللَهُ فيه يُونسَ من بطن الحوت ، و انّما أخرج اللَهُ عزّوجل يونس من بطن الحوت فى ذى الحجّة ؛ و يزعمون أنّه اليوم الذى استوت فيه سفينةُ نوحٍ على الجودى ، و انّما استوت على الجودى يوم الثامن عشر من ذى الحجّة ؛ و يزعمون أنّه اليوم الذى فلقَ اللَهَ تعالى فيه البحرَ لبنى إسرائيل و انّما كان ذلك فى ربيع الأوّل .

ثمّ قال ميثم : يا جبلّة ! إعلمى أنّ الحسين بن علىّ عليه السلام سيّد الشهداء يوم القيامة ، و لأصحابه على سائر الشهداء درجة . يا جبلّة اذا نظرتِ السماء حمراء كأنّها مٌ عبيط فاعلمى أنّ سيّدالشهداء الحسين قد قُتِل .

قالت جبلّة : فخرجتُ ذاتَ يومٍ فرأيتُ الشمسَ على الحيطان كأنّها

الملاحف الموشَّحة ، فصحتُ حينئذٍ و بكيتُ و قلتُ : قد واللَهِ قُتِلَ سيّدنا الحسين عليه السلام .[١]

١ـ (الأمالى) للصدوق ، ص ٧٧ ، و (علل الشرايع) ج ١ ، ص ٢٢٨ ، الباب ١٦٢ ؛ و ينقل المجلسى هذه الرواية عن الشيخ الصدوق فى (بحار الأنوار) الطبع الكمبانى ، ج ١٠ ، ص ٢٢٤ .

الدرس الثاني

بيان أصل الورثة في العصبة

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على مـحمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الـحكيم فى كتابه الكريم :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِـنْ عِبَادنَـا فَمِنْـهُمْ ظَـالِمٌ لِّنَفْسِـهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . [1]

قـانون الوراثـة أصـلٌ مـهم جـرت مطالعتـه بدقّـة فى جـميع شـؤون الـموجودات ، من الإنسان و الـحيوان و النبات ، حيث اسـتُحصلت منـه ءاثـار و نتائج هامّة ؛ و يـمكن القول أنّه أحد السُنن الالـهيّة التى لا تتبدّل و لا تتغـيّر . إنّ التمعّن فى أفراد البشـر و ملاحظـة إنتقـال الـخصوصيّات و الكيفيّـات مـن نطفـة الأب و الأمّ و لقاحـها و ظـهورها علـى هيئـة جنـين ثم ظـهورها فى الطفل ، سيُثبت هذا الأساس بصورة كليّة لدي الإنسان .

انّ نطـفة الانـسان هـى ذرّة مـن نظامـه الـوجودى تتراكـم فيها و تندمج

١ـ الأية ٣٢ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

و قد أورد ابن بابويه فى تفسير هذه الأية الشريفة حديثًا عن الإمام الرضا عليه‌السـلام بيّنه فـى مـجلس الـمأمون فـى مرو ، و كان حاضرًا ءانذاك مع علماء العراق و خراسان فسأله الـمأمون عن تفسير هذه الأية . و هذا الـحديث شيّق للغاية و حاوٍ لـمطالب قيّمة . و قـد ورد كذلك فـى كتاب (غاية الـمرام) ، ص ٢١٩ تـحت عنوان : التاسع .

جميع الأثار و الخصائص الإنسانية و توجد فى صورة القوّة و الاستعداد . و عندما تستقرّ النطفة فى رحم الأمّ فى وعائها الخاصّ و شرائطها الخاصّة ، فانّها تصل الى مرحلة الفعليّة و تظهر بصورة النشر مُشيرةً الى جميع الخصائص المادّية و الأخلاقيّة و الروحيّة التى حصل عليها الجنين من والديه .

فالولد لا يرث من أبيه لون الجلد و شكل الأعضاء و الجوارح و تركيب العظام فقط ، بل انّه يرث كذلك التشابه فى كلّ ذرّة من الدّم و فى كلّ خليّة لا تُرى ؛ بحيث انّه لو حصل هناك شكّ فى الطفل ، فانّه يمكن تعيين أبيه الحقيقى عن طريق فحص الدم .

و ليس ذلك الاّ لأنّ الطفل فى الحقيقة فرعٌ أو غصن تفرّع من شجرة وجود أبيه و أصله المادىّ و المعنوىّ ، فصار يُحاكى ذلك الاصل فى جميع خواصّه . و بغضّ النظر عن العين و الدماغ و الأذن و القلب و المعدة و الكلية و العظام و الهيكل ، فانّ الطفل يكتسب من أبويه بعنوان الوراثة خواصّ الوجود و ءاثاره ، حتّى فى الأجزاء البسيطة المجهريّة . حتّى انّ بعض الأمراض تنتقل اليه من أجداده عن طريق الوراثة ، فإن لم تظهر هذه الأمراض فى النسل الأوّل أو الثانى ، فانّ تلك الامراض ستحفظ فى مرحلة التطورّ و التغيّر فى عدّة أجيال حتى تنهى مرحلة كمونها فتظهر فى أجيال أخرى حين تتحقّق شرائط وجودها .

و هذه الخصائص و الأثار لا تنتقل من الوالد الى نطفته فحسب ، بل انّ ءاثارها الوجوديّة ستكون مشهودةً واحدة فى جميع خلايا الإنسان . و يمكن القول بأنّ هناك فى كلّ ذرّة من جسم الإنسان إنساناً كاملاً على نحو الاستعداد و القوّة الوجوديّة ، بحيث اذا توفّرت له شرائط التربية و التكامل فانّه سيظهر فى هيئة إنسان كامل .

و بعبارة اخرى فليس هناك فـى النطفة وحدها إنسان كـامل يظـهر فـى الرحم و الظرف الـمستعدّ ، بل لنّ هناك فـى كلّ خليّة إنساناً كاملاً موجوداً علـى نـحو الوراثة و انتقال مراتب الوجود .

و على الرغم من انّهم لـم يتمكّنوا عملياّ من تلقيح خليّة رجل مـع خليّـة امرأة فـى وعاء معدّ خاص لإيـجاد طفل خارج و عاء الرحم ، لكنّ ذلـك ليـس دليلاً قاطعاً على إمتناع هذا الأمر ، بل لنّ هناك أدلّة قد أقيمـت علـى إمكانـه . ولربّما سيرى البشر يوماً من خلال تقدّم مسيرة العلم ، نشـوءَ طفـل مـن تلقيـح خلايا الـمرأة و الرجل فـى أوعية معدّة و مناسبة خارج بدن الأم ، فيظـهر فـى زمن قصير مليارات الأطفال من امرأة و رجل واحد .

و هذا الـموضوع على اثر ذلك الاصل فـى الوراثة الذى يـجعل جـميع خصائص الفرد مؤثّرة فـى كلّ ذرّة من ذرّات بدنه ، فتحكى تلك الـذرّة جـميع الأثار الوجوديّة لذلك الشخص .

كما انّه يُشاهد فـى النباتات لنّ أصل الوراثة قـد فعـل فعلـه ليـس فقـط عن طريق زرع البذور فـى الأرض ، بل و عـن طـرق شـتّى أخـرى كالتكثـير بالأقلام ، و عن طريق التطعيم ، حيث تنشأ بذلـك شـجرة تُنـاظر أصلـها الـذى أُخذت منه ، و سيحمل ذلك الغُصـن الـمقتطع جـميع خصـائص الشـجرة مـن الـجذر و الساق و الأوراق و الثمار نظير جذر و سـاق و أوراق و ثـمار أصلـه الذى اقتُطع منه .

و كذلـك الحـال فى عمليـة التكثـير بالـبراعم ، فـانّ الـبراعم الـمطعّمة ستجعل ساق الشجرة الأخرى رحـماً لتربيتـها ، فتنمـو هنـاك و تنشـأ و تظـهر فيها جـميع ءاثار أصلها بدون لَىّ تـخّطٍ أو أدنى تـجاوز .

مَا مِن دَآبَّةٍ إلاَّ هُوَء اَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ إنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .[1]

١ـ ذيل الأيه ٥٦ ، من السورة ١١ : هود .

و اذا ما تجاوزنا الماديّات و مراتب الظهور الطبيعى فى الإنسان إلى الأفكار و الأخلاق و الروحيّات ، فاننا سنرى أنّ الطفل يتأثّر و راثياً أيضاً بأصله ، فتظهر فيه عن طريق النطفة غرائز و أخلاق و الديه ، و من تركيب تلك النطفتين فانّ مجموعاً مركّباً منهما سيُظهر الطفل بأخلاق خاصة هى نتاج غرائزالوالدين معاً .

فالولد الذى له والدان يتصّفان بالشجاعة سيكون شجاعاً بالتأكيد ، أمّا إذا كان والداه يتصّفان بالجبن و الخوف فانّه سيصبح جباناً ، و اذا كانا سخيّين فانّه سيكون سخيّاً ، أو كانا لئيمين أو مُضحيّين فانّه سيماثلهما فى ذلك . كما انّ الوالدين العاقلين سينجبان ولداً عاقلاً ، فإن كانا أبلهين صار طفلهما أبلهاً . و على أنّ حال فانّ جميع الأخلاقيّات و الغرائز الروحيّة للولد لن تخرج عن أصل الوالديين ، بل هى تابعة الى صفاتهما ، و ناتجة عن اللقاح و الفعل و الانفعال لقواهما الروحيّة و الأخلاقية .

و قد يحصل أحياناً أنّ شخصاً عاقلاً يخرج من صلبه ولدٌ جاهل ، و العكس صحيح ، و بالطبع فانّ ذلك سيكون ناجماً من شرائط و ظروف التربية فى الرحم ، أو من انتقال نطفة أحد أجداده الذين كانوا كذلك ، فظهرت هذه الصفة فى هذا النسل ، و هذا بالطبع ينطبق على أصل الوراثة .

و كما انطبق أصل الوراثة فى الإنسان ، فانّه ينطبق كذلك على النباتات و الحيوانات ، فولد الذئب سيكون ذئباً ، و ولد الخروف خروفاً و ولد الأسد أسداً ، ثم انّ ءاثار اولئك و كيفيّتهم ستنتقل الى الأجيال و الطبقات التالية نسلاً بعد نسل من وجهة نظر كيفيّة تشكيل الجسم و الخلايا الجسميّة و الصفات الروحيّة . و الأمر فى النباتات كذلك ، فورد الياسمين ينتج ياسميناً ، و الورد المحمّدى ينتج وردا محمّدياً يتبع أصله فى شكله ولونه و رائحته ، كما انّه لن يخرج من شجرةِ التفّاح إجاص و لو مضى عليها

ألف عام ، و لو تعاقبت الأجيال .

بلى ، لقد كان أصل الوراثة أسـاس عالـم الوجـود ، و هـذه الظـهورات ستستمرّ و تتقدّم طبقاً لـهذه السُنن .

فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَهِ تَحْوِيلًا [1] .

و لقد حفظ أصل الوراثة ثباته و بقاءه فـى جـميع الشـؤون الـمذكورة ، و الأهمّ و الأعلى من ذلك بقاؤه و ثباته فـى الـمعنويّات و الأسرار الالـهيّة .

إنّ اللَه سـبحانه و تعـالى خلـق ءادم أبـا البشـر و جعلـه خليفتـه فـى الأرض ، و جعل قلبه مركز تـجليّات أنوار جـماله ، و جعل عقله قوّياً و صـدره منشرحاً و قلبه متّسعاً ، بـحيث يـمكنه الاطّـلاع علـى جـميع أسـرار عالـم الكون ، و العلم بـحقائق الـموجودات ، و تـمزيق حجب الأوهام ، و الاسـتقرار **فِـى مَقْعَـدِ صِـدْقٍ عِنْـدَ مَلِيـكٍ مُقْتَـدِرٍ** [2] . و الوصـول الـى مقـام الاطمئنـان ، و الاطّلاع على أسرار الغيب ، و مـحادثة الـملائكة ، و السكنى فـى حرم الأمـن و الأمان الالـهىّ ، فيصبح قلبه مركز تـجلّيات أسـماء و صفـات الـمعبود جـلّ شأنُه .

و هكذا فانّه سيُشاهد رأى العين إحاطة قدرة و علـم و حيـاة اللَـه فـى جـميع مراحل الوجود ، و سُـيناجى ربّـه و يتكلّـم معـه مـن السـرّ و البـاطن ، و سيفوز بـمقام: **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى *ذُو مِـرَّةٍ فَاسْـتَوَى * وَ هُـوَ بِـالأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْـدِهِ مَاأَوْحَى** [3] .

و البـقاء ببـقاء اللَه بـعد فناء النفس ، و طىّ أسفاره الأربعة ليكون مـرءاةً

١ـ ذيل الأية ٤٣ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٢ـ الأية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

٣ـ الأيات ٥ ـ ١١ ، من السورة ٥٣ : النجم

تامّة و مظهراً تامّاً كاملاً للحضرة الأحديّة .

و قد أودع هذا النور فى ءادم عليه السلام منذ بدء الخلقة ؛ و بمقتضى : **وَ عَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا** [١].

و كذلك بمفاد قوله :

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً [٢].

فانّ ءادم وحده جوهر عالم الوجود ، و هو وحده اللؤلؤة الثمينة فى صدف عالم الكون ، و خزينة أسرار الحضرة الربوبيّة التى طلعتْ و ظهرت فيه الى حدٍّ ما . و بموجب أصل الوراثة فقد انتقل ذلك السرّ الى أبناء ءادم ، فظهر و برز فى الأنبياء واحداً بعد الأخر كلّاً بدوره ، و بمراتب الاختلاف التى تُشاهد فيهم ، فأصبح كلّ واحد منهم مركزاً لتجلّى ذلك النور بقدر استعداده و ظرفيّته .

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ [٣].

الى أن وصل الدور الى خاتم الأنبياء و سيّد المرسلين محمّد بن عبداللَه صلّى اللَه عليه و ءاله ، فأشرق ذلك النور فيه على أتمّ نحو و أكمله ، و بمقتضى أصل الوراثة فقد مرّ فى دور الكمون فى أصلاب الأباء ، و ها قد وصل الى مرحلة الظهور و البروز ، و أشرق كما ينبغى له بلا زيادة و لا نقصان لذا فانّ شريعته صلوات اللَه و سلامه عليه ناسخة لجميع الأديان ، و دينه متمّم و مكمّل لجميع الأديان ، و باقٍ و خالد الى يوم القيامة .

١ـ صدر الأية ٣١ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ صدر الأية ٣٠ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣ـ صدر الأية ٢٥٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

و قد حصلت هذه الأثار بواسطة سعة روح النبیّ و سعة قلبـه الـمبارك ، و لیست أمراً اعتباریّاً تشریفیّاً ، ثـمّ انّها انتقلت فـی ذریّتـه ، ای انّ ذلـك النـور انقسـم الـی قسـمین ، أحدهمـا فـی نفسـه الـمباركة و الأخـر فـی نفـس أمیرالمؤمنین علیه السلام ، و انتقـل مـن لقـاح نـور أمـیرالمؤمنین علیـه السـلام و الصدّیقة الطاهرة سلام اللَه علیـها الـی ذریّتـهما ، حیـث قـال صلـوات اللَـه و سلامه علیه :

إنَّ اللَهَ جَعَلذُرِّیَّةَ کُلِّ نَبیٍّ فِی صُلْبِهِ و جَعَلَذُرِّیَّتِی فِی صُلْبِ عَلِـیّ بْنِ أَبِی طَالِبٍ . [1]

و روی أحمد بن حنبل ، و هو أحد کبار أئمّة أهـل السـنّة ، عـن سـلمان الفارسی ، تبعاً لروایة کتاب (الریاض النضرة) انّه قال :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ صلّی اللَهُ علیه [و ءاله] و سَلَّم یقولُ : کُنْتُ أَنَـاوَ عَلِیٌّ نُوراً بَیْنَ یَدِی اللَهِ تَعَالَی قَبْلَ أَنْ یَخْلُقَ ءادَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْـفَ عَـامٍ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَهُ ءادَمَ قَسَّمَ ذَلِکَ النُّورِ جُزْئَیْنِ جُزْءٌ أَنَا وَ جُزْءٌ عَلِـیٌّ . خرّجـه أحمد فی المناقب [2].

و یـحدّث أیضاً فی (ینابیع الـمودّة) نقلاً عـن کتـاب (مـودّة القـربی) ، عن عثمان انّه روی عن رسول اللَه صلی اللَه علیه [و ءاله] و سلّم :

خُلِقْتُ أَنَا وَعَلِیٌّ مِنْ نُورو اَحِدٍ قَبْلَأَ نَ یَخْلُقَ اللَهُ ءادَمَ بِأَرْبَعَةِ ءالَاف عَامٍ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَهُ ءادَمَ رَکِبَ ذَلِکَ النُّور فِی صُلْبِهِ فَلَمْ یَزَل شَیئًاو اَحِـدًا حَتّی افترَقْنَا فِی صُلْبِ عَبْدِ الْمُطَلَب ، فَفِیَّ النُّبُوَّةُ وَ فِی عَلِیٍّ الْوَصِیَّةُ [3].

١ـ (ینابیع الـمودّة) ، ص ٢٥٢ .

٢ـ (الریاض النضرة) ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

٣ـ (ینابیع الـمودّة) ، ص ٢٥٦ .

و ينقل المؤرّخ الأمين الحسين بن على المسعودى فى (مروج الذهب) روايةً جامعة عن أميرالمؤمنين عليه السلام حول ابتداء الخلقة و كيفيّة خلق نور محمّد و ءال محمد عليهم السلام ، و عن كيفيّة انتقال ذلك النور فى النشئآت المختلفة الى أن يصل الى خلقة الملائكة و خلقة ءادم ، ثم يقول :

ثُمَ نَبّه ءادَمَ عَلَى مُستُودعِه ، وَ كَشَفَ لَهُ [عَنْ] خَطَرِ مَا ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ، بَعْدَ ما سَمَّاهُ إماماً عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ .

فَكَانَ حَظُّ ءادَمَ مِنَ الْخَيرِ مَا رَأاهُ مِنْ مُسْتَودَعِ نُورنا ، وَ لَمْ يَزَل اللَهُ تَعالي يخبأ النُورَتَحتَ الزّمانِ إلى أَنَ فَضَّلَ مُحَمَّداً صَلّىاللَهُ عليه [وءاله] و سَلمّ فى ظَاهِرِ الفَتَرات .

فَدَعَى النّاسَ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا ، وَ نَدَبَهُمْ سِرًّا و عَلَانيّةً ، واسْتَدْعى عليه السّلامُ التَنْبيهَ عَلى العَهْدِ الَّذى قدّمه الى الذّر قبلَ النسلِ .

فَمَنْو افَقَهُ و قَبَسَ مِنْ مِصباحِ النّورِ المُقْدِمِ ، اهْتدى إلى سِرّهِ و استَبانَو اَضِحَ أمره ؛ و مَنْ أبلسته الغَفلةُ ، استحقّ السّخطَ .

ثمّ انتقل النّورُ الى غَرائزنا ، و لَمَعَ فِى أئمتِنَا،فَنَحْنُ أنوارُ السّماءو أنوارُ الأرضِ فَبنَا النَّجاةُ ، و مِنّا مَكنونُ العِلمِ ، و إلينا مَصيرُ الْأُمُورِ ، و بمهديِّنا تنقطعُ الحُججُ ، خَاتمةُ الأئمّةِ و مُنقذِ الأمَّةِ ، وَ غَايَةِ النَّورِ ، وَ مصدر الأمور .

فَنَحْنُ أَفْضَلُ الْمَخْلوقينَ ، و أَشْرَفُ الْمُوَحِّدينَ ، وَ حُجَجُ رَبِّ الْعالَمينَ .

فَلْيَهْنأ بالنّعمةِ مَنْ تَمَسّكَ بِولايَتِنا ، وَ قَبَضَ عَلَى عُرْوَتِنَا .

ثم يقول المسعودى : فهذا ما نروى عن أبى عبداللَه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن علىّ ، عن أبيه علىّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن

علىّ، عن أميرالـمؤمنين علىّ بن أبى طالب كرّم اللَه وجهه [1].

و يقول الـمسعودى أيضاً : و قـد رأيـت فى كثـير مـن كتـب التواريـخ و السيرة و الأنساب انّ ءادم أباالبشر حين سـمع هاتفاً يُخـبره عـن مقتـل ولـده هابيل زاد حزنه و غمّه لـما جرى و ما سيأتى .

فَأَوْحَى اللَهُ إلَيْهِ : إنّى مُخْرِجٌ نُورى الّذى بِهِ السُّلوكُ فِـى الْقَنَـوات الطَّاهِرةِ ، و الأُرومات الشَّريفَةِ ، و أُبـاهِى بِـهِ الأَنْـوارَ ، و أَجْعَلُـهُ خَـاتَمَ الْأَنْبياء ، وَ أَجْعَلُ ءَالَهُ خِيارَ الْأَئِمَّةِ الْخُلَفاء .

و أَخْتَمُ الزَّمانَ بِمُدَّتِهِمْ ، و أَغُـصّ الْـأَرْضَ بِدَعْوَتِـهِمْ ، و أَنْشُـرُها بِشيعَتِهِمْ .

فَشَمِّرْ و تَطَهَّرْ ، و قدِّسْ ، و سَبِّحْ ، وَ اغْشَزَ وَجْتَـكَ عَلَـى طَـهَارَةٍ مِنْهَا ، فانَّ وَديعَتى تَنْتَقِلُ مِنْكُما إلَى الْوَلَدِ الْكائِنِ مِنْكُمَا [2].

امّا الأن و قد اتّضح الـموضوع ، فاننـا نرجـع الـى تفسـير الأيـة الـتى ذكرناها فـى مطلع كلامنا : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** .

و علينـا أن نـرى مـا هـو هـذا الـميراث ؟ و هـذا البحـث يتنـاول موضوعين :

١ ـ الـموضوع الأوّل : ما هو الـمقصود من الكتاب ؟

٢ ـ الـمـوضوع الثانى : من هم العباد الـمصطفون الذيـن أورثـهم اللَـه الكتاب ؟

١ـ (مروج الذهب) الـمجلّد الأول ، فـى طبعة مطبعة السعادة مصر ، ١٣٦٧ هجريـة ، ص ٣٢ و ٣٣ ؛ و فى طبعة مطبعة دار الأندلس بـيروت ١٣٩٣ هجريـة ، ص ٤٢ و٤٣ . و ورد فيه لفظ (أراه) بدلاً من (أواه) .

٢ـ (مروج الذهب) الـمـجلّد الأوّل ، فى طبع مطبعة السعادة ـ مصر ، ١٣٦٧ هجريـة ، ص ٣٧ ؛ و فـى طبع مطبعة دار الأندلس ـ بيروت ١٣٩٣ هجرية ، ص ٤٧ .

امّا الـموضوع الأوّل ، فليس هناك من شكّ فـى انّ الـمقصود بالكتـاب هو القرءان الكريـم ، لأنّه يقول فـى الأية التى سبقتها :

وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْکَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْـهِ إِنَّ اللَهَ بِعِبَادَهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ [١].

و هذا الـخطاب موجّه الـى رسول اللَه صلّى اللَه عليـه و ءالـه ؛ كمـا انّ الكتاب الذى أوحى اليه هو القرءان الكريـم .

و باعتبار انّه يقول بعد هذه الأية مباشرة :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .

فقد اتّضح بأن الـمراد بهذا القرءان الـمورث ليـس القـرءان الـمكتوب ، بل انّ الـمراد بذلك هو حقيقـة القـرءان الـذى نـزل علـى قلوبهـم . فقـد تلقّـى رسول اللَه ـ وفق نهجٍ معيّن ـ تلك الـحقائق من جبرئيل الأمين ، و بنـفس ذلـك النهج تلقّي هؤلاء العباد الـمصطفون القرءان مـن رسـول للَـه صّلـى اللَـه عليـه و ءاله و تلك الـحقائق و الأسرار و اللطائف الـتى : **لَـا يَمَسُّـهُ إِلاَّ الْمُطَـهَّرُونَ** [٢] . **و إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُـمْ تَعْقِلُـونَ * وَ إِنَّـهُ فِـى أُمِّ الْكِتَـابِ لَدَيْنَـا لَعَلـىٌّ حَكِيمٌ** [٣]؛ حيث وردت على قلوبهم بـمستوىً رفيع مختصّ بهم .

امّا فيما يـخصّ الـموضوع الثانـى ، فحسـب الروايـات الـمستفيضة و الـمتظافرة التى وردت عـن الامـام مـحمد البـاقر و الإمـام جعفـر الصـادق عليهما السلام ، فانّ الـمراد بهؤلاء العبـاد الـمصطفين ، ذريّـة الرسـول الأكـرم صلّى اللَه عليه و ءاله من أولاد فاطمة الزهراء سلام اللَه عليها ؛ الذين يقعـون

١ـ الأية ٣١ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٢ـ الأية ٧٩ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٣ـ الأية ٣ و ٤ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

فى ذريّة : (**وءالَ إبراهيم**) بمقتضى الأية المباركة : **إنَّ اللَهُ اصْطَفَى ءادَمَ وَ نُوحًا وَ ءَالَ إبْراهِيمَ وَ ءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** [1] .

و علاوةً على ذلك ، فلم يدّع أحد منذ صدر الإسلام حتّى الأن أنّ هناك شخصاً أعلم بكتاب اللَه من أميرالمؤمنين و الأئمّة الطاهرين عليهم السلام ؛ بل لنّ أميرالمؤمنين ـ حسب الروايات المتواترة الواردة عن كبار أهل السنّة ـ أعرف الأمّة و أعلمها بكتاب اللَه . و بناءً على هذا فانّ من المُسَلَّم لنّ المراد بالعباد المصطفين الذين أورثهم اللَهُ القرءان هؤلاء الأئمّة الطاهرين .

و بغضّ النظر عن ذلك فانّه وفقاً للحديث المتواتر بين السّنّة و الشيعة الذى جعل فيه النبىُّ عترته ملازمةً للقرءان و قرينةً له ، فانّه يتّضح لنّ المراد من العباد المصطفين عترة رسول اللَه :

إنِّى تَاركٌ فِيكُمُ الثَقلينِ كِتابَ اللَهِ وَ عِتْرَتِى أَهْلَ بَيْتِى لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَىَّ الحَوضَ [2].

١ـ الأية ٣٣ ، من السورة ٣ : ءال عمران

٢ـ يروى أحمد بن حنبل هذا الحديث عن حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين ، أوّلهما بداية ص ١٨٢ من الجزء الخامس من مسنده ، لكن العبارة هكذا : قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : انّى تارك فيكم خليفتين كتاب اللَه حبلٌ ممدود ما بين السمآء و الأرض او ما بين السماء الى الأرض و عترتى اهل بيتى و انّهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض . و ثانيهما فى نهاية ص ١٨٩ من الجزء الخامس من مسنده ، لكنّ عبارته بهذه الكيفيّة : قال النبىّ : إنّى تارك فيكم نليفتين كتاب اللَه و أهل بيتى و انّهما لن يفترقا حتّى يردا على الحوض جميعاً . و يقول فى تفسير (الدّر المنثور) ، ج ٦ ، ص ٧ : و أخرج الترمذى وحسن ابن الانبارى فىالمصاحف عن زيد بن أرقم رضى اللَه عنه قل : قال رسول اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى ، أحدهما أعظم من الأخر ، كتاب اللَه حبلٌ ممدودٌ من السماء الى الأرض و عترتى أهل بيتى ، و لن يفترقا ⇦

علاوة علـى الروايـات الكثـيرة الـواردة فـى علـم أمـيرالمؤمنين عليـه السّلام ، كالـحديث الوارد عن أمّ سلمة حيث قالت : قال النبيّ :

عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْءانِ و الْقُرْءانُ مَعَ عَلِيٍّ [١].

و حديث : **أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا** [٢].

و نظائرها من الروايات الواردة فـى علم أمـيرالمؤمين ، و الـتى تفيـد انّـه كان من وارثى كتاب اللَه من رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله .

امّا بشأن قوله تعالى :

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَهِ .

فمن الـجلّى لنّ الـمقصودَ بهـم أصحـاب الشـمال و أصحـاب اليمـين و الـمقربّون ، و مسلّماً فانّ الـمراد بالعباد الـمصطفين هـم الفئـة الثالثـة الذيـن سبقوا الـى الـخيرات .

و بناءً على هـذا فـانّ الضمـير فـى (منـهم) امّـا ان يكـون عـائداً الى (عبادنا) بدون قيـد الاصطفـاء ، أى انّ مطلـق عبادنـا ينقسـمون الـى ثـلاث مـجاميع ، لكنّ من بينهم السابقون الـى الـخيرات الذين كـانوا هـم الـمصطفين و ورثة الكتاب .

و امّا أن يعود الضمير فـى (منـهم) الى (الّذِيـنَ اصْطَفَيْنَـا مِـنْ عِبَادِنَـا) ، اى لنّ الطوائف الثلاث شركاء فـى وراثـة الكتـاب ، علـى الرغـم مـن لنّ الفئـة الثالثة ستكون العالـمة بالكتاب و الـمحافظة عليه و الوارث الـحقيقىّ له .

و لا مانع هناك أن يـكون القائـمون بكتـاب الـلَه والـمحافظون عليه فئةً

⇦ حتّى يردا علىّ الـحوض فانظروا كيف تـخلفونى فيهما .

١ـ (كنز العمال) ، ج ١٢ ، ص ٢٠٣ ، الـحديث ١١٥٢ ، طبعة الـهند ١٣٨٤ .

٢ـ (كنز العمال) ، ج ١٢ ، ص ٢٠١ ، الـحديث ١١٣٠ ، طبعة الـهند ١٣٨٤ .

خاصّة بينما تُنسب الوراثة الى الجميع ، كما فى الأية الكريمة الشريفة :

وَ أَوْرَثْنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ الْكِتَاب[1]، التى تنسب الوراثة الى بنىإسرائيل مع انّ نزول التوراة كان على موسى (عليه السلام) لا عليهم جميعاً ، ولكن باعتبار انّ موسى كان يعيش فى بنى اسرائيل ، فانّ نسبة إعطاء التوراة لبنى اسرائيل صحيحة تجوّزاً . و بناءً على هذا الاحتمال ، فسيكون المراد بعبارة (ظالمٌ لنفسه) أفراد المسلمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب السيّئات و المعاصى ، و ذلك لأنّه تبعاً لهذا الاحتمال فانّ فئة (ظالمٌ لنفسه) سيكونون من المصطفين ، لذا لا يمكن جعلهم من أصحاب الشمال ، بل هم من أصحاب اليمين ، غاية الأمر انّ فيهم بعض النقائص .

و على كلّ حال فلنعد الى أصل البحث ، و هو ان اميرالمؤمنين و الأئمة الأطهار باعتبارهم عباداللّه المصطفين ـ طبقاً للنصوص الصريحة التى نقلها أهل السنّة بأنفسهم عن كبار المحدّثين ـ فانّهم حارسو و حافظو كتاب اللّه . فالحافظ للقرءان و الوارث له هو الذى يمتلك مقامَ و منزلة رسول اللّه، و يمتلك قلباً كقلب رسول اللّه فى تحمّل تلك الحقائق واستيعابها .

و سنذكر هنا بعض الروايات التى أوردها علماء العامّة المعروفون فى كتبهم ليتضّح مقام أميرالمؤمنين عليه السلام و منزلته فى نظرهم .

فقد روى فى (ينابيع المودّة) عن جابر بن عبداللّه الأنصارى انّ الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و ءاله قال : **كَفُّ عَلِيٍّ كَفِّى**[2].

و من البيّن انّ المراد باليد الأثار المترتّبة على اليد من الأخذ و العطاء

١ـ الأية ٥٣ ، من السورة ٤٠ : المؤمن .

٢ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٥٢ .

و الكتابة و الحرب و غير ذلك ، و اجمالاً فانّ المراد به كلّ ما تفعله اليد . و لأنّ هذه الأفعال مترتّبة على إرادة النفس و اختيارها ، فانّ تساوى الكفيّن سيلازم المساواة فى جميع المبادئ و المراحل الفعليّة من الحالات النفسيّة و مكارم الأخلاق و الصفات الحسنة . و ورد أيضاً عن أبىبكر أن رسول اللَه صلى اللَه عليه و ءاله قال :

يَا أَبابَكر كَفِّى وَ كَفُّ عَلِىّ فِى الْعددِ سَواءٌ [١] . و فى رواية أخرى : **يا أبابَكْر كَفِى و كَفُّ عَلِىٍّ فِى العدلِ سَواءٌ** [٢] .

و بالطبع فانّ التساوى فى العدل كما بيّنا يتلازم مع تساوى الصفات النفسيّة و مكارم الأخلاق و الإطّلاع على السرائر ، الذى سينجم عنه فى مرحلة الفعل أن تكون أفعاله و سيرته كأفعال و سيرة النبىّ الأكرم .

و امّا التساوى فى العدد فهو كناية عن التساوى فى جميع مراتب القدرة و مراحلها ، فكلّ شىء يستطيع الرسول صلى اللَه عليه و ءاله فعلَه فانّ أميرالمؤمنين هو الأخر يستطيع فعله ، لأنّ اليد فى هذا التعبير الذى افتُرض لها عدد فيه معلولٌ للقدرة و ءالة لإجراء النوايا النفسانية و الإرادات الروحيّة .

و بناءً على هذا فانّ هذا التعبير يبيّن تساوى قدرة رسول اللَه مع قدرة علىّ عليه السلام ، و هكذا فانّ المعجزات العجيبة التى ظهرت على يد الرسول الأكرم موجودة كلّها فى مركز إرادة و قدرة علىّ عليه السلام .

يروى محبّالدين الطبرى فى(الرياض النّضرة) ، عن أنس بن

١ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٥٢ .

٢ـ و لا يُستبعد أنّ الحديثين كانا كلاهما (فى العدل) فصُحِّف أحدهما الى (فى العدد) .

مالك قال :

قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : مَا مِنْ نَبِىٍّ إلاّ و لَهُ نَظيرٌ فِى أُمَّته ، و عَلىٌّ نَظِيرى [1] .

و هذه الرواية تبيّن بأنّه لا يوجد أحدٌ فى جميع أمّة رسول اللَه يُماثله فى الصفات الروحيّة و الكمالات النفسيّة كعلىّ بن أبى طالب ، فقد كان مولى الموحدين وحده نظيراً لرسول اللَه صلى اللَه عليه و ءاله .

و جاء نظير هذه الرواية فى (ينابيع المودّة) عن أنس بن مالك برواية صاحب (الفردوس) : **قالَ رَسُولُ اللَهِ صَلّى اللَهُ عليه [و ءالهِ] و سلّم : مَا مِنْ نَبىٍّ إلاَّ وَ لَهُ نَظِيرٌمن أمّتى** ... الى أن قال **وَعَلِىٌّ بنُ أَبى طَالِبٍ نَظِيرِى** [2] .

و يقول فى(صحيح البخارى) فى باب مناقب علىّ :

قَال النبىُّ صلّى اللَهُ عليه [و ءالِه] و سَلَّم لِعلىّ : أَنْتَ مِنِّى وَ أَنَا مِنْكَ [3] .

و هذا التعبير يبيّن غاية الإتحاد و التلاحم مع علىّ عليه السلام ، كأنّ وجودهما كان وجوداً واحداً تجلّى فى جسميْن .

كما نقل ابن حجر الهيتمى المكىّ فى (الصواعق المحرقة [4]) ، عن البراء بن عازب ؛ و نقل محبّ الدين الطبرى فى (الرياض النضرة) انّ رسول اللَه صلّى اللَهُ عليه [و ءالِه] و سَلَّم قال : **عَلىٌّ مِنّى بِمَنْزِلَةِ رَأْسِى مِنْ بَدَنِى** [5] .

١ـ (الرياض النضرة) ، ج ٣ ، ص ١٥٣

٢ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٣٥ .

٣ـ (صحيح البخارى) ، ج ٢ ، ص ٢٩٩

٤ـ (الصواعق المحرقة) ، ص ١٢٣ .

٥ـ (الرياض النضّرة) ، ج ٣ ، ص ١٤٩ .

و هذا التعبير يدلّل على غاية الاتّحاد و التكاتف و التلاحم ، فرسول اللَه صلى اللَه عليه و ءاله يقول : كما انّ الجسم لاحياة له بدون الرأس ، فانّ حياتى مرتبطة و منوطة بحياة علىّ . و يروى فى (ينابيع المودّة) عن عبداللَه بن مسعود أن رسول اللَه قال :

عَلىٌّ مِنّى مثلُ رَأْسِى مِنْ بَدَنى [١] .

و يروى فى (ينابيع المودّة) عن أبى هُريرة أنّه قال :

كَانَ رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَهُ عليه [وء اِلهِ] و سَلَّم بَعَثَ بَعْثَيْنِ ، و بَعَثَ على أحَدِهِما عَلِيّاً وَ عَلَى الآخَرِ خالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ،

و قالَ : إذَا الْتَقَيْتُمْ فَعَلِىٌّ عَلَى النَّاس ، وإذا افْتَرَقْتُمْ فَكُلٌّ عَلَى جُنْدِهِ، فَلَقينا بَنى زُبيدة ، فاقْتَتَلْنا و ظَفَرْنا عَلَيْهم ، و سَبَيْنَاهُم ، فَاصْطَفَى عَلىٌّ مِنَ السَّبْى واحِدًا لِنَفْسِهِ .

فَبَعَثَنى خالِدٌ الى النَّبىِّ صلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم حَتّى أُخْبِره ذلكَ ، فَلَمّا أَتَيْتُ و أَخْبَرْتُهُ فَقُلْتُ : يا رَسولَ اللَه بَلَّغتُ ما أُرْسِلْتُ بِهِ ؟

فقالَ : لاَ تَقَعُوا فِى عَلىٍّ ، فَإنَّهُ مِنّى و أَنَا مِنْهُ ، و هُوَ وَلِيّى وَ وَصِيّى مِنْ بَعْدِى [٢] **. رواه الإمام أحمد فى مسنده .**

و روى ابن الأثير فى (أسد الغابة) [٣]، بسنده المتّصل عن عمران بن الحصين ؛ و القندوزى فى (ينابيع المودّة) [٤]عن (سنن الترمذى) عن عمران بن الحصين ؛ كما روى محبّ الدين الطبرى عن عمران بن الحصين [٥] قال :

---

١ ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٣٦ .

٢ ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٣٣ .

٣ ـ (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

٤ ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٥٣ و ٥٤ .

٥ ـ (الرياض النضرة) ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

بعث رسول اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم جيشاً ، و استعمل عليهم علىّ بن أبى طالب ، فمضى فى السريّة فأصاب جارية ، فأنكروا عليه ، و تعاهد أربعة من أصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم فقالوا : اذا لقينا رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم اخبرناه بما صنع علىّ . و كان المسلمون اذا رجعوا من السفر بدأوا برسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، فلمّا قدمت السريّة فسلّموا على رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ألم تَرَ الى علىّ بن أبى طالب صنع كذا و كذا ؟ فأعرض عنه رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، ثمّ قام الثانى فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثمّ قام الثالث فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا : **فَأقبَلَ إليهم رَسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه [و ءالِه] و سَلّم و الْغَضَبُ يُعْرَفُ فِى وَجْهِهِ ، فقالَ : ما تُريدُونَ مِنْ عَلِىٍّ ؟ مَا تُريدُونَ مِنْ عَلِىّ ؟ ما تُريدُونَ مِنْ عَلِىٍّ ؟ إنّ عَلِيّا مِنِى و أنَا مِنْ عَلِىّ ، وَ هُوَ وَلِىُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِى**[1] .

بلى ، أنّى لأولئك الذين لم يتحمّلوا رؤية علىّ و هو يأخذ تلك الأمّة بينما كان قوام الإسلام مرهوناً بتضحياته الفريدة ، أن يتحمّلوا رؤيته عليه السلام و هو يتزعّم جميع المسلمين فى العالم و يُمسك بيده زمام أمور المسلمين ؟!

لذا فقد فعلوا معه ما فعلوا ، فقضى ثلاثين عاماً مُمتحناً يتجرّع الغصص ، الى أن انهالوا بالسيف على مفرقه الشريف و هو فى محرابه ، و دفنوا تلك الروح الكليّة والحياة السرمديّة تحت الأرض ، فبكى فى عزائه

١ـ يبيّن فى كتاب (علىّ و الوصيّة) من ص٣٥٢ الى٣٥٤ موارد عديدة شكى فيها البعضُ أميرالمؤمنين الى رسول اللَه فتغيّر صلوات اللَه عليه وءاله وردعهم و هدّدهم و سمّى عليّاً أخاً و وصيّاً و ولىّ كلّ مؤمن .

قلوب الجنّ و الإنس و وحوشُ الفلوات و طيور السماء .

يكتب ابن الأثير : **وَ أَنْبَأَنا جَدّى ، حَدَّثَنا زَيْدُ بْنُ عَلىّ عــن عُبيدِاللَــهِ بن موسى ، حَدَّثَنا الــحَسنُ بنُ كثير عَنْ أبيه قالَ : خَرَج عَلِيٌّ لِصَلوةِ الفَجْرِ فَاسْتَقْبَلَهُ الأُوزُ يَصِحْنَ فِى وَجهِهِ ؛ قالَ : فجَعَلْنا نَطْرُدهنَّ عَنْهُ .**

فقالَ : دَعوهُنَّ فإنَّهُنَ نَوائحٌ ؛ وَ خَرَجَ فَأُصِيبَ [١].

بلى لقد بكت طيور السماء و وحوش الفلــوات فــى عــزاء ابنــه أيضــاً ؛ يقول ابن شهر ءاشوب : و دفن جثثهم بــالطفّ أهــلُ الغاضريّــة مــن بنـــى أسـد بعد ما قتلوه بيوم ، و كانوا يــجدون لأكثرهم قبوراً ، و يرون طيوراً بيضاً [٢].

يروى الــمجلسى رضوان اللّه عليه عــن بعــض مؤلّفــات الأصحــاب انّــه روى عن طريق أهل البيت :

أَنَّهُ لَمَّا استُشهدَ الْحُسَيْنُ عليه السلامُ بَقِىَ فِى كَربَلا صَرِيعًا ، وَ دَمُــهُ على الأرضِ مَسْفوحًا ، وَ إذا بطاير أَبْيَض قَد أَتَى وَ تَمَسَّحَ بدَمِهِ ؛ وَ جَاءَ وَ الدَّمُ يَقْطُرُ مِنهُ فَرَأى طُيُوراً تَحتَ الظَّلَالِ عَلَى الغُصُونِو الأَشْــجارِ ، وَ كُــلٌّ مِنهُم يَذْكُرُ الْحَبَّ والْعَلَفَ و الــمَاءَ .

فَقَالَ لَهُم ذَلِكَ الطَّيرُ الــمُلَطِخُ بالدَّم: يَا وَيْلَكُمْ ! أَتشتغِلُونَ بالــمَلَاهى، وَ ذكْرِ الدُّنيَا والــمَناهى،وَ الــحُسَيْنُ فِىأَرْضِ كَرْبَلاَ فِىهذَاالــحَرِّمُلقَىً عَلى الرَّمضاء ظَامِئٌ مَذبُوحٌ وَ دَمُهُ مَسْفُوحٌ .

فَعَادَت الطُيورُ ، كُلٌّ مِنهُم قَاصِدًا كَرْبلاَ ؛ فَرَاَوا سَيَّدَنَا الْحُسَينَ عَلَيْــه السّلامُ مُلْقَىً فِى الْأرضِ جُثَّةً بلا رَأْسٍ وَ لاَ غُسلٍ وَ لاَ كَفَنٍ ،قَدسَــفَّتْعَلَيهِ الــسَّوافى، وَ بــدَنُهُمَرْضُوضٌ،قَدْهَشَمَتْهُ الْخَيلُ بحَوَافِرِهَا ؛زُوَّارُهُ وُحُوشُ

١ـ (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص ٣٦ .

٢ـ (الــمناقب) ، ج ٢ ، ص ٢٢٤

الْقِفَارِ ، وَ نَدَبَتْهُ جِنُّ السُّهُولِ و الأَوْعَارِ ، قَدْ أَضَاءَ التُّرابُ مِـن أَنـوارِهِ ، وَ أَزْهَرُ الـجَوُّ مِن أَزهَارِه .

فَلَمَّا رَأَتهُ الطُّيورُ تَصَايَحْنَ ، وَ أَعْلَنَّ بالْبُكاءِ والثُّبورِ وَ تَوَاقَعْنَ عَلـى دَمِهِ يَتَمَرَّغْنَ فِيهِ ، وَ طارَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى نَاحِيَةٍ يُعْلِمُ أَهْلَهَا عَنْ قَتْلِ أَبـى عَبْدِاللَهِ عليه السّلامُ [1] .

و نقرأ فـى زيارته عليه السّلام فـى أوّل رجب :

يَا أَبَا عَبدِاللَهِ ، أَشْهَدُ لَقَدِ اقْشَعَرَّتْ لِدِمَائِكُمْ أَظِلَّةُ العَرْشِ مَـعَ أَظِلَّـةِ الْخَلائِقِ ، وَ بَكَتْكُمُ السَّمَاءُ و الْأَرضُ و سُكَّانُ الـجِنَانِ وَ البَرِّ وَ البَحْرِ .

صَلَّى اللَهُ عَلَيْكَ عَدَدَ مَا فِى عِلْمِ اللَهِ ، لَبَّيْكَ دَاعِىَ اللَهِ ، إِنْ كَانَ لَمْ يُجِبْكَ بَدَنِى عِندَ اسْتِغاثَتِكَ ،وَ لِسَانِى عِنْدَ اسْتِنْصَارِكَ، فَقَد أَجَابَكَ قَلْبِى وَ سَمْعِى وَ بَصَرِى ، سُبحَانَ رَبِّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً [2] .

(بدين وعده گر جان فشانـم رواست.) [3]

فَبَشِـيرِى لَـوْ جَـاءَ مِنـكَ بِعَطْـفٍ
وَ وُجُـودِى فـى قَبْضَتِـى قُلْـتُ هَاكَـا

بشـكر ءانكـه شكفتـى بكـام بـخت اى گـل
نسـيم وصـل ز مـرغ سـحَر دريـغ مَـدار [4]

١ـ (بـحار الأنوار) ، الطبعة الكمبانـى ، ج ١٠ ، ص ٢٤١ .

٢ـ ذكر ابن طاووس هذه الزيارة فى ليلة النصف من شعبان فـى (الإقبـال) ، ص٧١٢ ، و قال انّها زيارة يُزار بـها أوّل رجب ، ولكن لأن النصف من شعبان أعظم لذا فقد ذكرها فيـه . كما ذكرها الـمحدّث القمّى فـى (هديّة الزائرين) ، ص ١١٣ .

٣ـ يقول : لو نثرتُ روحى لـهذا الوعد كان منّى حريّاً .

٤ـ يقول : لكى تشكرى أنّك أزهرتِ ـ ياوردةً ـ كما يتمنّى لك الحظّ ، فلا تبخلى عـن طائر السَحَر بنسيم الوصال !

الدَّرسُ الثّالِثُ

في امتيازاتِ العبادِ المصطفين

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَه الحكيم فى كتابه الكريم :

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا [1].

يمتلك الإنسان أعضاء و جوارح مختلفة ، كما يمتلك غرائز و صفات متفاوتة ، كالغضب و كالرغبة فى الطعام ، و الدفاع عن النفس ، و حبّ الجاه و سائر اللذائذ ، و غريزة الإنتقام و العبوديّة و الإيثار و غير ذلك .

و من البيّن انّه يجب ان يستخدم كلّ واحد منها فى محلّه المناسب ، و يصرفه بقدرٍ معيّن ، و الاّ أصبح ذلك باعثاً على ضرره و هلاكه ، و السبب فى ذلك عدم استخدامه لقوى العقل و الإدراك .

فلو أحبّ شخصٌ ما ـ مثلاً ـ عند تناول طعامه أن يتمتّع بشكل كامل و بلا حدٍّ معيّن بلذائذ الأطعمة ، فانّه سيموت نتيجة الإفراط فى الأكل و الشرب ؛ و لو انّ شخصاً لم يتبع عقله فى إعمال غريزته الجنسيّة ، فانّه

١ـ الأية ٢٦ الى ٢٨ ، من السورة ٧٢ : الجنّ .

سيتهاوى فى أحضان الموت بسبب الإفراط فيهلك .

إنّ إحدى الغرائز فى الإنسان هى حبّ اللّه و الوصول إلى كمال الإطمئنان ، و الفوز بلقاء اللّه و الوصول إلى مقام عزّه ؛ و ما لم يصل الإنسان الى هذه الغاية فانّه لن يهدأ و لن يستقرّ .

و يحتاج الانسان من أجل الوصول الى هذا المقام الى مجاهدة النفس الأمّارة ، أى إلى أن يكون مراقباً لنفسه كلّ لحظة لئلاّ يرتكب أىّ عمل مخالف لرضا اللّه تعالى ، و لكى يكون عمله صالحاً حسناً ؛ فالإخلاص فى العمل الصالح هو الوسيلة الوحيدة لإدراك المقصود ؛

فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَ لاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحَدًا [١].

فيُعرض فى كلّ خطوةٍ يخطوها عن نزوات النفس و تزيين إبليس ، و يتوكّل على اللّه و يُوكل قلبه اليه ، و يبعد الخواطر الشيطانيّة عن ضميره ، و يُسكّن نفسه المضطربة الجيّاشة بذكر اللّه تعالى .

و يحتاج هذا العمل الى مجاهدة النفس ، و الوصول الى منزل الإخلاص ليُصبح من المخلصين ، فلا يحسب له هدفاً فى جميع الامور من العبادات و غيرها الاّ اللّه تعالى ، و يكون عمله خالصاً لوجهه الكريم .

و ذلك لأنّ قلب الإنسان لا يخلو من هجوم الأفكار و الخيالات الواردة على القلب ، حتّى حال السكون و الإستراحة ، إذ يهجم سيل الخواطر على قلب الإنسان بدون اختياره ، و لا تكفّ هذه الخواطر عنه حتّى حال نومه .

و لذلك ينبغى على الانسان من أجل تسكين القلب و تهدئته ، أن

٢ـ ذيل الأية ١١٠ ، من السورة ١٨ : الكهف .

يقاوم هجوم الخواطر بذكـر اللّـه و المجـاهدة القويّـة للنفـس ، و أن يحفـظ قلبـه عن أن تتصـرّف فيـه ، و أن يكـفّ نفسـه عـن نواياه الشـخصيّة كـلّ لحظـة ، فيرجحّ اختيار البارى و رضاه على اختياره و رضاه .

و اذا ما تـمكّن الانسان ـ بعـون اللّـه و توفيقـه ـ مـن الصمـود فى هـذه المرحلـة ، و فى الاسـتمرار فى مجاهدتـه ، فـانّ جميـع مراتـب عبـادة الأنـا و الإستكبار و النزعـة الإسـتقلاليّة فيـه سـتودّع و تنصـرف ، فيحـلّ محلّـها ذلُّ العبوديّـة نسـبةً لسـاحة المعبـود ، و روح طلـب اللّـه و الفاقـة اليـه سـبحانه ، و سيخرج من عبادة نفسه الى عبادة اللّه و يشـاهد فى نفسـه حقيقـة العبوديّـة ، فيسـكن قلبـه و يكـفّ عـن التقلّـب و الجيشـان ، و يُـهدى مـن الإضطـراب والحيرة الى الاطمئنان و السكينة ، و يصبـح وجـوده و سـرّه منزّهـاً و طـاهراً ، لا تعرف الخواطر الشيطانيّة طريقها اليـه ، و لا تـرده سـائر الخواطـر الاّ بإذنـه ، و لا تنفذ فيه الّا بإجازته .

و ذلـك لأنّ القلـب سـيصبح ءانـذاك منزّهـاً مصقـولاً بصقـل المحبّـة و العبوديّـة ، لـذا فـانّ الجمـال و النـور الالهـى سـيكونان مشـهوديْن فيـه ، و سـيصبح مـرءاةً يعكـس ذات و أسمـاء و صفـات المعبـود ، و هـذا هـو مقـام المخلصين الذى هو أعلى و أسمى المقامات .

و تبعاً للأيات القرءانية فانّ هذه الفئة تمتلك خصائص معيّنة هى :

أوّلًا : لنّ الشيطان و النفس الأمّارة لا سـلطان لهمـا عليـهم ، فقـد يئسـا منهم يأساً تامّاً ، فلا يسـتطيعان النـفوذ أو التـأثير فى نفـوسهم و لو بأدنـى قدر .

وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إلاَّ عَبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [1].

قَالَ فَبِعِزَّتِّک لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إلاَّ عِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [2].

١ـ الأية ٣٩ و ٤٠ ، من السورة ١٥ : الحجر .

٢ـ الأية ٨٢ و ٨٣ ، من السورة ٣٨ : ص .

انّ الشيطان يعترف هنا بعجزه عن حرفهم عن طريقهم ، لأنّ قلوبه صارت محّلاً للَه ، و جلىٌّ أنّ مثل هذا المكان لا قدرة للشيطان على الاستيلاء عليه أو التصرّف فيه . و سيكون هؤلاء الافراد مصونين محفوظين دائماً فى حرم اللَه من كلّ ذنب فعليّاً كان أو قوليّاً أو فكريّاً أو قلبياً أو سرّيّاً. كما انّهم سيخلون من كلّ خطأ وذنب، و سيكون فعلهم فعل الحقّ ، و لسانهم لسان الحقّ ، و أعينهم أعين الحق ، و ءاذانهم ءاذان الحقّ ؛ و فى النهاية فانّ مركز وجودهم متعلّق بحضرة الحقّ ، و ستكون بيوت قلوبهم و أسرارهم كلّها مسلّمة خالصة للَه المنّان .

و جلىٌّ أنّ وارداتهم القلبيّة بإذن الحقّ و أمره ، و كلّ ما يتلقّاه ضميرهم من العوالم العلويّة ، سواءً فى هيئة الوحى و تشريع الشريعة ، أو بعنوان إدراك المطالب الكليّة و العلوم الحقيقيّة و الاطّلاع على الأسرار والمغيّبات ، و ذلك من شأن الإمام و أولياء اللَه ؛ و على كلّ حال فانّ قلوبهم ستكون معصومة و عارية عن كلّ خطأ أو ذنب .

و ثانياً : باعتبار انّ أفكارهم و أسرارهم قد اتّسعت ، و انّهم قد اجتازوا جميع مراحل الوجود و تحقّقوا بذات الحقّ ، فانّهم ـ لذلك ـ يستطيعون أن يحمدوا اللَه و يُثنوا عليه كما يليق بذاته المقدّسة .

سُبْحَانَ اللَهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إلاَّ عِبَادَ اللَهِ الْمُخلَصِينَ [1].

ذلك لأنّ كلّ موجود يريد حمد اللَه فانّه يحمده حسب استعداده و ظرفيّته ، و بقدر فكره و علمه ، و حضرة الحقّ أعلى من مقدار و مدى علمه و ظرفيّة وجوده ، لذلك فانّ أىّ موجود لن يستطيع أن يحمده كما يليق به و كما هو شأنه ؛ و عليه فانّ التسبيح ينبغى ان يقترن دوماً بالحمد ،

١ـ الأية ١٥٩ و ١٦٠ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .

أى انّنا فى نفس اللحظة التى نحمدك فيها و نُثنى عليك بجميع مراتب الجمال و الكمال ، فانّنا نُنزّهك و نقدّسك عن أن يكون حمدنا لائقاً بمقام عزّك و جلالك و عظمتك :

سُبْحَانَ رَبِّىَ الْأَعْلَى وَ بِحَمْدِهِ ـ سُبحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ وَ بِحَمْدِهِ ـ وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ[1].

فرعد السّماء و الملائكة يُسبّحون اللَه مع حمدهم له على الدوام ، وذلك خوفاً منه و إحساساً بحقارتهم أمام عظمته :

وَ إِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ[2].

إنّ جميع الموجودات بلا استثناء تعترف بتحميدها و تمجيدها بعدم وصول الحمد و الشكر الى ساحة قُدسه ، و لذا فانّها تقوم ـ مع حمدها ـ بالتنزيه و التقديس و تعتبر ذات البارى المقدّسة أعلى و أنزه من أمثال هذا الحمد . أمّا عباداللَه المخلَصين الذين لا يُشاهد فيهم أىّ جانب مستقلّ للوجود ، فقد صار وجودهم وجوداً للحقّ ، و قلوبهم عرشاً لذاته ؛ فانّهم يستطيعون أن يحمدوا اللَه كما يليق به . و فى الحقيقة فانّ اللَه يحمد نفسه بنفسه .

و هذا التقريب لا يُنافى جملة (**مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ**) ، لأنّ مفاد هذه الجملة عرض الذلّ و الفقر فى عالم الإمكان و الكثرة ، كما انّ مفاد :

سُبْحَانَ اللَهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَهِ الْمُخْلَصِينَ[3].

هو تحقّق الفناء الحقيقى فى جميع مراتب الأسماء و الصّفات و ذات

١ـ صدر الأية ١٣ ، من السورة ١٣ : الرعد .

٢ـ ذيل الأية ٤٤ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٣ـ الأية ١٥٩ و ١٦٠ ، من السورة ٣٧ : الصافّات

الحضرة الأحديّة ، و فى ذلك المقام للفناء المطلق ، فانّ أدنى شائبة للوجود و لإظهار الأنانيّة هى الكفر و الشرك ، و ما أبعد ذلك عن ساحة إخلاص المخلَصين !

و ثالثاً : فليس هناك مؤاخذة أو محاسبة و لا استجواب لهؤلاء ، و ليس هناك سؤال فى القبر و لا منكر و نكير ، و لا حشر و لا عرض ، و لا كتاب ولا ميزان و لا صراط :

فَإِنَّهُمْ لَمَحْضُرونَ * إلاَّ عِبَادَ اللَهِ الْمُخْلَصِينَ [1].

فكلّ بنى الإنسان يحضرون امام عدل اللَه و يُسألون و يُعرضون الاّ عباد اللَه المخلَصين الذين لا سؤال لهم و لا عرض ، لأنّهم تخطّوا محلّ المؤاخذة و السؤال بمجاهداتهم النفسانية و إخلاصهم فى العمل و القول و الفكر و السرّ ، و وردوا فى حرم اللَه فى المحلّ الرفيع المعدّ للمخلَصين ، و استقرّوا هناك .

و فى الحقيقة فانّ الإنسان الذى سلّم وجوده للَه ، فلم يبقَ له شىء ليُسأل عنه ، بل لانّ السؤال و الكتاب للذين فيهم شوائب من الربوبيّة ، و الذين بدرت منهم أعمال تبعاً لتلك الشوائب ؛ امّا الّذى لم يبق فيه غير حقيقة العبوديّة المحضة ، و الذى تضجّ جميع مراتب وجوده بالنداء بفقره و حاجته و فاقته و ذلّ عبوديّته ، فكيف يُتصوّر له الحضور و السؤال ؟!

هؤلاء العباد لا يموتون ، بل هم أحياء دوماً بحياة الحقّ ، لأنّهم أصبحوا وجه اللَه و صاروا خلفاءه و مُظهرى ذاته . و من الجلىّ انّ الهلاك و البوار فى المراحل التى يكون فيها الوجود غير وجود الحقّ و غير وجهه .

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إلاَّ

١ـ الأية ١٢٧ و ١٢٨ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .

مَن شَآءَ اللَهُ [1].

وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السّمَواتِ وَ مَنْ فِى الأَرْضِ إلاَّمَن شَآءَ اللَهُ [2].

و يُلاحظ فى هاتين الأيتين أنّ اللَه سبحانه و تعالى قد استثنى فئةً ، و هم الذين تعلّقت بهم مشيئة اللَه فلا يريد لهم الهلاك ، فلا خوف و لا هلاك لهم .

و نشاهد من جانب ءاخر أنّ اللَه سبحانه و تعالى يقول انّ جميع الموجودات ستهلك بلا استثناء الاّ وجه اللَه .

كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إلَّا وَجْهَهُ [3].

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالجَلَالِ وَ الإكْرامِ [4].

و نستنتج من هاتين الأيتين و اللتين قبلهما بأنّ نفس الأفراد الذين أخلصهم اللَه و الذين لا يموتون بواسطة النفخ فى الصور ، هم الذين أصبحوا ـ بكلّ معنى الكلمة ـ وجه اللَه و مُظهرى أمره ، أى أولياء اللَه والمقرّبين اليه .

و بضمّ هذه النتيجة الى الأية السابقة القائلة :

فَإنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إلَّا عِبَادَ اللَهِ الْمُخْلَصِينَ .

فاننا نستفيد بأنّ عباداللَه المخلصين ليس عليهم سؤال و لا استجواب و لا موت و لا إنعدام ، بل هم أحياء دوماً بحياة الحق ، حياةً سرمديّة دائمة .

رابعاً : انّ اللَه العلىّ الأعلى لم يجعل لعباده المخلَصين جزاءً محدوداً

١ـ صدر الأية ٨٧ ، من السورة ٢٧ : النمل .

٢ـ صدر الأية ٦٨ ، من السورة ٣٩ : الزُّمر .

٣ـ مقطع من الأية ٨٨ ، من السورة ٢٨ : القصص .

٤ـ الأية ٢٦ و ٢٧ ، من السورة ٥٥ : الرحمن .

أو معيّناً ، لأن كلّ ما سيُعطيهم من الجنّة و نعيمها أقلّ من مقامهم و منزلتهم ، بل لنّ جزاءهم نفس الذات الأحديّة و مشاهدة أنوار جمالها فقط .

وَ مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَهِ الْمُخْلَصِينَ [١].

جزاؤهم لا يعدّ و لا يُحصى ، لأنّهم اجتازوا النفس و عالم المقدار و وصلوا الى بحر العظمة و الجلال ، لذا فانّ نفس التحقّق فى ذلك المقام هو جزاؤهم اللامتناهى الذى لا حدّ له .

و الخلاصة فانّه يُستفاد من هذه الأيات التى وردت فى شأن المخلَصين و مقامهم و منزلتهم ، أنّ المخلَصين من عباداللَه هم غير سائر العباد من جميع الوجوه ، لأنّهم مصونون بصيانة الربّ ذى الجلال ، فليس فيهم لَىّ ءافة من الذنب و المعصية التى تنجم عن سيطرة الشيطان و النفس الأمّارة . و هذا هو معنى العصمة من الذنوب التى يبيّنها اللَه تعالى فى القرءان الكريم .

كَذَالِكَ لنصرفُ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ [٢].

اى انّنا حفظنا يوسف عليه السلام من الابتلاء بالذنب مع زليخا ، لأنّه كان من عبادنا المخلَصين ؛ فكلّ من ينال مرتبة و مقام المخلَصين إذن سيكون محفوظاً و مصوناً من قبل اللَه تعالى من كلّ مُنكر و قبيح . يُضاف الى ذلك أنّ حياتهم باعتبارها قد أصبحت حياة الحقّ ، و انّهم قد اجتازوا عالم المقدار ، فليس فيهم بَعْدُ وجودٌ للخواطر المغيّرة و المبدّلة للنفس ، فانّهم سيمتلكون مقام العصمة فى تلقّى المعارف الالهيّة و العلوم الكليّة و حفظها و إبلاغها ، و سيكونون مصونين بصيانة الحضرة الأحدية .

١ـ الأية ٣٩ و٤٠ ، من السورة ٣٧ : الصّافّات .

٢ـ ذيل الأية ٢٤ ، من السورة ١٢ : يوسف .

و يمكن الاستفادة من الأية الشريفة التى ذكرناها فى مطلع الدرس فى اثبات جميع المراتب الثلاثية للعصمة فى الذين بُعثوا لهداية الناس و إرشادهم .

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ .

اى اولئك الذين يصبحون من جميع الجهات ، و من زاوية العقائد ، و من زاوية الصفات النفسيّة و الروحيّة مورد رضا اللَه سبحانه ، و اولئك الذين نالوا مرحلة العبوديّة المحضة ، و خرجوا عن الغرور و العُجب و الأنانيّة فى جميع المراحل ، فأصبحوا مرضيّين من قبل اللَه .

و معلومٌ انّ الإنسان ما لم يصل الى هذه المنزلة ، فانّه لن يصبح مورداً للإرتضاء المطلق من ربّه [1]، و هذه هى مرتبة المخلَصين . و فى هذه الحالة

١ـ و يرد هنا هذا السؤال : كيف يكون المراد بالإرتضاء هو الإرتضاء المطلق ، بينما المراد بالإرتضاء فى الأية ٢٨ من سورة الأنبياء : (**وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**) ارتضاءً فى الدين و العقيدة ؟

و الجواب : لأنّ الشفاعة عائدة لأهل المعصية ، و هى الكبائر ، بدليل الأية ٣٢ من سورة النجم : **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ** ؛ التى تعدّ من المحسنين الذين يجتنبون الكبائر فقط . و قد قال الرسول صلّى اللَه عليه و ءاله : (شفاعتى لأهل الكبائر من أمّتى ، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل) . و جاء فى سورة النساء ، الأية ٣٠ :

إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ؛ و على ذلك فانّ نفس الاجتناب عن الكبائر مكفّر للسيّئات و المعاصى الصغيرة .

و علي هذا الأساس فانّ المراد بالإرتضاء فى ءاية الشفاعة لابدّ ان يكون ـ بمناسبة الحكم و الموضوع ـ الإرتضاء فى الدين و العقيدة لا الإرتضاء فى السرّ و الذات و العمل ، لأنّ الذى تصبح ذاته و سرّه مورداً للإرتضاء فليس هناك من معنى للشفاعة له . و يؤيّد هذا المعنى الروايات الواردة عن علىّ بن موسي الرضا عليه السلام ، التى يفسّر فيها الإمام الإرتضاء فى ءاية الشفاعة بالإرتضاء فى الدين (فى تفسير الميزان ، المجلّد الاول ، ⇦

فانّ اللَه سيكشف له الستار و الحُجب القلبيّة و يُطلعه علـى علـم غيبـه و علـى كلّ ما هو خارج عن متناول يد جميع أفراد الجنّ و الإنس و الملائكة .

و بـالطبع فـلأنّ اللَـه يُفـهم الإنسـان علمـه الغيـبيّ دون أى تغيـير أو تبديل ، و دون أى نقص أو خلـل ، فـإن قلبـه ينبغـى أن يقـع فى مقـام عصمـة اللَه و صيانته ، و الاّ لتصرّف بنفسه فى تلقّـى ذلـك العلـم و لانحـرف و بـدّل فى أخذه ، و هذه هى مرحلة العصمة فى تلقّى المعارف الحقّـة : **فَإِنَّـهُ يَسْـلُكُ مِـنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالتِ رَبِّـهِمْ وَ أَحَـاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا** [١].

و لأنّ قلبه صافٍ و بعيد عن متناول يـد الشـيطان ، فانّـه ـ بعـد التلقّـى الصحيح ـ سيحفظ كلّ تلـك المعـارف و العلـوم الكليّـة و يحوّلهـا و ينقلـها كمـا أخذها ، و هذه هى مرحلة فى تبليغ و إيصال الأحكام و المعارف .

فاللَه سبحانه و تعالى يجعل رصـداً و حرّاسـاً فى أطـراف قلبـه و جوانبـه و بين يديه و من خلفه لكى لا تؤثـرّ فيـه إلقـاءات الجـنّ و الإنـس ، و لا تجـد وساوس النفس و ابليس سبيلاً إلى قلبـه ، و هـذه هـى المصونيّـة الالهيّـة ، لأن اللَه اذا وكلَ الإنسان الى نفسه و رفع يده عـن حمايتـه و حفظـه ، فانّـه سـيواجه ءالاف الأفات ، فذلك القلـب محفـوظ عـن جميـع الشـرور ، **مِـنْ شَـرِّ الْخَنَّـاسِ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِـى صُـدُورِ النَّـاسِ** ، و مـن شـرّ جميـع مـا خلـق ، و **مـن شَـرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ و حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ؛

لايـؤثّر عليـه سحـرٌ ولا طـلسمة ، ولا قدرة النفس الأمّارة بالسوء أبداً .

⇦ ص ١٧١ فما بعد ، و الـمجلّد الرابع عشر ، سورة الأنبياء الأية ٢٨ ، روايات تدلّ على هـذا المقصود) . و تبقى ءاية الإرتضاء تلك حول علم الغيب باقيةً علـى إطلاقـها بمناسـبة الحكـم و الموضوع ؛ امّا بشأن الشفاعة فانّها سيكون لها كذلك إطلاق فى الدين و العقيدة .

١ـ الأية ٢٧ و ٢٨ ، من السورة ٧٢ : الجنّ .

و لو اجتمعت المخلوقات و اتّحدت لحرفه عن مقصده و مسيره ، او لتتصرّف فيه خلافاً للعلوم الكليّة و المعارف الحقّة ، او لتغيّر معلوماته و إدراكاته ، فانّها لن تفلح و لن تستطيع ، و ذلك لأنّ قلب المؤمن تحت مصونيّة اللَه و رصده ، فقد عين اللَه موكّلين لحراسته و لحفظه من بين يديه و من خلفه ، و ذلك من أجل ان يقوم بتبليغ رسالات اللَه و أحكامه بصورة صحيحة و كاملة ، لكى لا يتخطّى هؤلاء المؤمنون وظيفتهم ؛ واللَه سبحانه محيطٌ بجميع أمورهم و مطّلع على جزئيّات و كليّات إنجازاتهم و أمورهم ؛ و هذه هى مرحلة العصمة فى التبليغ و التحويل .

و امّا مرحلة العصمة من المعصية ، فهى أيضاً غير خارجة عن مدلول الأية بالتقريب السّابق ، و ذلك لأنّه اذا ما ارتكب رسولٌ ذنباً فانّه سيكون بفعله قد أعلن ترخيصه له ؛ و لأنّه قد أعلن حُرمة ذلك الذنب قبلاً بقوله و كلامه ، فانّه سيكون قد دعا الى متناقضين ؛ و المتناقضان ليسا حقّاً ، بل انّ من المسلّم انّ أحدهما باطل ، فى حين انّ قلب رسول اللَه مُصان عن تلاعب الشيطان ، فقد كان و سيبقى متحقّقاً بالحق .

و تبيّن ملائكة الوحى هذه الحقيقة للرسول فى سورة مريم :

وَ مَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّکَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِکَ وَمَا كَانَ رَبُّکَ نَسِيًّا [1].

و هكذا فانّ المطالب التى ذكرت تُثبت عصمة الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام فى جميع المراحل ، بل و تثبتها كذلك للخاصّين و المقرّبين من أولياء اللَه تعالى .

مقام أميرالمؤمنين عليه السلام :

أمّا بالنسبة الى أميرالمؤمنين عليه السلام ، فهو قائد للمعارف الحقّة

١ـ الأية ٦٤ ، من السورة ١٩ : مَريم .

و صاحب لواء الحمد ، و السابق فى مراحل التوحيد ؛ فقد جاء بـه اللَـه سبحانه فى بيته و حرمه (الكعبة) بعـد أن حفـظ نـوره المقـدّس فى الأصـلاب نسـلاً بعـد نسل ، من ءادم الى أبى طالب .

اسمـه المبـارك : علـىّ ؛ و كُنيتـه : أبوالحسـن ؛ و والـده : أبوطـالب بـن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ و أبوطـالب أخـو عبداللَـه والـد الرسـول ، و عـلى هذا فانّه ابن عمّ رسول اللَه ، تـجتمع نسبتهما فى جدّهـما عبدالـمطلب .

و كان أبوطالب من أكابر أهـل مكّـة و ممّـن خدمـوا رسـول اللَـه ، فقـد كـان يحـامى عنـه بحيـث أنّ أحـداً مـن مشـركى قريـش لم يسـتطع أن ينـال الرسـول بـأذى فى حيـاة أبى طـالب و كـان أبوطـالب يحفـظ النـبىّ و يحرسـه و سـائر بـنى هاشـم لمـدّة ثـلاث سـنوات فى الشـعب المعـروف بشـعب أبىطالب ، و كان يفـدى رسـول اللَـه بنفسـه و يحميـه حتّـى رحـل عـن هـذه الدنيا ، و عندها تطـاولت الأيـادى المتجـاوزة و المتجاسـرة علـى رسـول اللَـه من قبل المشركين ، فأُجبر النبىّ الأكرم على الهجرة الى المدينة .

و كـان أبوطـالب مـن المؤمنـين الواقعيـين و المسـلمين الحقيقيـين برسول اللَه [١]، و أشعاره الـتى نظمـها فى مـدح رسـول اللَـه كثـيرة و مثبتـة فى كتب الأحاديث و التاريخ ، لكنّه كان يكتـم إيمانـه عـن قريـش لأسـباب ، مـن أهمها المحافظة علـى رسـول اللَـه و حراسـته ، و كـان الرسـول كثـير المحبّـة لـه وكان يخاطبه بـ (أبى) .

١ـ يُرجع الى كتاب (أبوطـالب مؤمـن قريـش) تـأليف عبداللَـه الخنـيزى ، و كتـاب (الحجّة على الذاهب الى تكفير أبى طالب) تأليف فخار بن سعد بن فخـار الموسـوىبن معـد الموسوى الحائرى الذى يروى عن ابن ادريس الحلّى ، و يروى عنـه المحقّـق الحلّـى ، و يرجـع كذلك الى كتاب (أبوطالب حامى الرسـول و نـاصره) تـأليف العلّامـة نجـم الديـن الشـريف العسكرى .

اسم والدته : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ؛ و لأنّ أسد كان أخاً لعبد المطّلب ، لذا فانّ أباطالب و فاطمة كانا ابنى عمّ بعضهما . و كانت فاطمة بنت أسد والدة أميرالمومنين من أعلام النساء المسلمات ، وهى أوّل امرأة ءامنت برسول اللَه بعد خديجة ؛ و كانت تحبّ رسول اللَه كثيراً ، و كان الرسول يخاطبها بـ (أمّى) .

فاطمة بنت أسد أوّل امرأة هاجرت من مكّة الي المدينة :

يقول ابن الجوزى : وَ هِىَ أَوّلَ امْرَأَة هَاجَرَتْ مِن مَكَّةَ إلَى الْمَدِينَةِ مَاشِيَةً حَافِيةً ، وَ هِىَ أَوَّلُ امْرَأَة بَايَعَتْ رَسُولَ اللَهِ صَلّى اللَهُ عليه [وء اِلَه] وَسَلَّم بِمَكَّةَ بَعْدَ خَدِيجَةَ [1] .

و يقول ابن الصبّاغ المالكى : فاطمة بنت أسد ، أسلمت و هاجرت مع النبىّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، و كانت من السابقات الى الإيمان بمنزلة الأم من النبىّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ... فلمّا ماتت كفنّها النبىّ صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم بقميصه ، و أمر أسامة بن زيد و أبا أيّوب الأنصارى فحفرا قبرها ، فلمّا بلغا لحدها حفره رسول اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم بيديه و أخرج ترابه ، فلمّا فرغ اضطجع فيه و قال :

اللَهُ الَّذِى يُحْيِى و يُمِيتُ وَ هُوَ حَىٌّ لاَ يَمُوتُ اللَّهُمَ اغْفِرْ لِأُمِىّ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَ لَقِّنْهَا حُجَّتَهَا وَ وَسِّعْ عَلَيهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نبيّكَ مُحَمَّدٍ وَ الأنبياء الَّذِينَ مِن قَبْلِى فَإنَّكَ أَرْحَمُ الرَاحِمِينَ [2] .

فقيل [3] : يا رسول اللَه ! رأيناك صنعت شيئاً لم تكن صنعته بأحد

١ـ (الفصول المهمّة) لابن الصبّاغ ، هامش الصفحة ١٣ ؛ و (تذكرة السبط) ابن الجوزى ، ص ٦ .

٢ـ (الفصول المهمّة) ، ص١٣

٣ـ و ينقل ابن الأثير ذيل كلام ابن الصبّاغ فى (أسد الغابة) ، ج ٥ ، ص ٥١٧ .

قبلها ؟!

فقال صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : ألبستُها قميصى لتلبس من ثياب الجنّة ، و اضطجعتُ فى قبرها ليخفّ عنها من ضغطة القبر ، انّها كانت من أحسن خلق اللَه صُنعاً الىّ بعد أبى طالب رضى اللَه عنهما و رحمهما [١].

يقول سبط ابن الجوزى : و كانت وفاة فاطمة بنت أسد فى السنة الرابعة للهجرة [٢].

و قد أنجب أبوطالب و فاطمة بنت أسد أربعة أولاد هم بالترتيب : طالب ، و عقيل ، و جعفر ، و علىّ ، و كان كلّ واحد منهم أسنّ من الأخر الذى يسبقه بعشر سنين ، كما انجبا بنتاً واحدة تسمّى فاختة و تكنّى بـ (امّ هانى) [٣].

و ليس هناك من شكّ فى أنّ علىّاً عليه السلام ولد فى جوف الكعبة بيت اللَه، و فى ذلك يقول السيّد الحميرى :

وَلَدتُهُ فِى حَرَمِ ءالإلَهِ وَ أَمْنِهِ ... وَ الْبَيتِ حَيثُ فِنَائُهُ و الْمَسْجدُ

بيضَاءُ طَاهِرَةُ الثِّيابِ كَرِيمَةٌ ... طَابَت وَ طَابَ وَلِيدُهَا وَ الْمَولِدُ

فِى لَيْلَةٍ غَابَت نُحُوسُ نُجُومِهَا ... وَ بَدَت مَعَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ الأَسْعَدُ

مَالُفّ فِى خِرَقِ الْقَوابِلِ مِثلُهُ ... إلاَّ ابنُ ءامِنَةَ النَبِىِّ مُحَمَّدُ [٤] .

١ـ الى هنا كلام ابن الصبّاغ .

٢ـ (تذكرة الخواص) ، ص٦ .

٣ـ (الفصول المهمّة) لابن الصبّاغ ص ١٢ نقلاً عن ضياء الدين أبى المؤيد الموفّق بن أحمد الخوارزمى فى كتابه (المناقب) .

٤ـ (ديوان الحِمْيَرى) ، ص ١٥٥ ، و يقول جامع الديوان ان تخريج هذه الأبيات من (أعيان الشيعة) ، ج ١٢، ص ٢٤٠ ؛ و(المناقب) ،ج ٢ ، ص ١٧٥ ؛ و (دلائل الصدق) ،ج ٢ ، ص٣٢٨ .

يقول المستشار عبدالحليم الجُندى ، أحد أركان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية فى مصر فى كتابه القيّم (الإمام جعفر الصادق) ص ٣١ :

و علىٌّ فى كثير من الأمور هو الأوحد ، فالنبىّ هو الذى ربّاه ، و ءاخاه ، و أعدّه للعظائم فصنعها ، و عَهد اليه فى تبليغ ءاى القرءان ... و هى جميعها خصوصيّات لا يرقى رقيّه فيها أحد ؛ أما ما لم يشركه فيه بشر فهو ما أجمعت عليه كتب الشيعة و شاركها فيه كثيرون من علماء اهل السنّة منذ القرون الاولى ـ كالمسعودى و الحاكم و الكنجى ـ حتى القرون الحديثة ـ كالآلوسى ـ **و هو أَنَّ عَلِيًّا وُلِدَ بِالْكَعْبَةِ** .

كما يقول عبدالباقى عمر فى هذا الشأن:

أنتَ العَلِيُّ الَّذِى فَوقَ العُلَى رُفعا ببطن مَكَّةَ وَسط الْبَيتِ إذ وُضِعا [١]

و يقول الحاكم النيسابورى : **لَم يُولَدْ فِى جَوْفِ الْكَعْبَةِ قَبْلَ عَلِىٍّ وَ لاَ بَعدَهُ مَوْلُودٌ إكرامًا لَهُ وَ إجلالًا لِمَحَلِّهِ**

كما يقول ابن الصبّاغ المالكى : **وُلِدُ عَلِىٌّ عليه السلام بِمَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ بِدَاخِلِ الْبَيتِ الْحَرَامِ فِى يَومِ الْجُمُعَةِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِن شَهْرِ اللَهِ الأصمِّ ، رَجَبِ الْفَرد سَنَةَ ثَلاثِينَ مِن عَامِ الْفِيلِ ، قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثلاث و عِشرينَ سَنَةً ، وَ قِيلَ بِخَمْسٍ وَ عِشرينَ ، وَ قَبْلَ الْبَعثِ بِاثنَتَى عَشَرة سَنَةً ، وَ قِيلَ بِعَشرِ سِنِينَ ، وَ لَمْ يُولَد فِى الْبَيتِ الْحَرَامِ قَبْلَهُ أَحَدٌ سِوَاهُ ، وَ هِىَ فَضِيلَةٌ خَصَّهُ اللَهُ تَعَالَى بِهَا إجْلاَلًا لَهُ وَ إعْلاَنًا لِمَرتَبَتِهِ وَ إظْهَارًا لِتَكْرِمَتِهِ ، وَ كَانَ عَلِىٌّ هَاشِمِيًّا مِن هَاشِمِيّينِ وَأَوَّل مِن وَلَدَهُ هَاشِمُ مَرَّتَينِ** [٢و ٣ و٤]

١ـ تعليقة أشعار الحميرى فى ديوان الحميرى ، ص ١٥٥ .

٢ـ (الفصول المهمّة) ، ص ١٢ ؛ و كذلك قال ابن الأثير فى (أسد الغابة) ج ٤ ، ص ١٤ : و هو أوّل هاشمى ولد بين هاشميين . ⇦

كيفيّة ولادة أميرالمؤمنين فى الكعبة :

أمّا فى كيفيّة ولادته فقد ورد أنّه :

أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أمّ أميرالمؤمنين عليه السّلام ، و كانت حاملة بأميرالمؤمنين عليه السلام لتسعة أشهر ، و كان يوم التمّام ، قال : فوقفت بإزاء البيت الحرام و قد أخذها الطلق ، فرمت بطرفها الى السماء و قالت : أى ربِّ ، إنّى مؤمنة بك و بما جاء من عندك الرسولُ ، و بكلّ نبىّ من أنبيائك ، و بكلّ كتابٍ أنزلتَه ، و انّى مصدّقة بكلام جدّى ابراهيم الخليل و انّه بنى بيتك العتيق . فأسألك بحقّ هذا البيت و مَن بناه ، و بهذا المولود الذى فى أحشائى الذى يكلّمنى و يؤنسنى بحديثه ، و أنا موقنةٌ أنّه إحدى ءاياتك و دلائلك لمّا يسّرتَ عَلَىّ ولادتى .

قال العبّاس بن عبدالمطّلب و يزيد بن قعنب (و كانا يشهدان ذلك) : لمّا تكلمّت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء ، رأينا البيت قد انفتح من ظهره (فى موضع المُستجار) و دخلت فاطمة فيه و غابت عن أبصارنا ، ثمّ عادت الفتحة و التزقت بإذن اللَه (تعالى) ، فرُمنا أن نفتح الباب ليصل اليها بعضُ نسائنا فلم ينفتح الباب ، فعلمنا أنّ ذلك أمر من أمر اللَه (تعالى) .

و بقيت فاطمة فى البيت ثلاثة أيّام . قال : و أهلُ مكّة يتحدّثون بذلك فى أفواه السكك و تتحدّث المخدّرات فى خدورهنّ .

قال : فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام انفتح الباب من الموضع الذى كانت

⇦٣ـ علىّ أميرالمؤمنين عليه السّلام ليس أوّل هاشمى ولد من هاشميّين ، اذ لَ أخاه الأكبر له هذه الصفة .

⇦٤ـ ذكر فى كتاب الغدير ، ج ٦ ، من ص ٢١ الى ٣٨ الروايات الواردة فى ولادته عليه السلام فى جوف الكعبة مع أسنادها و أسماء علماء أهل السنّة الذين أوردوها فى كتبهم و الشعراء الذين أنشدوا فيها قصائداً .

دخلت فيه ، فخرجت فاطمة و علىّ على يديها [و هى تقـول : مَـن مثلـى يلـد ولداً كهذا فى جوف الكعبة ؟!] [1].

و امّـا مـا نقلـه ابـن الصبّـاغ المـالكى عـن كتـاب المنـاقب لأبى العـالى الفقيه المكّى فهو :

روى خبراً يرفعه الى علىّ بن الحسين [عليـهما السـلام] انّـه قـال : كنّـا عندالحسـين (رض) فى بعـض الأيّـام و اذا بنسـوة مجتمعـين فـأقبلت امـرأة منهنّ علينا ، فقلتُ لها : مَنْ أنتِ يرحمك اللَه ؟ قـالت : أنـا زبـدة ابنـة العجـلان من بنى ساعدة .

فقلتُ لها : هل عندك من شىء تحدّثينا به ؟! قـالت : أى واللَـه ، حدّثتـنى أم عمارة بنت عبادة بن فضلة بن هالك بن عجـلان السـاعدى انّـها كـانت ذات يوم فى نسـاء مـن العـرب ، إذ أقبـل أبوطـالب كئيبـاً حزينـاً ، فقلـتُ لـه : مـا شأنُك ؟ قال : إنّ فاطمة بنت أسد فى شدّة من الطلق .ثمّ انّه أخـذ بيدهـا و جـاء بها الى الكعبة فدخل بها و قال : اجلسى على إسم اللَه ، فطلقـت طلقـةً واحـدة فولدت غلاماً نظيفاً منظّفـاً لم لَرَ أحسـن وجـهاً منـه ، فسـمّاه أبوطـالب عليّـاً ، و قال شعراً :

سُمَّيْتُهُ بعَلِىٍّ كَىْ يَدُومَ لَـهُ عِزُّ الْعُلُوِّ وَ فَخْـرُ الْعِـزِّ أَدْوَمُـهُ

و جاء النبىّ صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم فحملـه معـه الى مـنزل أمّـه . قال علىّ بن الحسين : فـو اللَـهِ مـا سمعـتُ بشـىء حسـن قـطّ الاّ و هـذا مـن أحسنه [2].

١ـ (غاية المرام) ، ص ١٣ ، عن كتاب (الأمالى) للشـيخ الطوسـى . و العبـارة بـين القوسين المعقوفين ترجمة النصّ كما ورد بالفارسيّة .

٢ـ (الفصول المهمّة) ، ص ١٢ ؛ و (غاية المرام) ، ص ١٣ نقله عن طريق العامّة عـن كتاب (المناقب) لابن المغازلى الشافعى .

و یروی الشیخ سلیمان القندوزی عن کتاب (مودّة القربی) عن العبّاس بن عبدالمطّلب قال : لمّا ولدت فاطمة بنت أسد علیّاً سمّته بإسم أبیه أسد و لم یرضَ أبوطالب بهذا الإسم فقال : هلمّ حتّی نعلو أبا قبیس لیلاً و ندعوا خالق الخضراء ، فلعلّه أن ینبئنا فی إسمه ، فلمّا أمسیا خرجا و صعدا أبا قبیس و دعیا اللّه تعالی ، فأنشأ أبوطالب شعراً :

یَارَبِّ یَا ذَا الْغَسَقِ الدُّجِیِّ وَ الْفَلَقِ الْمُبْتَلِجِ الْمُضِیِّ
بَیِّنْ لَنَا عَنْ أَمْرِکَ الْمَقْضِیِّ بِمَا نُسَمِّی ذَلِکَ الصَّبِیِّ

فإذا خشخشة من السماء ، فرفع أبوطالب طرفه فإذا لوح مثل زبرجد أخضر فیه أربعة أسطر ، فأخذه بکلتا یدیه و ضمّه الی صدره ضمّاً شدیداً ، فاذا مکتوب :

خُصِصْتُمَا بِالْوَلَدِ الزَّکِیِّ وَالطَّاهِرِ الْمُنْتَجَبِ الرَّضِیِّ
وَ إِسْمُهُ مِن قَاهِرِ العَلِیِّ عِلِیٌّ اشْتُقَّ مِنَ الْعَلِیِّ

فسُرّ أبوطالب سروراً عظیماً و خرّ ساجداً للّه تبارك و تعالی ، و عقّ بعشرة من الإبل ، و کان اللوح معلّقاً فی بیت الحرام یفتخر به بنوهاشم علی قریش حتیّ غاب زمان قتال الحجّاج ابنَ الزبیر [1].

١ـ (ینابیع المودّة) ، ص ٢٥٥ .

الدرس الرابع

لزوم عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجـمعين من الآن الي قيام يوم الدِّين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

وَ كَذَالِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَـابُ وَلاَ الإيـمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا [1].

الصفات الـمعتدلة فى الإنسان :

يوجـد فى الإنسـان صفـات حسـنة مثـل الشـجاعة و السـخاء و العفّـة و غيرهـا ، إذا مـا أعمـل كلّـاً منـها فى موقعـه المناسـب و بـالمقدار المعيّـن الضرورى ، فانّ هـذه الصفـات ستكون صحيحـة و مُفيـدة ، امّـا إذا جـاوزت حدودها و عَمِل بخلافها فانّها ستكون خطأ و باعثاً على الضرر .

و يُقال لعكس هذه الصفات صفات الرذيلـة ، و هـى الإفـراط و التفريـط فى حدود هذه الصفات ؛ فالشجاعة مثـلاً ، و هـى ملكـة حسـنة ، تـمثّل الحـدّ المتوسّـط و المعتـدل و الممـدوح بـين الطرفـين المذمومـين ، ففـى ناحيـة التفريط و النقص فى تلك المَلَكـة عنـوان الجُـبن و الخـوف و هـو مـن الصفـات الـرذيلة ، بينما هناك فـى ناحـية الإفراط و التطرّف عـنوان الـتهوّر و اللامـبالاة

١ـ صدر الأية ٥٢ ، من السورة ٤٢ : الشُّورى .

و هو أيضاً أمر خاطىء و غير حسن . و على الإنسان أن يحافظ فى نفسه دائماً على هذه الصفة فى حدّ الإعتدال ، و لا يسمح لها أن تنزل عن حدّها فتسقط الى مرحلة الجُبن ، و لا أن تصعد حتّى تبلغ مرحلة التهوّر واللامبالاة .

و الأمر كذلك فى العفّة و هى من الصفات الحسنة جداً ، لكنّها اذا تنزّلت عن حدّها فانّها ستنجرّ الى مرحلة الخمود ، أى عدم الإحساس و الكسل ، و حينذاك تصبح قبيحة غير مقبولة ، و اذا صارت أقوى من حدّها فانّها ستنجرّ الى مرحلة الهتك و الشَرَه ، و هى أيضاً من القبائح و الذمائم .

و ينبغى على الإنسان أن يكون دوماً مواظباً و مراقباً لتحيى فيه الملكة المعتدلة بإسم العفّة ، فلا تسقط ـ لا سمح اللَه ـ الى مرحلة الخمود أو تصل الى مرحلة الهتك و الشَرَه ، حيث ان تلك الملكة الحسنة ستموت فى تلك الحالتين ، فتحيا فى الإنسان بدلها إحدى هاتين الحالتين غير الممدوحتين ، فتصبح حياته حياة النفس الأمّارة .

و السّخاء أيضاً هو الحدّ الأوسط و الدرجة الحسنة ، و ما لم يُصرف فى موقعه أو مكانه لترتّب عليه عنوان البُخل ، امّا اذا جاوز حدّه لترتّب عليه عنوان التبذير و الإسراف ، و من المعلوم انّ كلّاً من هاتين الحالتين فاسد و غير حسن . و يجب على الإنسان ان يسعى لتوجد عنده حالة التعادل بإسم ملكة السخاء ، و أن يمتنع عن الإفراط و التفريط اللذين هما مرتبة التبذير و البخل . و سيكون الإنسان فى هذه الحال إنساناً صحيحاً و متعادلاً .

انّ تلك القوّة الموجودة فى الإنسان ، و التى يحافظ بواسطتها على هذه الصفات متعادلة هى العقل ؛ و بسبب دراية العقل بالمصالح و المفاسد و تمييزه منافع الأشياء و مضارّها ، فانّه سيكون مقيّدًا لتلك الصفات المذمومة كالسلسلة و مانعاً من حركتها و بروزها ؛ و ما دامت القوة العقليّة

تعمل بوظيفتها فى انتظام هذه القوى ، فانّ أيّـاً منـها لـن يسـتطيع التجـاوز عـن حدّه و الظهور ، ولكن لأنّ أصـل هـذه الصفـات و جذورهـا موجـود فى جميـع أفراد الإنسـان بـلا اسـتثناء ، حتّـى فى الأخيـار و الرجـال المتّقـين و أصحـاب الفضيلة و العلم ، و لأنّ بذورهـا موجـودة فى القلـب فى انتظـار الفرصـة ، فانّـها لـن تتـوانى ـ عندمـا تتـهيّأ لهـا هـذه الأرضيّـة المناسـبة و عندمـا تسـمح لهـا الفرصة ـ عن الهجـوم لتسـحق ملكـة التقـوى و العلـم و الفضيلـة و البصـيرة ، لتطلع فى الإنسان و تبرز من جديد .

و يحصـل كثـيراً انّ المريـض الـذى يـمنعه الطبيـب مـن أكـل الطعـام سيمتنع عن تناول ذلك الطعام ، بسبب عقلـه و إدراكـه لـمنافع الإحـتراز عـن الأكـل ؛ و لكـن اذا مـا توفّـرت الأرضيّـة المناسـبة أحيانـاً كـالجوع و اشـتهاء الطعـام ، و كـان هنـاك طعـامٌ لذيـذ يجـرى طبخـه فى البيـت تحـرّك رائحتـه المتصاعدة من بعيد قوّة الاشتهاء لـدى المريـض ، و اذا اتّفـق عـدم وجـود أحـد فى البيت ليسـتحيى المريـض منـه و يتمـالك نفسـه ، فانّـه كثـيراً مـا يحصـل ان تتصاعد رغبـة اشـتهاء الطعـام فى وجـوده الى حدّهـا الأقصـى فينـهض فجـأةً و يأكل من ذلك الطعام حتّى يشبع .

و عندما يشبع و يسقط فى سريره فانّـه سـيعضّ علـى اصبعـه ندمـاً أن : أىّ عمـل ارتكبـتُ مـع وجـود عمليـة جراحيـة فى المعـدة او الأمعـاء ؟!! مـن المسلّم أنّ علىّ الإستعداد لاستقبال المقبرة بعد ساعات .

و كذلـك الأمـر اذا عملـت التقـوى بوظيفتـها و أمسـكت زمـام الشـهوة بيدهـا و أسـرتها تحـت سـيطرتها ، فـانّ مـن المسـتحيل علـى الشـخص أن يرتكب الزنا أو أن يعمل عملاً منافيـاً للعفّـة ؛ ولكـن و بسـبب وجـود الشـهوة الجنسيّة فى كيـان الإنسـان ، فانّـها كثـيراً مـا تكسـر هـذا الطـوق عنـد وجـود الأرضيّة الـمناسبة ، فحين تشتدّ هذه القوّة فـى مـحلّ الـخلوة و عند انعـدام أىّ

رادعٍ و مانع خارجى ، و عند عدم وجود المؤاخـذة ، و خاصّـة اذا اقـترن ذلـك برغبة الطرف الأخر أو دعوته و طلبـه لذلـك ؛ فـانّ هـذه القـوّة سـتطلع فجـأة و سير تكب هذا الشخص مثل هذا العمل القبيح .

و من المؤكّـد أنّـه فى حـال طلـوع الشـهوة و بروزهـا ، فانّـها ستسـبّب النكبـة للعقـل و المعرفـة و التقـوى و العلـم بـمفاسد هـذا العمـل و أضـراره ، بحيث انّها ستعجز عـن الوقـوف بوجهـها . و مـن المسـلّم ان لا وجـود للتقـوى و العقـل فى تلـك الحـال ، و لا للعلـم و المعرفـة ؛ و الاّ فكيـف سـيمكن لهـذه الغريزة ـ مع وجود هذه الأمور ـ أن تتخطّى حدودها ؟!

فقد روى عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله : **لاَ يَزنِى الزَّانـى حِيـنَ يَزْنِى وَ هُوَ مُؤمِنٌ وَ لاَ يَشْرَبُ الشَّارِبُ حِينَ يَشْرَبُ وَ هُوَ مُؤمِنٌ** [١].

كما انّه كثيراً ما تبدر من العلماء و أهل البصـيرة كلمـة قبيحـة فى مواقـع معيّنـة أثنـاء مباحثـاتهم و حينمـا يُغلبـون ، أو مـن أجـل التنكيـل بخصمـهم و الغلبـة عليـه فى مقـام المنـاظرة و المجادلـة ؛ إذ يتفوّهـون بعبـارة غـير لائقـة يندمون بعدها و يقولون مع أنفسـهم : لقـد كنّـا أصحـاب ملكـة العفّـة ، و لقـد قررّنا مع أنفسنا ألاّ نكذب و لا نغتـاب و لا نَسُـبّ و لا نشـتم و لا تصـدر منـا كلمة تدلّ على عيب خصمنا أو نقصه ، فما بالنا نتفوّه بـمثل هـذه الكلمـة بـلا تأمّل أو تفكير بعاقبة الأمر ؟ ما بالنا هتكنا ستار عفّة لساننا ؟

انّ هذه و أشـباهها جميعـاً مسـبّبة عـن وجـود صفـة الرذيلـة فى القلـب و تقييدهـا بقيـد العقـل و حفـظ المصـالح الخارجيّـة ، فتبقـى دائمـاً بالمرصـاد لتقتنص صيدها فى الوقت المناسب و تحقّق رغبتها.

و كما قد ذُكر ، فـاننّا نشـاهد أحـياناً مثل هذه البروزات و الظـهورات فى

١ـ (وسائل الشيعة) ، ج ١٤ ، ص ٢٣٣ .

جميع أفراد البشر بلا اسـتثناء . يقـول العـالم الشـهير فيلسـوف الشـرق أبوعلـى بن سينا : أُلَخِّصُ لك الطبَّ فى جملتين :

اسْمَعْ جَمِيعَ وَصِيَّتِى فَاعْمَلْ بِـهَا فَـالطِّبُّ مَجْمُـوعٌ بِنَظْـمِ كَلاَمِـى
أَقْلِلْ جِمَاعَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّـهُ مَاءُ الْحَيَـاةِ تَصُـبُّ فِـى الاَرْحَـامِ
إِجْعَلْ غِذَائَكَ كُـلَّ يَـومٍ مَـرَّةً وَ احْذَرْ طَعَاماً قَبْلَ هَضْمِ طَعَـامِ [1]

قيل انّـه سُـئل : مـا دمـت تعـرف مضـارّ الإفـراط فى الجمـاع ، فلمـاذا صرت تفرط فيه ؟ فـأجاب : أحـبُّ أن اسـتفيد مـن كيفيّة عمرى لا من كميّته .

١ـ (الكنى و الألقاب) ، ج ١ ، ص ٣٢٢ ، طبع مكتبة الصدر . و قد أورد فى (ريحانـة الأدب) ، طبع مكتبة (خيّام) ، ج ٧ ، ص ٢٨٠ أحد عشر بيتاً هى مجموع هذه الأبيـات الثلاثـة مع ثـمانية أبيات أخرى عن أبى المؤيد محمد بن محمّد العنـترى صـاحب (قرابـادين) ، و هـو من فلاسفة و حكماء و مشاهير أطبّاء و أدباء أوائل القرن السادس :

احْفَظْ بُنَىَّ وَصِيَّتِى و اَعْمَلْ بِهَا فَالطِّبُّ مَجْمُوعٌ بِنَـصٍّ كَلاَمِـى
قَدِّمْ عَلَى طِبِّ الْمَرِيضِ عِنَايَـةً فِـى حِفْـظِ قُوَّتِـهِ مَـعَ الأَيَّـامِ
بِالشِّبْهِ يُحْفَظُ صِحَّـةٌ مَوْجُـودَةٌ وَ الضِّدُّ فِيهِ شِـفَآءُ كُـلِّ سِـقَامِ
قَلِّلْ نِكَاحَكَ مَااسْتَطَعْتَ فَإِنَّـهُ مَآءُ الْحَيَوةِ يُرَاقُ فِـى الْأَرْحَـامِ
وَ اجْعَلْ طَعَامَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَـرَّةً وَاحْذَرْ طَعَامَكَ قَبْلَ هَضْمِ طَعَامِ
لاَ تُحْقِرَ الْمَرَضَ الْيَسِـيرَ فَإِنَّـهُ كَالنَّارِ تُصْبِحُ وَ هِى ذَات ضَـرامِ
لاَ تَهْجُرَنَّ الْقَىءَ شَهْرَكَ إِنَّمَـا كَيْمُوسُـهُ سَـبَبٌ إِلَـى الْأَسْـقَامِ
إِنَّ الحِمَـى عَـــوْنُ الطَّبِيعَـةِ شَـاف مِـنَ الْأَسْـقَامِ و اَلْـــأَلاَمِ
لاَ تَشْرَبَنْ بِعَقِيبِ أَكْلٍ عَـاجِلاً لاَ تَأْكُلَنْ بِعَقِيـبِ شُـرْبِ مُـدامِ
وَ خُـذِ الـدَّوَآءَ إِذَا الطَّبِيعَـةُ بِالْـإِخْتِلاَمِ وَ كَـثْرَةِ الْـأَحْلاَمِ
والطِّـبُّ جُمْلَتُـهُ إِذَا حَقَّقْتَـهُ حَـلٌّ وَ عَقْـدُ طَبِيعَـةِ الْأَجْسَـامِ

وقد نسب بعضُ أصحاب التراجم هذه القصيدة ذات السبعة عشر بيتاً الى (ابن بطلان) ، الاّ انّه نقل فى (نامهٔ دانشوران) عن المؤرّخ الخزرجـى انّ هـذه القصيـدة لأبى المؤيـد ، أوردهـا فى كتاب (نور الـمجتنى) .

كما انّ أكثر الأطبّاء يعلمون جيّداً أضرار المشروبات الكحوليّة ، و كانت لهم مؤتمراتهم و خطاباتهم فى هذا المجال ، أو مقالاتهم التى كتبوها و ألّفواها ، لكنّهم ابتلوا فى نفس الوقت بهذا العمل الشيطانى .

بلى ، لو اقتنع الإنسان بهذا الحدّ من العلم و التقوى بحيث صار يمتنع عن الجناية و الجريمة بسبب ملاحظة المصالح الخارجيّة فقط ، و ما لم يستطع القضاء على أصل مادّة الفساد فى نفسه ، أو قطع جذور و ميكروبات الصفات الرذيلة كالشره و الخمود و الجُبن و التهوّر و البُخل و التبذير و نظائرها عن سويداء ضميره ، فانّه لن يكون قد أدرك مقام الإنسان الواقعى ، و سيكون مثل الحيوان المقيّد بسلسلة مستسلماً مُطيعاً ، ولكن حالما يكسر هذه السلسلة فانّه سيجترح الأفاعيل .

و اذا ما اجتنب من الكذب و البَخس فى البيع و الظلم و الزنا و أشباه ذلك حال اليقظة ، فانّ هذه الصفات ستظهر حال النوم الذى ليس فيه وجود للمصالح الخارجيّة ، فتوجِد المشاهد المفجعة .

سيرى فى النوم انّه يزنى ، و يربح ، و يعزّز شخصيّته ، و يظلم و يجنى ؛ و حين يستفيق هذا المسكين سيعجب من هذه الأحلام و يستبعد أن يناسبه مثل هذه الأمور ، غافلاً عن انّ أصل و جذور هذه المفاسد لا يزال فى قلبه لم يغادره بعدُ ، بل موجود فيه كامنٌ فى زواياه و خرائبه ينتظر الجوّ المساعد ليبرز و يحقّق هدفه .

الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام و الأولياء المقرّبون عند اللَه هم الذين أخرجوا هذه الصفات الرذيلة و جراثيم الفساد من قلوبهم ، و الذين قضوا على بذور هذه الصفات فى مزرعة قلوبهم ، فقد أعطاهم اللَه سبحانه و تعالى بعنايته نوعاً من العلم و المعرفة بحيث لا مجال معه لمثل هذه الرذائل .

ذلك العلم و المعرفة الذى يُحرق ببريقه جميع الصفات الرذيلة

و يمحيها و يهدمها ، و يقطع أصول و جذور البخل و الشره و التهوّر كى لا تبدر منهم أبداً أمثال هذه الرذائل فى أىّ لحظة من العمر ، و مع أكثر الظروف ملائمةً ، و لو لمرّةٍ واحدة . فيوسف الصدّيق مع توفّر جميع الشرائط و الإمكانات ، و مع وجود جميع المقتضيات و مع مواجهته للمخاطر العظيمة بسبب هجره للذنب ، فانّ قلبه ـ مع ذلك كلّه ـ لم يسمح له بارتكاب الذنب ؛ و هذه خاصّة و جوهرة القلب فى مثل هؤلاء الأشخاص التى لا تسمح لهم حتّى بأن يحلموا فى النوم بارتكاب الذنب ، و لا أن يتخيّلوا ارتكابه فى اليقظة . فليس هناك للمقرّبين و أولياء اللّه طوال عمرهم لحظة واحدة يفكّرون فيها بالذنب ، حتى لو عاشوا سنوات كثيرة دون زوجة ، و مهما توفّرت لهم جميع الإمكانات بأعلى درجاتها ، حتّى لو تهيّئت وسائل الذنب بعيداً عن انظار الناس و اطّلاعهم ، فانّهم لن تخطر على قلوبهم فكرة الذنب أبداً .

و هؤلاء الأفراد قد استثنوا لوحدهم من كليّة بروز غرائزهم ، كما انّ ذلك العلم الذى أعطاهم اللّه تعالى اثر مجاهداتهم النفسيّة و استقامتهم فى طريق عبوديّته الحقّة ، فوصلوا بنور القلب الى هذا المقام ؛ ليس من العلوم البسيطة ، بل هو علمٌ خاصّ و كيفيّة مخصوصة يعبّر عنها لسان القرءان الكريم بـ (روح اللّه) أو (روح القدس) :

و كَذَالِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَبُ وَ لاَ الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا [1] .

لقد جعلنا هذا الروح نوراً لكى نهدى به من نشاء من عبادنا ؛ و هذا النور هو روح اللّه أو روح القدس الذى دخل فى قلب الإنسان و حوّل حالة

١ـ صدر الأية ٥٢ ، من السورة ٤٢ : الشُّورى .

القلب و صَرَفَه عن غير اللَه تماماً ، و جعله يرتبط كليّاً باللَه تعالى ، و هذا هو مقام عصمة الأنبياء و الأئمة الأطهار .

و يجب أن نعلم فى هذا المقام أنّ النفس لن تضمحلّ كليّاً ، بل انّها ستكون مُنقادة و مُطيعة بصورةٍ محضة ، فلا مجال لها للتخطّى و التجاوز قيد شعرة .

و قد قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله يوماً : ما منكم من أحد الاّ و قد وكّل به قرينه من الشياطين . قالوا : و أنت يا رسول اللَه ؟! قال : نَعَمْ ، وَلكِن اللَهَ أَعَانَنى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ [١] .

و فى هذه الحالة فانّ هذه النفس هى أحسن نعمة و أغلى موهبة الهيّة لأولياء اللَه ، لأنّها استحالت نفساً مطمئنّة و وجدت لياقة خطاب الرجوع الى حرم اللَه تعالى .

انّ اللَه تعالى يذكر فى سورة الأنعام سبعة عشر نبيّاً من الأنبياء فى عدّة ءايات متعاقبة ، من نوح و ابراهيم و لوط و اسحق و يعقوب و اسماعيل و اليسع و موسى و هارون و عيسى و يحيى و داود و سليمان و زكريّا و أيّوب و يونس و الياس ؛ فيمجّدهم ، حتّى انّه أثنى على بعض ءابائهم و إخوانهم و ذريّاتهم فدعاهم بالعباد الصالحين و المهتدين ، ثم يقول :

ذَلِكَ هُدَى اللَهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِه [٢] .

استفادة عصمة المقرّبين من اللَه من مجموع ثلاث ءايات قرءانيّة :

انّ هداية اللَه التى وصلت اليهم ، نوع من الهداية التى يهدى بها اللَه

١ـ (مجمع الزوائد) ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ ، طبع بيروت . و قد أورد فى هذا الباب خمسة أحاديث ، و العبارة الواردة فى المتن مضمون هذه الأحاديث الخمسة .

٢ـ صدر الأية ٨٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

مَن يشاء من عباده الخاصّين ؛ ثم يقول بعد الأية التى ذكرناها سابقاً :

أُولَٰئِکَ الَّذِينَ هَدَى اللَهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ [1] .

و نستفيد من هاتين الأيتين لنّ هداية اللَه قد وصلت الى الأنبياء . ثم أنّه من جانب ءاخر يقول :

وَ مَن يُضْلِلِ اللَهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَهُ فَمَا لَهُ مِن مُضِلٍّ [2].

و يقول أيضاً :

مَن يَهْدِ اللَهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ [3].

و نستفيد من هاتين الأيتين أيضاً لنّ الذين يهديهم اللَه هم الذين اهتدوا الى الطريق ، فلن تؤثّر أىّ وسوسة شيطانيّة من تسويلات الجنّ و الإنس ، و لو اجتمع الناس على أن يُضلّوهم فانّهم لن يستطيعوا التصرّف فى إرادتهم و علومهم و اختيارهم و لا على زعزعتهم أو زلزلتهم .

و من جانب ءاخر يقول تعالى :

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِى ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَ أَنِ اعْبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ .

و فى هذه الأية يعتبر اللَه سبحانه أنّ اتّباع الشيطان هو الضلالة بعينها ؛ و بمقتضى الأيات التى مرّ ذكرها فانّ اللَه هو الذى يهدى الأنبياء ، و لنّ مَن يهدى اللَه فما له من مُضِلّ .

و الضلالة حسب مفاد هذه الأية هى اتّباع الشيطان و المعصية

١ـ صدر الأية ٩٠ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢ـ ذيل الأية ٣٦ و صدر الأية ٣٧ ، من السورة ٣٩ : الزُّمَر .

٣ـ مقطع من الأية ١٧ ، من السورة ١٨ : الكهف .

والذنب و الإثم و الالتفات الى غير الحقّ ، و هى التأثّر بإلقاءات النفس الأمّارة .

و لأنّ الأنبياء ليس لهم مُضِلّ ـ كما مرّ ـ فليس إذن من إلقاءات شيطانيّة و لا تسويلات نفسيّة و لا إثم لهم ، و هذا هو معنى العصمة .

و بجمع هذه المجاميع الثلاث من الأيات القرءانية ، فقد أثبتت العصمة للمهتدين و بُرهن عليه بشكل جليّ و الحمد للَه .

عصمة أميرالمؤمنين عليه السلام :

و هذا الإستدلال راجع لعموم المقرّبين من اللَه سبحانه ، لكنّه بالنسبة لأميرالمؤمنين عليه السلام و هو يعسوب الدين و وليّ المؤمنين و قائد الغرّ المحجّلين ـ له دلالة أوفى و أتمّ على عصمته عليه السّلام .

فلقد تربّى ذلك الإمام فى احضان رسول اللَه منذ الطفولة ، و كان تحت تربيته و تعليمه ؛ يقول محمّد بن طلحة و هو شافعيّ المذهب توفّى سنة ٦٥٤ هـ [١]، و ابن الصبّاغ المالكى المذهب المتوفّى سنة ٨٥٥ هـ : [٢و٣] و لمّا نشأ عليّ بن أبى طالب [عليه السلام] و بلغ سنّ التميز ، أصاب أهل مكّة جدبٌ شديد و قحطٌ أجحف بذوى المروة و أضرّ بذوى العيال الى الغاية ؛ فقال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم لعمّه العبّاس ـ و كان من أيسر بنى هاشم ـ يا عمّ إنّ أخاك أباطالب كثير العيال و قد أصاب الناس ما ترى ، فانطلق بنا الى بيته لنخفّف من عياله فتأخذ أنت رجلاً واحداً و ءاخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه .

١ـ (مطالب السؤل فى مناقب ءال الرسول) ، ص ١١ .

٢ـ (الفصول المهمّة) ، ص ١٤ .

٣ـ و قد أورد الطبرى هذه القصّة فى تاريخه (تاريخ الامم و الملوك) ، ص ٥٨ .

قال العبّاس : أفعلُ . فانطلقا حتّى أتيـا أبـا طـالب فقـالا : إنّـا نريـد أن نخفّف عنك من عيـالك حتّـى ينكشـف عـن النـاس مـا هـم فيـه . فقـال لهمـا أبوطالب : اذا تركتما لى عقيلاً و طالباً فاصنعـا مـا شـئتما . فـأخذ رسـول اللَـه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم عليّاً و ضمّه اليه ، و أخذ العبّـاسُ جعفـراً فضمّـه اليه ؛ فلم يزل علىّ مع رسول اللَه صلّى اللَه عليـه [و ءالـه] و سـلّم حتّـى بعـث اللَه عزّوجل محمّداً نبيّاً فاتّبعه علىّ عليه السلام و ءامـن بـه و صدّقـه و كـان إذ ذاك فى السنة الثالثة عشر [1] من عمره لم يبلغ الحلـم و قيـل غـير ذلـك . و أكـثر الأقوال و أشهرها انّه لم يبلغ الحلم ، و أنّه أوّل مـن أسـلم و ءامـن برسـول اللَـه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم من الذكور [2]،...

قالـه الثعـالبى [3] فى تفسـير قولـه تعـالى : **السَّـابِقُونَ الْـأَوَّلُونَ مِـنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنصَار** [4] ، و هو قول ابن عبّـاس و جـابر بـن عبداللَـه الأنصـارى و زيد بن أرقم و مـحمّد بن الـمنكدر و ربيعة الـمرائى ؛ و قد أشار علىّ بن أبى

١ـ أكثر علماء الشيعة يقولون بأن السنّ المبارك لأميرالمؤمنين زمـن بعثـة رسـول اللَـه كان عشرة سنوات .

٢ـ روى الطبرى فى ج ٢، ص ٥٧ عن ابن اسحق قال : كان أوّل ذَكَر ءامن برسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم و صدّق بـما جاء به من عنداللَه علـىٌّ بـن أبى طـالب ، و هـو يؤمئذٍ ابن عشر سنين . و كان مـمّا أنعم اللَه به على علىّ بن أبى طالب أنّه كان فى حجر رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم قبل الإسلام . كما يقول ابن الأثير فى (أسد الغابـة) ، ج ٤ ، ص ١٦ : و هو اوّل الناس إسلاماً فى قول كثير من العلماء على ما نذكـره . و ينقـل فى (غايـة المرام) ، ص ٤٩٩ فى انّ أميرالمؤمنين كان اوّل من أسـلم ٤٧ حديثـاً مـن طريـق العامـة ، و فى ص ٥٠٤ الباب ٢٢ يورد ١٨ حديثاً من طريق الخاصة .

٣ـ النقـل عـن الثعـالبى فى (الفصـول المهمّـة) فقـط ، و ليـس موجـوداً فى (مطـالب السؤل) .

٤ـ صدر الأية ١٠٠ ، من السورة ٩ : التوبة .

طالب [عليه السلام] الى شيء من ذلك فى أبيات قالها رواها عنه الثقاة الأثبات ، و هى هذه الأبيات :

مُحَمَّدٌ النَّبِىُ أَخِى وَ صِنْوِى وَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَداءِ عَمِّى
وَ جَعْفَرٌ الَّذِى يُضْحِى وَ يُمْسِى يَطِيرُ مَعَ الْمَلَئِكَةِ ابْنُ أُمِّى
وَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِى وَ عِرْسِى مَنُوطٌ لَحْمُهَا بدَمِى وَ لَحْمِى
وَ سِبْطَا أَحْمَدٍ وَلَدَاىَ مِنْهَا فَأَيُّكُمُ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِى
سَبَقْتُكُمُ إلَى الإسْلاَمِ طُرًّا غُلاَمًا مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حُلْمِى
وَ أَوْجَبَ لِى ولاَيَتَهُ عَلَيْكُمْ رَسُولُ اللَهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمِّ
فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِمَن يَلْقَى الإلَهَ غَدَاً بِظُلْمِى[1]

(والعجب من هذين العالمين السنيّين كيف يعدّان هذه الأشعار لأميرالمؤمنين عليه السلام يقيناً و كيف سيعترفان و يقرّان بدخول ظالميه الى جهنّم تبعاً لقوله عليه السلام!!)

و قد نُقل عن جابر بن عبداللَه الأنصارى انه قال : سمعتُ علىَّ بن أبى طالب عليه السلام يُنشِد و رسول اللَه يسمع :

أَنَا أَخُو الْمُصطَفَى لاَ شَكَّ فِى نَسَبى
بِهِ رُبِّيتُ وَ سِبْطَاهُ هُمَا وُلْدِى
جَدِّى وَ جَدُّ رَسُولِ اللَهِ مُنْفَرِدٌ
وَ فَاطِمٌ زَوْجَتِى لاَ قَوْلَ ذِى فَنَدِ
صَدَّقْتُهُ وَ جَمِيعُ النَّاسِ فِى بُهَمٍ
مِنَ الضَّلاَلَةِ وَ الإشْرَاكِ وَ النَّكَدِ[2]

١ـ يذكر فى (الفصول المهمّة) أربعة أبيات فقط من الأشعار أعلاه (١ و ٣ و ٥ و ٧) .

٢ـ (مطالب السؤل) ، ص ١١ ؛ و ينقل كذلك فى (ينابيع الموّدة) ، ص ٥٧ هذه ⇦

قال: **فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَهُ وَ قَالَ : صَدَقْتَ يَا عَلِيّ !**

و يشـرح أمـيرالمؤمنين عليـه السـلام فى (نهـج البلاغـة) ضمـن خطبتـه (القاصعة) فترة صباه فى صُحبته لرسول اللَه :

وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِى مِنْ رَسوُل اللَهِ صلّى اللَهُ عليه و ءالـه بالقَرَابَـةِ الْقَرِيبَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ، وَضَعَنى فِى حِجْرِه وَ أَنَا وَلَدٌ وَ يَضُمُّنـى إلَـى صَدْرِه ، وَ يَكْنُفُنى إلَى فِرَاشِهِ وَ يَمُسُّنى جَسَدَهُ ، وَ يَشُمُّنى عُرْفَـهُ ، وَ كَـانَ يَمْضَغُ الطَّعَامَ ثُمَّ يُلَقِّمنيهِ ، وَ مَا وَجَدَ لِى كِذْبَةً فِى قَوْلٍ ، وَ لَـا خَطْلَـةً فِـى فِعْلٍ .

وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَهُ بِهِ صَلّى اللَهُ عَليه وءاله مِن لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنِ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَيْلَـهُ وَ نَهَارَهُ ، وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ اَثَرَ أُمَّهِ ، يَرْفَعُ لِى فِى كُلِّ يَوْمٍمِـنْ أَخْلاَقِهِ عِلْمًا وَ يَأْمُرُنى بالإقْتِدَاء بِهِ .

وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِى كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءَ ، فَأَرَاهُ وَ لاَ يَرَاهُ غَيْرِى ، وَ لَـمْ يَجْتَمِعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِى الإسْلاَمِ ، غَيْرَ رَسُول اللَـهِ صَلّـى اللَـهُ عليـه و ءاله وَ خَدِيجَةَ ، وَ أَنَا ثَالِثُهمَا ، أَرَى نُورَ الْوَحى وَ الرِّسَالَةِ ، وَ أَشُمُّ رِيـحَ النُّبُوَّةِ ، وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحى عَلَيهِ صلّى اللَهُ عليـه وءاله ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! مَا هَذِه الرَّنَّةُ ؟ فَقالَ :هَذَا الشَّيطَانُ أَيسَمِـنْ عِبَادَتِهِ ، إنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى ، إلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِىٍّ ولَكِنَّـكَ وَزِيرٌ وَ إنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ [1].

و العجب انّه مع هذا الـمقام و الـمنزلة و الوصايا التـى أكّد عليها الرسول

⇦ الأشعار عن الموفق بن احمد بسنده عن جابر بن عبداللَه قال : سـمعتُ عليّاً يقول ... الخ

١ـ (نهج البلاغة) عبدة ، ج ١ ، ص ٣٩٢ ، الخطبة ١٩٠ القاصعة .

و جعلِهِ عليّاً وصيّاً و وزيراً و وليّاً للمؤمنين و خليفته من بعده ، فانّهم اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة قبل أن يُدفن جسد الرسول المطهّر ، ففعلوا ما فعلوا ، و لم يكتفوا بسلب الخلافة ، بل عمدوا الى مصادرة بُستان الصدّيقة الطاهرة فاطمة بنت رسول اللَه ، فسلبوا نحلة رسول اللَه و كسروا فؤاد بنت رسول اللَه .

ثمّ انّ فاطمة ذهبت بعد ذلك الى المسجد لإثبات حقّها ، فتحاججت مع أبى بكر ؛ يقول ابن شهر ءاشوب : و لمّا انصرفت من عند أبى بكر أقبلت على أميرالمؤمنين عليه السلام فقالت له :

يَابْنَ أَبى طَالِب ! إشتَمَلْتَ شَمْلَةَ الْجَنين ، وَقَعَدتَ حُجْرَةَ الظَّنين ، نَقَضْتَ قَادِمَةَ الأَجْدَل فَخَانَکَ رِيشُ الأَعْزَل .

هَذَا ابْنُ أَبى قُحَافَةَ ، قَد ابْتَزَّنى نُحَيْلَةَ أَبى ، وَ بُلَيْعَةَ إبْنى .

وَ اللَهِ لَقَد أَجَدَّ فِى ظُلاَمَتِى ، وَ أَلَدَّ فِى خِصَامِى ، حَتَّى مَنَعَتنى الْقَيْلَةُ نَصْرَهَا ، وَالْمُهَاجِرَةُ وَصْلَهَا ، وَ غَضَّتِ الْجَمَاعَةُ دُونى طَرْفَهَا ؛ فَلاَ مَانِعَ وَلاَ دَافِعَ .

خَرَجْتُ وَ اللَهِ كَاظِمَةً ، وَعُدْتُ رَاغِمَةً .

أَضْرَعْتَ خَدَّکَ يَوْمَ أَضَعْتَ حَدَّکَ ، افتَرَسْتَ الذِّئَابَ وَ افْتَرَسَکَ الذُّبَابُ ، مَا كَفَفْتَ قَائلًا ، وَ لاَ أَغْنَيْتَ بَاطِلًا ، وَ لَا خِيَارَ لِى لَيْتَنى مِتُّ قَبْلَ ذُلِّتى ، وَ تُوفِّيتُ دُونَ مُنْيَتِى [1] .

عَذِيرِى وَ اللَهِ فِيْکَ حَامِيَاً ، وَ مِنْکَ رَاعِيَاً ، وَيْلاَى فِى كَلِّ شَارِقٍ ، مَاتَ الْعَمَدُ وَ وَهَنَ الْعَضُدُ .

١ـ دُون مُنيتى ، و فى بعض النسخ (دون هَيْنتى) اى قبل ذلّى و هوانى ، و (مُنْيتى) بمعنى موتى ، أى ليتنى متّ قبل أوان موتى (اى الاجل المسمي) .

شَكْوَايَ إلي ربّى وَ عُدْوَايَ إلَى أبى .

اللَّهُمَّ أنْتَ أشْدُّ قُوَّةً وَ أحَدُّ بَأساً وَ تَنْكِيلاً .

فَأجابها عليه السّلام :

لَا وَيْلَ لَكِ ! بَلِ الْوَيْلُ لِشَانِئِكِ ، نَهنهِى عَنْ عِربِكِ يَا بِنْتَ الصَّفْـوَةِ وَ بَقِيّةَ النُّبوَّةِ .

فَوَ اللَهِ مَا وَ نَيْتُ فِى دِينِى ، وَ لَا أخْطَأتُ مَقْدُورى ، فَإن كُنْتِ تُرِيدِينَ الْبُلْغَةَ فَرِزْقُكِ مِضمُونٌ وَ كَفِيلُكِ مَأمُونٌ ، وَ مَا أُعِدَّ لَكِ خَيْرٌ مِمَّا قُطِعَ عَنْكِ ، فَاحْتَسِبى !

فَقَالَت : حَسْبِىَ اللَهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ ! [1]

يقول ابن أبى الحديد : **وَ قَدْ رُوى عَنْهُ عليه السَّلام إنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلامُ حَرَّضَتْهُ يَوْمَاً عَلَى النُّهُوضِ وَ الْوُثُوبِ ، فَسَمِعَ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ : أشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَهُ .**

فَقَالَ لَهَا : أيَسُرُّكِ زَوَالَ هَذَا النِّدَاءِ مِنَ الأرضِ ؟

قَالَت : لاَ .

قَالَ : فَإنَّهُ مَا أقُولُ لَكِ ! [2].

١ـ (مناقب ابن شهر ءاشوب) ، ج ١ ، ص ٣٨٢ ، الطبعة الحجريّة ، و الطبعة الحروفية ج ٢ ، ص ٢٠٨ ؛ و (الاحتجاج) للطبرسى ج ١ ، ص ١٤٥ .

٢ـ (شرح نهج البلاغة) (الطبعة ذات ٢٠ مجلّداً) ، ج ١١ ، ص ١١٣ .

الدَّرْسُ الخَامِسُ

العِصْمَةُ أَمْرٌ مَوْهِبِيٌّ

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَهُ عَلَيْکَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوکَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنْفَسَهُمْ وَ مَا يَضُرُّونَکَ مِنْ شَىْءٍ وَ أَنْزَلَ اللَهُ عَلَيْکَ الْكِتَبَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَکَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَهِ عَلَيْکَ عَظِيمًا [1].

عصمة الأنبياء حتميّة :

انّ قوّة العصمة فى الأنبياء و الأئمّة عليهم السّلام موهبةٌ إلهيّة ، و هى نوعٌ من المعرفة و الحالة القلبيّة لديهم لا تماثل سائر العلوم البشريّة ، كما انّها لا تغلبها و لا تقهرها الواردات الطبيعيّة و لا الخيالات الخسيسة الماديّة فى النوم أو اليقظة ، فى اليُسر أو العُسر ، فى الرخاء أو الشدّة ، بل تشرق فى القلب دائماً كالشمس المنيرة فتخرج النقاط السوداء المظلمة من زواياه . و هذا النوع من العلم ليس فقط قويّاً بحيث لا تغلبه القوى الشعوريّة و لا ينكبه طغيانُ الإحساسات ، بل انّه يُصيّرها جميعاً تحت سيطرته ، و يستخدمها فى مصالحه ، و يأمرها بأمره و نهيه ، فلا قدرة لها على التخطّى

١ـ الأية ١١٣ ، من السورة ٤ : النساء .

و التجاوز .

و بناءً على هذا فانّ قـوّة العلـم و النـور المضـيء تصـون صاحبـها عـن الضلالة و المعصية و الخطأ دائماً .

و قد ورد فى الروايات انّ هنـاك روحـاً لـدى الأنبيـاء و الأئمـة تسـمّى بـ (روح القـدس) تحفظـهم فى مقـام الإنسـانيّة الرفيـع ، و تصونهـم عـن الإنزلاق و الإثم و الخطأ .

و قـد وردت فى الأيـة المباركـة الـتى ذُكـرت سـابقاً فى مطلـع الحديـث كلمةُ الكتاب ، و المقصـود بهـا الوحـى الـذى نـزل علـى قلـب النـبيّ بواسـطة جـبرئيل ، و المتعلّـق بقوانـين الشـريعة ؛ كمـا ان الـمراد بالحكمـة العلـم بالمعارف الكليّـة و الأسـرار الالهيّـة ، و المـراد مـن العلـوم الـتى تعلّمـها سـائر العلوم من الإدراكات الجزئية و تشخيص المطالب الحقّة .

و لأنّ جملة (**وَ أَنْزَلَ اللَهُ عَلَيْـكَ الْكِتَـبَ**) امّـا ان تكـون حاليّـة ، و امّـا بـمنزلة تعليل للجملة السابقة ؛ لذا نستفيد انّ العلّـة لعـدم تأثـير كـلام المنـافقين فى الرسول يعـود الى تلـك الملكـة القلبيّـة الـتى يكـون قـادراً بهـا علـى تلقّـى الوحـى بواسـطة الأمـين جـبرئيل بالنسـبة الى أحكـام الشـريعة و قوانينـها ، و بالنسبة الى المعـارف الالهيّـة ، و يكـون قـادراً أيضـاً علـى تلقّـى الإلهامـات نسبةً الى الاطّلاع على الأسرار و المغيَّبـات ، و تبيّـن واقعيّـة الأمـور و التفريـق بين الحقّ و الباطل .

و بناء على هذا فاننا نستفيد من الأية بـأنّ العلّـة لعـدم انحـراف النـبيّ أو ضلاله حتّـى فى بعـض الامـور الجزئيّـة تسـتند الى ذلـك العلـم الخـاصّ الـذى وهبه اللَه سبحانه له بعنايته ، فهو يتلقّـى الوحـى بواسـطته ، و هـو ذلـك العلـم الخاصّ الذى يُعـبّر عنـه فى الروايـات بـ (روح القُـدس) الـذى يحفـظ الأنبيـاء و يصونـهم عن الإثـم و الـخطأ فى كلّ مرحلة من مراحل التشخيص .

استدلال ءاخر من القرءان علی عصمة الأنبیاء :

و من الاستدلالات [1] الأخری علی عصمة الأنبیاء ضمّ ءایتین من ءایات القرءان الکریم ، الاولی قوله تعالی :

وَ مَن یُطِعِ اللَهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللَهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیّنَ وَ الصِّدِّیقِینَ وَ الشُّهَدَآءِ وَ الصَّالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولَئِکَ رَفِیقًا [2].

و الثانیة قوله تعالی :

إهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِیمَ * صِرَاطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لَا الضَّالِّینَ [3].

و نستفید من الأیة الاولی لَنّ اللَه قد أنعم علی الأنبیاء و الشّهداء و الصّدیقین و الصّالحین ، و من الأیة الثانیة لَنّ الذین أنعم اللَهُ علیهم لن یضلّوا و لن ینحرفوا . و بناءً علی هذا فانّ الأنبیاء و الشهداء و الصدّیقین و الصالحین لن یضلّوا . و لأنّ کلّ معصیةٍ و ذنب ضلالة ، لذا فان المعصیّة والذنب لا یصدران منهم ، أی لَنّ شأنهم و مقامهم فی أنهم یمتلکون مَلَکةً حافظة عن المعصیة و الإثم ، و هذا هو معنی العصمة من الذنب .

و کذلک لأنّ الخطأ فی تلقّی الأحکام و الوحی الالهی ، و فی المعارف الالهیّة الکلیّة ، و فی تشخیص الأمور الجزئیة ، و الخطأ فی التبلیغ هو ضلالٌ أیضاً ، فانّهم لا یُخطئون و لا یزلّون فی أیّ مرحلة من هذه المراحل ، و بهذا البیان فانّ عصمتهم ستکون أیضاً فی مرحلتین : مرحلة تلقّی الوحی و المعارف الالهیّة ، و مرحلة التبلیغ و الترویج .

١ـ (تفسیر المیزان) ، ج ٢ ، ص ١٤٠

٢ـ الأیة ٦٩ ، من السورة ٤ : النساء .

٣ـ الأیة ٦ و ٧ ، من السورة ١ : الفاتحة .

حيازة أميرالمؤمنين لـمقام العصمة :

لقد حـاز أمـيرالمؤمنين عليـه السـلام مـن اللَـه سـبحانه مقـامَ العصمـة و كونه وصيّ رسول اللَه و وارثه و خليفتـه ، و أوّل مـن ءامـن برسـول اللَـه و صلّى معه .

يروى الطبرى بسنده عن ابن عباس قال : **أوَّلُ مَن صَلَّى عَلِىٌّ** [١].

و يحدّث ايضاً عن زيد بن أرقم قال : **أوَّلُ مَنْ أسْلَمَ مَـعَ رَسُـولِ اللَـهُ صَلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم عَلِىٌّ [عليه السلام]** [٢].

و يروى عنه أيضاً قال : **أوَّلُ رَجُلٍ صَلّى مَعَ رَسُولِ اللَـهِ صلّـى اللَـهُ عليه [و ءاله] و سلّم عَلِىّ ابنُ أبى طَالِبٍ** [٣].

و يروى أيضاً بسنده عن عبّاد بن عبداللَه قال : **سَـمِعْتُ عَلِيّـاً يَقُـولُ : أنَا عَبْدُ اللَهِ وَ أخُو رَسُولِهِ وَ أنَا الصِّدِّيقُ الأكْبَرُ لَا يَقُولُهَا بَعْدِى إلاَّ كَـاذِبٌ مُفْتَرٍ ، صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَهِ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ سِنِينَ** [٤].

و يقول ابن الصبّاغ المالكى و محمّد بن طلحة الشافعى :

وَ كَانَ رَسُولُ اللَهِ صَلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم قَبلَ بَدْوِ أمْـرِه إذَا أرَادَ الصَّلَوةَ خَرَجَ إلَى شِعَابِ مَكَّةَ مُسْتَخفِياً وَ أخْرَجَ عَلِيّاً مَعَـهُ،فَيُصَلِّيَانِمَـا شَاءَ اللَهُ فَإذَا قَضيَا رَجَعَا إلَى مَكَانِهِمَا [٥].

١ـ (تاريخ الطبرى) ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

٢و٣ـ الطبرى ، ج ٢ ، ص ٥٦ ؛ و يروى الحديـث الرابـع كذلـك فى (ينـابيع المـودّة) ص ٦٠ عن ابن ماجة القزوينى و أحمـد فى المسـند و أبى نعيـم الحـافظ و الثعلـبى و الحمويـنى بأدنى أختلاف فى اللفظ .

٤ـ المصدر السابق .

٥ ـ (الفصول المهمّة) ص ١٤ ، و (مطالب السول) ص ١١ ، و (تـاريخ الطـبرى) ج ٢ ، ص ٥٨ .

و يـروى الطـبرى بسـنده عـن يحـيى بـن عفيـف الكنـدى (عفيـف الكندى هو أخ الأشـعث بـن قيـس ، و كـان رفيقـاً للعبـاس بـن عبدالمطّلـب ، و كان يأتى الى مكّة للتجـارة فيسـكن فى بيـت العبّـاس) ؛ يقـول : حدّثـنى أبى قال : كنتُ جالساً مع العبّاس بـن عبدالمطّلـب بـمكّة بالمسـجد قبـل أن يظـهر أمر رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، فجـاء شـابٌّ فنظـر الى السـماء حين حلقت الشمس ثمّ اسـتقبل الكعبـة فقـام يصلّـى ، فجـاء غـلامٌ فقـام عـن يـمينه ، ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركـع الشـاب فركـع الغـلام و المـرأة ، ثمّ رفع فرفعا ، ثمّ سجد فسجدا ؛ فقلتُ : يا عبّاس أمـرٌ عظيـم ! فقـال العبّـاس : أتعرف هذا الشابّ ؟

فقلتُ : لا . فقال : هذا محمّـد بـن عبداللَـه بـن عبدالمطّلـب ابـن أخـى ؛ أتدرى مـن هـذا الغـلام ؟ هـو علـىّ أبى طـالب بـن عبدالمطّلـب ابـن أخـى ؛ أتدرى من هذه المرأة ؟ هذه خديجة بنـت خويلـد . لنّ ابـن أخـى هـذا حدّثـنى أنّ ربّـه ربّ السـموات و الأرض أمـره بهـذا الديـن و هـو عليـه ، و لا واللَـهِ [ما أعرفُ] على ظهر الأرض اليوم على هذا الدين غير هؤلاء [1].

بلى ، لقد انشغل النـبىّ و أمـيرالمؤمنين و خديجـة بـالصلاة و عبـادة اللَـه سنوات عديـدة ، بينمـا لم يكـن أحـد مـن أهـل مكّـة مؤمنـاً ءانـذاك أو عالمـاً برسالته صلى اللَه عليه و ءاله ، حتّى نزلـت عليـه ءايـة الإنـذار مـن قبـل اللَـه تعالى .

ءاية الإنذار و حديث العشيرة :

وَأَنـذِرْعَـشِيـرَتَكَ‌الْأَقـْرَبِيـنَ *وَاخْـفِضْ‌جَـنَاحَـكَ‌لِـمَنِ‌اتَّـبَعَـكَ‌مِنَ

١ـ (تاريخ الطـبرى) ، ج ٢ ، ص ٥٦ ؛ و (الفصـول المهمّـة) ، ص ١٦ ؛ و (مطـالب السؤل) ، ص ١١ الطبعة الحجريّة .

الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىء مِمَّـا تَعْمَلُـونَ * وَ تَوَكَّـلْ عَلَـى الْعَزِيـزِ الرَّحِيـمِ * الَّـذِى يَـرَاكَ حِـينَ تَقُـومُ * وَ تَقَلُّبَـكَ فِـى السَّـاجِدِينَ * إِنَّـهُ هُـوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [١].

فدعـى رسـول اللَـه أقربـاءه و عشـيرته و أعلـن لهـم نبوّتـه كمـا هـو معروف فى حديث العشيرة الـذى ورد عـن طائفـة كبـيرة مـن أعـلام المحدّثـين و المؤرّخين المسلمين .

يقول العلاّمة الأمينى : أخرجه (أى حديـث العشـيرة) غـير واحـد مـن الأئمّة و حفّـاظ الحديـث مـن الفريقـين فى الصحـاح و المسـانيد ، و مـرّ عليـه ءاخرون ممّن يُعتـدّ بقولـه و تفكـيره مخبتـين بـه مـن دون أىّ غمـز فى الإسـناد أو توقّف فى متنه . و تلقّاه المؤرّخون مـن الأمّـة الإسـلامية و غيرهـا بـالقبول ، و أُرسل فى صحيفة التأريخ إرسال المسـلّم ، و جـاء منظومـاً فى أسـلاك الشـعر و القريض ، و سيوافيك فى شعر الناشىء الصّغير المتوفّى ٣٦٥ هـ و غيره [٢].

و سـننقل أوّلاً نـصّ الحديـث عـن تـاريخ الطـبرى ثم نناقش جوانبـه المختلفة ؛ فقد أخـرج الطـبرى عـن ابـن حميـد ، عـن سـلمة ، عـن محمّـد بـن اسحق ، عن عبد الغفّار بن قاسم ، عـن المنـهال بـن عمـرو ، عـن عبداللَـه بـن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطّلـب ، عـن عبداللَـه بـن العبّـاس ، عـن علىّ بن أبى طالب قال : لـمّا نزلت هذه الأية على رسول اللَه صلـى اللَـه عليـه [و ءاله] و سلّم : **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ؛ دعانى رسول اللَه صلّى اللَـه عليـه [و ءاله] و سلّم فقـال : يـا علـىّ ! إنّ اللَـه أمـرنى أن أنـذر عشـيرتى الأقربـين فضـقتُ بذلك ذرعاً و عـرفتُ أنّى متـى أبادئهم بـهذا الأمرأرى مـنهم ما أكـره ،

١ـ الأيات ٢١٤ الى ٢٢٠ ، من السورة ٢٦ : الشُّعراء .

٢ـ (الغدير) ، ج ٢ ، ٢٧٨ .

فصمتُّ عليه ، حتّى جاء جبريل فقال : يا محمّـد ! إنّـك إلاّ تفعـل مـا تؤمـر بـه يُعذّبك ربّك . فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رِجل شاة و املأ لنـا عسّـاً من لبن ، ثم اجمع لى بـنى عبدالمطّلـب حتّـى أكلّمـهم و أُبلّغـهم مـا أُمـرتُ بـه . ففعلتُ ما أمرنى به ، ثمّ دعوتهم له و هم يومئـذٍ أربعـون رجـلاً يزيـدون رجـلاً أو ينقصونـه ، فيـهم أعمامـه : أبوطـالب و حمـزة و العبّـاس و أبولهـب ، فلّمـا اجتمعوا اليه دعانى بالطّعام الذى صنعتُ لهـم فجئـتُ بـه ، فلمّـا وضعتُـه تنـاول رسولُ اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم حذية مـن اللحـم فشـقّها بأسـنانه ثمّ ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال : خذوا بسم اللَـه . فـأكل القـوم حـتى مـا لهـم بشىءٍ حاجة و ما أرى الّا موضع أيديـهم ، و أيم اللَـهِ الـذى نفـس علـىّ بيـده و إن كان الرجلُ الواحدُ منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم . ثم قـال : إسـقِ القـوم . فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتّى رووا منه جميعـاً ، و أيم اَهلـه إن كـان الرجـلُ الواحد منهم ليشرب مثله ، فلمّا أراد رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءالـه] و سـلّم أن يكلّمهم بَدَره أبولهب الى الكـلام فقـال : لعلَّمـا سـحركم صـاحبُكم . فتفـرّق القوم و لم يكلّمهم رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءالـه] و سـلّم ، فقـال الغـد : يـا علىّ ! لنّ هذا الرجل سبقنى الى ما قد سمعـتَ مـن القـول فتفـرّق القـوم قبـل أن أكلّمهم ، فعُد لنا من الطعام بـمثل مـا صنعـتَ ثمّ اجمعـهم الىّ . قـال : ففعلـتُ ثمّ جمعتُهم ، ثمّ دعانى بالطعام فقرّبتُه لهم ، ففعل كمـا فعـل بـالأمس ، فـأكلوا حتّـى ما لهم بشىءٍ حاجة ، ثمّ قال : إسـقهم ، فجئتُـهم بذلـك العُـسّ ، فشـربوا حتّـى رووا منه جميعاً ، ثمّ تكلّم رسولُ اللَه صلى اللَه عليه [و ءالـه] و سـلّم فقـال : يـا بنى عبدالمطّلب ! إنّى واللَهِ ما أعلـم شـابّاً فى العـرب جـاءَ قومَـه بـأفضل مـمّا جئتُكم به ، إنّى قد جئتكم بخير الدنيـا و الأخـرة ، و قـد أمـرنى اللَـه تعـالى أن أدعوكم اليه ، فأيُّكم يوازرنى على هـذا الأمـر علـى أن يكـون أخـى و وصيّـى و خليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عـنها جـميعاً و قلتُ و إنّى لأحدثهم سنّاً ،

و أرمصهم عيناً ، و أعظمهم بطناً ، و أحمشهم ساقاً ؛ أنا يا نبيّ اللَه! أكون وزيرك عليه [١].

فأخذ برقبتى ثمّ قال : **إِنَّ هذَا أخِى وَ وَصِيِّى وَخَلِيفَتِى فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا** ، قال : فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك و تُطيع [٢].

صحّة اسناد حديث العشيرة :

يقول العلاّمة الأمينى : و بهذا اللفظ أخرجه أبوجعفر الإسكافى المتكلّم المعتزلى البغدادى المتوفّى٢۴ هـ فى كتابه (نقض العثمانيّة) [٣]، و قال : إنّه روى فى الخبر الصحيح . و رواه الفقيه برهان الدين فى (أنباء نجباء الأبناء) ، ص ۴۶ ـ ۴۸ ؛ و ابن الأثير فى (الكامل) ج ٢ ، ص ٢۴ ؛ و أبو الفداء عماد الدين الدمشقى فى تاريخه ، ج ١ ، ص ١١٦ ؛ و شهاب الدين

١ـ يقول السيّد اسماعيل الحميرى فى ديوانه ص ٧٣ :

أبو حسن غلام من قريش أبرّهم و أكرمهم نصابا
دعاهم أحمد لمّا أتتهُ من اللَه النبوّةُ فاستجابا
فأدّبه و علّمه و أملى عليه الوحى يكتبه كتابا
فأحصى كلّما أملى عليه و بيّنه له باباً فبابا

و تخريج هذه الأشعار عن (أعيان الشيعة) ج ١٢، ص ٢١٦ ؛ كما أورد الحميرى فى ص ٢١٣ فما فوق ثلاثة عشر بيتاً مفصّلاً عن حديث العشيرة .

٢ـ (تاريخ الطبرى) ، ج ٢ ، ص ٦٢ و٦٣ .

٣ـ (شرح نهج البلاغة) ابن أبى الحديد ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ ،

و يقول العلّامة ءاية اللَه السيّد شرف الدين العاملى فى كتاب (المراجعات) الطبعة الاولى ، هامش ص ١١١ بعد نقله هذا المطلب عن شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : و كتاب (نقض العثمانية) من الكتب التى لا نظير لها ، و يجب على كلّ شخص باحث ان يرجع اليه ، و هو موجود فى ص ٢٥٧ الى ص ٢٨١ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد فى نهاية الخطبة القاصعة .

الخفاجى فى (شرح الشفا) للقاضى عياض ، ج ٣ ، ص ٣٧ (و بتر ءاخره) وقال : ذكر فى دلايل البيهقى و غيره بسند صحيح ؛ والخازن علاء الدين البغدادى فى تفسيره ، ص ٣٩ ؛ و الحافظ السيوطى فى (جمع الجوامع) كما فى ترتيبه ، ج ٦ ، ص ٣٩٢ نقلاً عن الطبرى ، و فى ص ٣٩٧ عن الحفّاظ الستّة : ابن اسحق ، و ابن جرير ، و ابن أبى حاتم ، و ابن مردويه ، و أبى نعيم ، و البيهقى ؛ و ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ج ٣ ، ص٢٥٤ . و ذكره المؤرّخ جرجى زيدان فى (تاريخ التمّدن الحديث) ج١ ، ص ٣١ ؛ و الاستاذ محمّد حسنين هيكل فى (حياة محمّد) ص ١٤ من الطبعة الاولى .

و رجال السند كلّهم ثقات الاّ أبو مريم عبدالغفّار بن القاسم ، فقد ضعّفه القوم و ليس ذلك الاّ لتشيّعه ، فقد أثنى عليه ابن عقدة و أطراه و بالغ فى مدحه كما فى (لسان الميزان) ج ٤ ، ص ٤٣ ، و أسند اليه و روى عنه الحفّاظ المذكورون و هم أساتذة الحديث ، و أئمّة الأثر ، و المراجع فى الجرح و التعديل ، و الرفض و الإحتجاج ، و لم يقذف أحدٌ منهم الحديث بضعف أو غمز لمكان أبى مريم فى إسناده ، و احتجّوا به فى دلايل النبوّة و الخصايص النبويّة . و صحّحه أبو جعفر الإسكافى و شهاب الدين الخفاجى كما سمعت ، و حكى السيوطى فى (جمع الجوامع) كما فى ترتيبه (ج ٢ ، ص ٣٩٦) تصحيح ابن جرير الطبرى له . على انّ الحديث ورد بسند ءاخر رجاله كلّهم ثقاتٌ كما يأتى ، أخرجه أحمد فى مسنده (ج ززز ، ص ١١١) بسندٍ ، رجاله كلّهم من رجال الصحاح بلا كلام ، و هم : شريك ، الأعمش ، المنهال ، عبّاد [1].

بلى ، نقل حديث العشيرة الكثير من الأعلام أمثال ابن مردوديه

١ـ (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

و السيوطى و ابن أبى حـاتم و البغـوى و الحلـبى فى (السـيرة النبويّـة) ، و نقلـه غيرهم بألفاظ أخرى ، مثل : **أَيُّكُمْ يُبَايعُنى عَلَى أَنْ يكونَ أَخِـى وَ صَـاحِبى وَ وَارِثى ؟ فَلَمْ يَقُمْ إلَيه أَحَدٌ ، فَقُمْتُ إلَيْهِ وَ كُنْتُ أَصْغَـرَ الْقَـوْمِ** ... الى أن قال : **فَضَرَبَ رَسُولُ اللَهِ بيَدِه عَلَى يَدِه** . و مثل : **مَن بَايَعَنى عَلَى لْ يَكُـونَ أَخِى وَ صَاحِبى وَ وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِى ؟ فَمَدَدْتُ يَدِى وَ قُلْتُ : أَنَا أُبَـايُعَكَ !** و مثل : **أَنَا أَدْعُوكُمْ إلَى كَلِمَتين خَفِيفَتَيْن عَلَى اللِّسَان ثَقِيلَتَيْن فِى المـيزان : شَهادَةُ لْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَهُ وَ أَنِّى رَسُولُ اللَهِ ، فَمَنْ يُجيبُنى إلَـى هَـذا الأَمْـرِ وَ يُوَازِرُنى يَكُنْ أَخِى وَو زِيرى وَ وَصِيّى وَ وَارِثى وَ خَلِيفَتى مِنْ بَعْـدِى ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ،فَقَامَ عَلِىٌّ وَ قالَ : أَنَا يَا رَسُولُ اللَهِ ! قالَ :إجلِس !ثُـمَّ أَعادَ القولَ عَلى القومِ ثَانياً فَصَمَتُوا ، فَقَامَ عَلِىٌّ و قال : أَنَا يَا رَسُولَ اللَـهِ ! فَقَالَ : إجلِس ! ثُمَّ أَعَادَ القولَ عَلى القومِ ثَالِثاً ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَقَـامَ عَلِىٌّ وَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَهِ ! فَقَالَ :إجلِسْ فَأَنْتَ أَخِى وَو زِيرى وَوَصِيِّـى وَ وَارِثى وَ خَلِيفَتى مِنْ بَعْدِى .**

و مثل : **أَيُّكُمْ يَنْتَدِبُ أَنْ يَكُونَ أَخِى وَو زِيرى وَ وَصِيِّـى وَ خَلِيفَتـى فِى أُمَّتِى وَ وَلِىُّ كلِّ مُؤمِنٍ بَعْدِى ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، حَتَّى أَعَادَهَاثَلاثاً ،فَقَـالَ عَلِىٌّ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَهِ !**

فَوَضَعَ رَأسَهُ فِى حِجرِه وَ تَفَلَ فِى فِيهِ ، وَقَالَ : اللَهُمَّ امْلَأْ جَوْفَـهُ عِلْمَاً وَ فَهْمَاً وَ حُكْمَاً، ثُمَّ قَالَ لِأَبى طَالِب : يَا أَبَا طَالِبٍ اسْمَعِ الأَنُ لابِنكَ وَ أَطِعْ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَهُ مِنْ نَبيِّهِ بمنزلَةِ هَرونَ مِن مَوسَى .

و مثل : **مَنْ يُؤَاخِينى وَ يُوَازِرُنى وَ يَكُونَ وَلِـيى وَ وَصِيِّـى بَعْـدِى وَ خَلِيفَتى فِى أَهْلِى يَقْضِى دَيْنى ؟** الي أن قال رسول اللَه لِعَلِىّ : **أَنْتَ ، فَقَامَ الْقَومُ وَ هُمْ يَقُولُونَ لِأَبى طَالِب : أَطِعْ ابْنَكَ فَقَدْ أُمِّرَ عَلَيْكَ .**

و مثل : **فَأَيُّكُمْ يَقُومُ فَيُبَايِعُنِى عَلَى أَنَّهُ أَخِى وَوَزِيرِى وَ وَصِيِّى وَ يَكُونُ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لاَ نَبِىَّ بَعْدِى ، إِلَىأَن قَالَ : فَقَامَ عَلِىٌّ فَبَايَعَهُ وَ أَجَابَهُ ، ثُمَّ قَالَ : اُدْنُ مِنِّى، فَدَنَا مِنْهُ ، فَفَتَحَ فَاهُ وَ مَجَّ فِى فِيهِ مِنْ رِيقِهِ وَ تَفَلَ بَيْنَ كِتْفَيهِ وَ ثَدْيَيْهِ ، فَقَالَ أَبُولَهَبٍ : بِئسَ مَا حَبَوتَ بِهِ ابنَ عَمِّكَ أَنَ أَجَابَكَ فَمَلاَتَ فَاهُ وَ وَجْهَهُ بُزَاقَاً .**

فَقَالَ صَلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم : مَلَأتُهُ حِكْمَةً وَ عِلْمًا .

و قد نقل مؤخّراً الاستاذ حسن أحمد لطفى فى كتابه (الشهيد الخالد **الحسين بن علىّ**) ذيل الحديث وفق رواية الطبرى ، كما أورده أيضاً توفيق الحكيم ذيل كتاب (محمّد) وفقاً للطبرى ، و أورده المحرّر القدير [شاعر الغدير] عبدالمسيح الأنطاكى المصرى و أنشد فيه قصيدةً غرّاء [1].

يقول أبوجعفر الإسكافى (بعد ذكر الحديث مفصّلاً) : فهل يُكلَّف عمل الطعام و دعاء القوم صغيرٌ غير مميّز ؟! و غرٌّ غير عاقل ؟! و هل يؤتمن على سرّ النبوّة طفلٌ ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين ؟! و هل يُدعى فى جملة الشيوخ و الكهول الاّ عاقلٌ لبيبٌ ؟! و هل يضع رسولُ اللَه صلّى عليه و ءاله يده فى يده و يُعطيه صفقةَ يمينه بالأُخوّة و الوصيّة و الخلافة الاّ و هو أهلٌ لذلك ؟! بالغٌ حدّ التكليف ، محتملٌ لولاية اللَه و عداوة أعدائه ، و ما بالُ هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ؟! و لم يلصق بأشكاله ؟! و لم يُرَمع الصبيان فى ملاعبهم بعد إسلامه ؟! و هو كأحدهم فى طبقته ، كبعضهم فى معرفته ، و كيف لم ينزع إليهم فى ساعةٍ من ساعاته ؟! فيُقال : دعاه بعضُ الصبا ، و خاطرٌ من خواطر الدنيا ، و عملته الغرَّة و الحدثة على حضور لهوهم ، و الدخول فى حالهم ، بل ما رأيناه إلّا ماضياً على

١ـ ملخّص لمطالب (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨٤ .

إسلامه ، مصمّماً على أمـره ، محقّقـاً لقولـه بفعلـه ، قـد صـدّق إسـلامه بعفافـه و زهده ، و لصـق برسـول اللَـه صلّـى اللَـه عليـه و ءالـه مـن بـين جميـع مَـن بحضرته ، فهو أمينه و أليفه فى دنياه و ءاخرتـه ، و قـد قـهر شـهوتَه ، و جـاذب خواطره ، صابراً على ذلك نفسَه ، لـما يرجو من فوز العاقبة و ثواب الأخرة [١].

بلى ، لقد كـان حديـث العشـيرة و تنصيـب أمـيرالمؤمنين عليـه السـلام فى ذلـك اليـوم فى منصـب الخلافـة واضحـاً و مسـلّماً بحيـث نقلـه بعـض المستشرقين ، و منـهم : جـورج سـيل **JEORGE SALE** فى كتابـه (قـرءان محمّد) **ALCORAN OF MOHAMMAD** يقول فيـه : لقـد أظـهر محمـد ءانذاك محبّة و مودّة كبـيرة لعلـى ، فقـد ضمّـه الى صـدره و أمـر الحـاضرين فى الـمجلسى أن يسمعوا له و يعتبروه خليفتـه و أن يطيعـوا أمـره ، فتفـرّق اولئـك القوم عن الـمجلس و هـم يقولـون لأبى طـالب : صـار عليـك الأن أن تُطيـع ابنك !

و يقـول جـون داقـن بُـرت **JOHN DAVEN PORT** فى كتـاب (محمد و القرءان) **MOHAMMAD AND CORAN** ص ٢١ ضمـن هـذه القصّة : فنهض النبىّ و أظهر أخلاقـه الحميـدة و شـمائله الكريـمة ، و وهـب لـمن يتبعه كنزاً أبديّاً (كنايـة عـن السـعادة الأبديّـة) ، و أورد فى الختـام خطبـةً اشتهرت ببلاغتـها و فصاحتـها ضمّنـها الأسـئلة التاليـة : أيّكـم يـوازرنى علـى هذا الأمر ؟ أيّكـم يكـون وصيّـى و وزيـرى كمـا كـان هـارون وصـىّ موسـى و وزيره ؟ فكان السـكوت مخيّمـاً علـى جماعـة الحـاضرين ، فلـم يجـرؤ أحـد منهم على قبول تلك المهمّة الخطرة الـتى عرضـها عليـهم ، الى أن قـام ابـن عـمّ الرسول علىّ ، ذلك الشاب الشـجاع فـصاح : أنا اؤازرك يا ايّها النبـىّ ! ـ الى أن

١ـ (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

يقول ـ فطوّق محمّدٌ بيديه ذلك الفتى الكريم و ضمّه اليه و صاح : هاكم فانظروا الى أخى و وزيرى !

و قد كتب و اشنجتن ارونيك الامريكى هذه القصّة فى (« الكتاب المقدّس» ترجمة الميرزا ابراهيم خان الشيرازى من الانجليزية الى الفارسيّة ، ص ۶) ضمن شرحه أحوال النبىّ الى أن يقول :

قال النبىّ : من يتقدّم منكم فيؤاخينى ؟ من منكم يكون وزيرى و وصيّى و خليفتى ؟ فصمت اهل المجلس مدّةً و لم يجبه أحد ، و ظلّوا ينظرون الى بعضهم و يتبسّمون فى وجوه بعضهم تعجّباً او سخرية ، الى أن قام علىّ أبى طالب بجرأة الشباب و قوّته غير مُبالٍ بأحد ، فتقدّم بقدم صادقة و قال : أنا غلامك و خادمك يا رسول اللَه ، و لو انى لا زلت طفلاً لا أصلح للخدمة .

فألقى النبىّ يده الى عنق ذلك الشاب الصادق و جذبه اليه فاحتضنه و هو يقول بصوتٍ عال : هاكم فانظروا الى أخى و وزيرى و وصيّى و خليفتى !

و لقد أضحكت جرأة و جسارة و تفاخر طفل كمثل على فى محفلٍ كهذا قريشاً و أثارت استهزاءهم ، فالتفتوا الى أبى طالب و هم يقولون فى سخرية : و أنتَ بالطبع تنتظرُ منّا ان نركع فى حضور ولدك و نقوم بتعظيمه [1].

و اجمالاً فانّ علينا ان نتحدّث عن هذا الحديث من جهتين : الاولى فى السند ، و الثانية فى الدلالة .

فأمّا من جهة السند ، فانّه ـ و كما ذكر ـ لا توجد أى شبهة أو شك

۱ـ نقلاً عن كتاب (شيعه در اسلام) سبط ، الجزء الاول ، ص ۵ ـ ۷ .

تعتريه ، لأن سـنده فى نظـر أهـل السـنّة فى غايـة القـوّة و الإتقـان ، لم يضعّفـه منهم أحد الّا ابـن تيميـة حيـث قـال بـأن هـذه الحديـث موضـوع و مفتعـل . و ليس لكلام ابن تيمية اى اعتبـار ، لأن الكـلّ يعلـم انّـه كـان رجـلاً متعصّبـاً معـانداً و معاديـاً لأهـل البيـت ، و كـان يُنكـر الأحـاديث المسـلّمة لمجـرّد تضمّنها لفضيلةٍ من فضائل أهل بيت رسول اللَه . بل انّ مـن المسـلّم عنـد أهـل الفنّ ان ميزان ابن تيميـة فى ردّ و قبـول الروايـات هـو تضمّنـها لفضـائل أهـل البيت أم عدم ذلك .

يقول اليافعى فى (مرءاة الجنان) : و لابن تيميـة فتـاوى عجيبـة و غريبـة عُدَّ بسببها مُبعداً عند أهل السنّة ، حيث قاموا بسجنه لـهذه العلّـة ، و مـن أقبـح نظريّاته الحكـم بحرمـة زيـارة قـبر الرسـول محمّـد صلـى اللَـه عليـه [و ءالـه] و سلّم . و العجب من الحلبى الـذى نقـل روايـة العشـيرة عـن ابـن تيميـة ، الى قولـه : فقـال رسـول اللَـه : **فَمَـنْ يُجِيبُنِـى إلَـى هـذَا الأَمْـرِ وَ يُوَازِرُنِـى ، أَى يُعَاوِنُنِى عَلَى الْقِيَامِ بِهِ .**

قَالَ عَلِىٌّ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَهِ وَ أَنَا أَحْدَثُهُمْ سِنًّا ، وَ سَكَتَ الْقَومُ .

ثم يختـم الحديـث الى هـذا الحـدّ و لا يتطـرّق الى شـىء مـن مقامـات أميرالمؤمنين فى سؤال النـبى و جوابـه عليـه السـلام ، فيُسـقط كلمـة (**عَلَـى أن يَكونَ أَخِـى وَ وَصِيّـى وَ خَلِيفَتِـى مِـنْ بَعْـدِى**) و جـواب النـبىّ : (**فَـأَنْتَ أَخِـى وَ وَصِيِّى وَ خَلِيفَتِى مِنْ بَعْدِى**) . الأعجـب مـن ذلـك قولـه : و أضـاف البعـض كلمة (**أَخِى وَ وَصِيّى وَ وَارِثِى وَ وَزِيرِى وَ خَلِيفَتِى مِنْ بَعْدِى**) [١].

جنايات الطبرى فى حديث العشيرة :

يقول العلّامة الأمينـى تـحت عنوان (جـنايات على الـحديث) : مـنها ما

١ـ (السيرة الحلبية) ، الـمجلد الاول ، ص ٣٢٢ .

ارتكبه الطبرى فى تفسيره (ج ١٩ ، ص ٧٤) ، فإنّه بعد روايته له فى تاريخه كما سمعت ، قلّب عليه ظهر المجنّ فى تفسيره فأثبته برمّته حرفيّاً متناً و سنداً ، غير أنّه أجملَ القول فيما لهج به رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله فى فضل من يُبادر الى تلقّى الدعوة بالقبول ، قال : **فَقَال : فَأَيُّكُمْ يُوَازِرُنِى عَلَى هَذَا الأَمْرِ عَلَى أَن يَكُونَ أَخِى وَ كَذَا وَ كَذَا ؟**

و قال فى كلمته صلّى اللَه عليه و ءاله الأخيرة : **ثُمَّ قَالَ : إنَّ هَذَا أَخِى وَ كَذَا وَ كَذَا** . (و يلاحظ مدى الجناية الفاضحة التى ارتكبها حين عمد ، من أجل اخفاء الحق و طمسه و من اجل اخفاء مقامات و فضائل أميرالمؤمنين ، الى إجمال لفظ (وَصِيِّى وَ خَلِيفَتِى فِيكُم) و إيراده على نحو الإبهام!)

جناية ابن كثير فى نقل حديث العشيرة : و تبعه على هذا التقلّب ابن كثير الشامى فى البداية و النهاية (ج ٣ ، ص ٤) و فى تفسيره (ج ٣ ، ص ٣٥١) . فعل ابن كثير هذا و ثَقُل عليه ذكرُ الكلمتين (وصيّى و خليفتى فيكم) و بين يديه تاريخ الطبرى و هو مصدره الوحيد فى تأريخه و قد فصّل فيه الحديث تفصيلاً ، لأنّه لا يروق اثبات النصّ لأميرالمؤمنين بالوصيّة و الخلافة الدينية ، والدلالة عليه و الإرشارة اليه . و هل هذه الغاية مقصد الطبرى حينما حرّف الكلم عن مواضعه فى التفسير بعد ما جاء به صحيحاً فى التأريخ على حين غفلة عنها ؟! أنا لا ادرى ، لكنّ الطبرى يدرى ، و أحسبك أيّها القارىء جدَّ عليم بذلك .

جناية هيكل فى نقل حديث العشيرة :

و منها خزاية فاضحة تحمّلها محمد حسنين هيكل [١] ، حيث أثبت

١ ـ وزير الثقافة الأسبق فى مصر ، و رئيس تحرير مجلّة الأهرام

الحديث كما أوعزنا اليه فى الطبعة الاولى من كتاب (حياة محمّد) ص ١٠٤ بهذا اللفظ (يذكر الحديث كما ورد ثم يختمه بهذه الكيفيّة) :

فَأَيُّكُمْ يُوَازِرُنِى هَذَا الأَمْرَ وَ أَن يَكُونَ أَخِى وَ وَصِيِّى وَ خَلِيفَتِى فِيكُمْ ؟ فَأَعْرَضوا عَنْهُ وَ هَمُّوا بِتركِهِ ، لَكِنَّ عَلِيّاً نَهَضَ وَ مَا يَزَالُ صَبِيّاً دُونَ الْحُلُم وَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَهِ عَوْنُكَ ، أَنَا حَربٌ عَلَى مَنْ حَارَبْتَ . فَابْتَسَمَ بَنُو هَاشِمٍ وَ قَهْقَهَ بعضُهُمْ وَ جَعَلَ نَظَرُهُمْ يَنْتَقِلُ مِنْ أَبِى طَالِبٍ إِلَى ابنِهِ ثُمَّ انْصَرَفُوا مُسْتَهزِئِينَ [١] .

فانّه أسقط من الحديث أوّلاً ما فرّع به رسولُ اللَه صلى اللَه عليه و ءاله كلامَه من قوله لعلىّ : **فَأَنْتَ أَخِى وَ وَصِيِّى وَ وَارِثِى** .

ثم نسب الى أميرالمؤمنين ثانياً انّه قال : (أَنَا يا رسول اللَه عَوْنُكَ ، أَنا حَربٌ عَلى مَن حَارَبْتَ) ليته دلّنا على مصدر هذه النسبة فى لفظ أى محدّث أو مؤرخّ من السلف ؟ وراقه أن يحكم فى الحضور فى تلك الحفلة بتبسّم بنى هاشم و قهقة بعضهم ، و لم نجد لهذا التفصيل مصدراً يُعوَّل عليه . و بما أنه لم يجد (هيكل) وراءه ممّن يأخذه بمقاله ، و لم يَرَ هناك من يُناقشه الحساب فى تقوّلاته و تصرّفاته ، أسقط منه ما يرجع الى أميرالمؤمنين عليه

١ـ يذكر فى كتاب (علىّ و الوصيّة) ، من ص ٤ الى ص ١٩، روايات كثيرة بطرق مختلفة مع ذكر اسنادها و العلماء الذين نقلوها فى كتبهم ، ثم يقوم فى ص ٣٣٧ ببيان اسناد هذا الحديث بالتفصيل . ثم انّه يذكر فى ص ٣٧٤ (و هى مستدركات الكتاب) تحت عنوان : الحديث الرابع ، روايةً عجيبة فى هذا الشأن عن أبىبكر يخاطب بها العبّاس بن عبدالمطلب، ورد فيها انّ أبابكر قال : فجمع رسول اللَه عشيرته و قال : فمن يقوم منكم يُبايعنى على أن يكون أخى و وزيرى و وصيّى و خليفتى فى أهلى ؟ فلم يقم ... الخ ؛ و ينقل فى ص ٣٧٥ نظير هذا الحديث ؛ ينقل هذين الحديثين عن التاريخ المخطوط لابن عساكر الذى توجد له صورة فوتوغرافيّة فى مكتبة الامام اميرالمؤمنين العامّة فى النجف الأشرف . كما ينقل هذا الحديث عن أبى بكر فى (المناقب) لابن شهر ءاشوب ، ج ١ ، ص٥٤٤ .

السلام فى الطبعة الثانية[1] سنة ١٣٥٤ ، ص ١٣٩ . و لعلّ السرّ فيه لفتةٌ منه الى غاية ابن كثير و أمثاله بعد النشر ، أو لنّ اللغط و الصخب حول القول قد كثرا عليه هناك من مناوئى العترة الطاهرة ، فأخذته أمواج اللوم و العتب حتى اضطرّته الى الحذف و التحريف ، أو لنّ العادة المطّردة فى جملة من المطابع عاثت فى الكتاب فغضّ عنها الطرف صاحبه لاشتراكه معها فى المبدء أو عجزه عن دفعها . و على لَئ فحىَّ اللَه الشعور الحىَّ ، و الأمانة الموصوفة ، و الحقّ المضاع المأسوف عليه [2].

و أمّا الجهة الثانية من البحث التى تتناول مفهوم و دلالة الحديث ، فقد جاء فى هذا الحديث باختلاف المضامين التى نُقل بها جملة (**أَنْتَ أَخِى وَ وَصِيِّى وَخَلِيفَتِى فِيكُمْ ، و اسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا**) و هو نصّ من رسول اللَه ، بل هو نصٌّ جلىّ و مُبين على خلافته بلا فصل و على وصايته عليه السلام ، مثل حديث غدير خم ، غاية الأمر لنّ هذا التنصيص كان فى بدء النبوّة و الدعوة ، و حديث الغدير فى نهايتها ، حيث وقع عند نزول جبرئيل

١ـ يقول الشيخ محمّد جواد مغنية فى كتاب (الشيعة و التشيّع) ص ١٤ :

و نقل الشيخ محمد حسن المظفّر فى كتاب (دلائل الصدق) ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ عن كتاب (كنز العمال) ج ٦ ، ص ٣٩٧ لنّ النَّبىَّ قَالَ لِعَشِيرَتِهِ : قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَ الْأخِرَةِ ، وَ قَدْ أَمَرَنى رَبِّى أَنْ أَدْعُوكُمْ إِلَيهِ ؛ فَأَيُّكُمْ يُوَازِرُنى عَلَى أَمْرِى هَذَا ؟ قَالَ عَلِىّ : أَنَا يَا نَبِىَّ اللَهِ أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ . فَأَخَذَ النَّبِىُّ بِرَقَبَتِهِ وَ قَالَ : إِنَّ هَذَا أَخِى وَ وَصِيِّى وَ خَلِيفَتِى فِيكُمْ ؛ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا ! فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ وَ يَقُولُونَ لَأَبِى طَالِبٍ : قَدْ أَمَرَكَ أَن تَسْمَعَ وَ تُطِيعَ لِوَلَدِكَ عَلِىٍّ .

ثمّ يقول فى التعليقة : ذكر هذه الحديث محمد حسنين هيكل فى كتاب (حيوة محمّد) الطبعة الاولى ، ثمّ حذفه فى الثانية لقاء ٥٠٠ جنيه (الجُنيه هو العُملة المتداولة فى مصر) و دليلُنا المقابلة بين الطبعتين . انظر التعليق ص ١١٤ من (أعيان الشيعة) ج ١ ، القسم الأول ، طبعة ١٩٦٠ انتهى .

٢ـ خلاصة ما جاء فى (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ الى ٢٨٩ .

و اخباره النبيّ بقرب حلول أجله ، هـذا اذا مـا أعرضنـا عـن بعـض الروايـات المذكورة ءانفاً ، و التى ورد فيها أيضاً عنوان : **وَارِثِى وَوَ زِيرى ، وَ وَلِـيّ كُـلِّ مُؤمِنٍ بَعْدِى ، وَ هُوَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُـوسىَ ، وَ يَقْضِـى دَيْنِـى** ، و لفـظ **(اسمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا)** ، التى يدلّ كلٌّ منها على ولايته و خلافته صراحةً .

و لو فرضنا انّه لا يوجد فى مجموع هـذه الأحـاديث غـير جملـة (**أَخِـى وَ وَصِيِّى وَ خَلِيفَتى فِيكُم)** ، فـانّ هـذه الجملـة ـ مع ذلـك ـ سـتدلّ بوضـوح و صراحة على تنصيبه عليه السلام فى مقام الخلافة و الوصاية .

ولاية أميرالمؤمنين كانت توأماً مع توحيد اللَه و نبوّة رسول اللَه منذ اليوم الأوّل .

يـمكن القول يقيناً بأنّ ولايـة أمـيرالمؤمنين قـد بـدأت منـذ اليـوم الأوّل مع شهادة **(لاَ إلهَ إلاَّ اللَهُ وَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَـهِ)** ، و بـأنّ جملـة **(عَلِـىٌّ وَلِـىُّ اللَهِ)** هى جملة متّصلة و غير قابلة للإنفكاك عن الشـهادتين ؛ لأنـه و منـذ اليـوم الأوّل الذى دعا فيه رسول اللَه قومه الى الاسـلام و أمرهـم بـإقرار الشـهادتين ، فانّـه أمرهـم فى نفـس اليـوم و فى نفـس المجلـس بإطاعـة مـولى الـموالى أميرالمؤمنين و اتّباعه [١]، و أعلنَ ولايتَه و خلافته .

و بناءً عـلى ذلك فانّ الاسلام قـد طـلع مـنذ الـيوم الأوّل بـهذه الـجمل

١ـ من الجدير بالذكر فى هذه الروايـة ، انّـه لم يعيِّـن أمـيرالمؤمنين عليـه السـلام وليًّـا و إمامًا واجب الطاعة بعد رحلته فقط ، بل انّه عيّنه كذلك فى حياته أيضًـا . ذلـك لأنّـه يقـول فَاسمعوا له و أطيعوا . و هذه العبارة تثبت وجوب السمع و الطاعة لـه عليـه السـلام فى زمـان رسول اللَه و تدل على عصمته عليه السلام منذ ذلك اليـوم ، لأن هنـاك ملازمـة بـين العصمـة و بين وجوب الاتّباع ، كما انّه كان من رسول اللَه منذ ذلك اليوم بـمنزلة هرون من موسـى الاّ انّه ليس بنبيّ . و يَدلّ على هذه المقولة ، كلام العلّامة ءاية اللَه السيّد شـرف الديـن العـاملى فى كتاب (النّص و الاجتهاد) ، الطعبة الثانيـة ، مطبعـة دار النـهج ـ بـيروت ، ص٣٧٦ فى التعليقـة الاولى.

الثلاث :

الشهادةُ باللَه ، و الشهادة بنبوّة رسول اللَه ، و الشهادة بولاية علىّ ولىّ اللَه ، و ما تقوله الشيعة من وجوب اتّباع أميرالمؤمنين هو واحد من المسائل القطعيّة فى الإسلام ، فحقيقة التشيّع هى حقيقة الاسلام . و اولئك الذين اكتفوا بالشهادتين و رفضوا ولاية و خلافة أميرالمؤمنين قد رفضوا بذلك جزءاً من الاسلام ، و فى الحقيقة فانّهم قد رفضوا الاسلام .

كما انّ الذين يشهدون بالتوحيد و لا يشهدون بالنبوّة قد أقرّوا بجزءٍ من الحقيقة و أنكروا الجزء الأخر ، بل قد أنكروا الحقيقة بأجمعها .

لقد أُسّس التشيّع و التبعيّة لأهل البيت و أوصياء رسول اللَه منذ اليوم الأوّل للإسلام ، و على هذا الأساس فقد أضيفت للولاية تدريجاً النصوصُ الصريحة للآيات القرءانيّة و لكلام رسول اللَه صلى اللَه عليه و ءاله ، كما أضيف للتوحيد و النبوّة تدريجاً نصوص صرحية من الأيات القرءانية و كلام حضرة الرسول .

و إضافة الى ذلك فانّه يُستفاد من هذا الحديث انّ أميرالمؤمنين كان شريكاً و مساهماً فى تحمّل أعباء النبوّة و القيام بوظيفة التبليغ الخطيرة و إبلاغ الأحكام و الجهاد ، و إيصال البشرية الى المقصود الذى هو واجب الرسالة ، لأنّ مضمون الرواية ليس (كلّ من ءامن بى هو وصيّى و خليفتى) بل مضمونها (كلُّ من يعاونى و يعاضدنى يكون خليفتى) ، لأن جمل الرسول التى رُويت عنه كانت : **أيُّكُمْ يُوازِرُنى على هَذا الأمرِ ؟ و أيُّكُمْ يُبَايِعُنى عَلَى أنْ يَكُونَ أخِى وَ صَاحِبى وَ وَارِثى ؟**

من منكم يُبايعنى ، اى من منكم يوطّن نفسه على الموت ، و من يشرى نفسه فيضع اختياره جانباً فيؤاخينى و يلازمنى و يصاحبنى و يكون وارثى فى كلّ مراحل النبوّة و فى مواجهة ءالاف المشاكل و تحمّل مشاقّ

رسالتى الخطيرة ، بحيث يتحمّل بعدى لوحده هذه المسؤوليّة ، و يقف وحيداً فى مواجهة دنيا الكفر ليبلّغ رسالتى ، فيقوم بذلك على خير وجه .

و أَيُّكُم يُؤاخينى و يُوازِرُنى وَ يَكُونَ وَلِيّى وَ وَصِيِّى بَعْدِى وَ خَلِيفَتِى فِى أَهْلِى يَقْضِى دَيْنِى ؟

وَ أَيُّكُمْ يَنْتَدِبُ أَن يَكُونَ أَخِى وَوَزِيرِى وَ وَصِيِّى وَ خَلِيفَتِى فِى أُمَّتِى وَ وَلِىّ كُلِّ مُؤمِنٍ بَعْدِى ؟

و يُستفاد من كلّ هذه الأحاديث انّ الرسول صلّى اللَه عليه و ءاله كان يبحث عن الصاحب و المعين و الناصر الذى يُعاضده . و هذه الجملات صريحة فى التساؤل : مَن منكم يأتى فى وضعى هذا و حالتى هذه ، فلا يدعنى وحدى ، و يقوم بنُصرة دين اللَه ، و يُعينى فى حياتى و بعد مماتى فى تحمّل هذه المسؤولية ، و يصاحبنى فى حياتى ، و يقوم بوظائف الرسالة خير قيام بعد مماتى ، و يؤدّى عنّى دَينى و عهدى تجاه ربّى ؟

و بناءً على هذا فانّ أميرالمؤمنين بقبوله لمثل هذا الأمر كان سهيماً مع الوجود المقدّس لرسول اللَه فى جميع مراحل أداء الرسالة و إيصال الناس الى منزل السعادة ، و فى الالتزام بالقيام بأعباء الخلافة و مشكلاتها .

صَلَّى اللَهُ عَلَيْکَ يَا أَبَا الْحَسَن ، و يجب ان لا يُتصوّر انّ المقام الذى منحه رسول اللَه لذلك الوجود العزيز بعنوان الأخ و الوزير و الخليفة و الوارث كان أمراً تشريفيّاً ، او نتيجةً و استفادةً حصل عليها مقابل موافقته ، و كأنه كان يريد أن يجزيه بإعطائه مثل هذه المناصب ، بل انّه قد طلبه بهذه الجملات و ندبه لتحمّل المشاق فى جميع الأمور .

مَن يتحمّل هذا الجبل العظيم الذى ينوء به الظهر ؟ من يقف معى كتفاً الى كتف فى مواجهة المشركين و دنيا الكفر و الشرك ، فلا يدعنى أتحمّل لوحدى كلّ تلك الضغوط ؟

مَن ينهض معى و يقـف الى جـانبى بروحـه و قلبـه بكـلّ معـنى الكلمـة فى جميع الحروب و الغزوات لإعلاء كلمة الحقّ ؟

من يهيّىء نفســه للوقـوف بشـجاعة امـام المخالفـات الشـديدة لقريـش ولكلّ طوائف الكفر ؟ من يستعدّ للهجرة و التشرّد فى الجبال و القفار ؟

من يرضى بالنوم فى فراشى ليلــة المبيـت ، فـيرى جسـده تحـت سـيوف شجعان العرب مقطّعاً إرباً إرباً ؟

مَن و من لا يهاب مواجة منــافقى أمّـتى حتّـى بعـد مـوتى ، و لا يسـمح لذرّةٍ من الهوى بالدخول الى قلبــه ، و يتحمّـل ءالاف المشـاكل و جبـال الحـزن و الغمّ ، و لا يتخطّى الرسول قيــد أنــملة ، لا تحرّكـهُ صرخـات ابنـتى الزهـراء ولا أنينـها ، و لا تثـير فيـه الإحساسـات القبليّـة أو القوميّـة ، فيبقـى عـــاملاً بوظيفته فى وقار و مهابة أشبه بــالبحر الخضّـم العظيـم ، فيُعلّـم و يُربّـى ، ليـس فقـط ذلـك العصـر بــمفرده ، بـل جميـع عـالم البشـريّة و الإنسـانيّة الى يـــوم القيامة ، بالعلم و الحلم و العظمة و الوفاء و الصفــاء و الصـدق و الزهـد و عـدم الاعتناء بغيراللَه سُبحانه .

فاعلموا يا أهــل الدنيــا انّ أمـيرالمؤمنين ، ذلـك الطفـل الصغـير فى ذلـك اليوم ، قد ردّ بالإيجاب على الرسول الأكــرم مقـابل تلكـم المشـكلات ، و أبعـد بجوابه هذه الأمواج العاصفة للخطــرات بصـدرٍ منشـرح و قلـب قـوىّ ، و أعـدّ نفسـه للفـداء فى أحـرج اللحظـات و أصعبـها ، و كـان يـرى متجليّــاً أمامــه كالــمرءاة المصـاعب و المصـائب خـلال ثـلاث و عشـرين سـنة تــمثّل فـترة رسالة النبيّ ، و المصائب والـمحن على مدى ثلاثين سـنة بعـد رحلـة الرسـول . لكنّه نهض وصاح : **أَنَا يَــا رَسُـولَ اللَـهِ** ! أنـا يـا رسـول اللَـه الـذى يُعينـك و يصاحبك و يلازمك و ينصــرك ؛ لا أغفـل عنـك لحظـة واحـدة ، أنـثر تحـت قدمـك الـمباركـة روحـى و مالـى و شخصيّتـى و حيثيّتـى و عـزّى و دنيـاى .

مستعدٌّ أنا لأراهم يُلقون الحبل فى عنقـى فيقودونـنى الى المسـجد للبيعـة [١]، فـلا أدعُ لسـانى يتخطّـى جـادّة العفّـة و الصـواب ، و لا الإحساسـات أن تحرّكـنى وتُثيرنى .

مستعدٌّ أنا لرؤيـة المشـركين و هـم يجمعـون الحطـب جـوار بيـت ابنتـك فيحرقونه [٢]، و لسماع صوت (ويلاه وا محمّـداه !) مـن قـرّة عينـك ؛ لكنّـنى لـن أفدى ألأهم للمهّم و لن اتخطّى واجبى و وظيفـتى حفظـاً علـى الشـريعة و بقـاء القرءان و إعلاء الإسلام .

أنا الـذى اختـارَ السـكوت و لم يُجـب فى أدقّ أوقـات الامتحـان ، و فى اللحظات التى جـاء فيـها كبـيرا قريـش أبوسـفيان و العبـاس يقولـون : ابسـط يدك يا علىّ لنبايعك فـلا يسـتطيع أحـد مخـالفتك [٣] فواللَـهِ إن شـئت لأملأنّـها على أبى فضيل ـ يعنى أبابكر ـ خيلاً و رجلاً [٤].

أنا الذى لجأتُ الى قبرك منتحباً محزوناً مـن الظلـم الـذى لحـق بـابنتك ، فقلتُ : **يَا ابنَ‌اُمَّ إِنَّ القَوْمَ استَضعَفُونِى وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِى** [٥].

لذا فانّ عدم قيام أحد مـن الـمدعوّين فى مجلـس العشـيرة لقبـول هـذا المعنى ، مع علمهم بصدق الرسول الأكـرم ، لم يكـن بغـير سـبب ، فلقـد ترعـرع رسول اللَه بينهم منذ طـفولته ، و لـم يكن غـريباً أو مـجهولاً فى قـومه ، لكـنّهم

١ـ (شرح نهج البلاغة ابن ابى الحديد) ، ج ٢ ، ص١٩ ؛ و ج ١، ص ١٣٤ ؛ و (الإمامة و السياسة) ، ج ١ ، ص ١٢ .

٢ـ(شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديـد) ، ج ٢ ، ص ١٩ ؛ المختصـر فى أخبـار البشـر و (تاريخ أبوالفداء) ، ج ١ ، ص ١٥٦ ؛ و (العقد الفريد) ابن عبد ربّه ، ج ٣ ، ص ٦٣ .

٣ـ (شرح نهج البلاغة) ابن أبى الحديد، ج ١، ص ١٣١، نقلاً عن كتاب (السقيفة) .

٤ـ و هذا هو كلام أبىسفيان . (شرح نهج البلاغة ابن أبى الحديد) ، ج ١ ، ص١٣٠ .

٥ ـ(الإمامة و السياسة) ، ج ١ ، ص ١٣ .

كانوا يشـعرون لنّ القبـول بهـذا المعـنى يعـنى تحمّـل ءالاف المشـاكل والغُصـص و الـمصاعب ، لذا قاموا و تركوا مجلس رسـول اللّـه سـاخرين مقهقـهين . و قـد اشار المرحوم السـيّد الحمـيرى فى بعـض قصـائده الى حديـث العشـيرة ، كـهذه القصيدة :

بأبى أنْـتَ وَ أُمّـى يَـا أَمِـيرَ الْمُؤمِنِنَـا
بأبى أنْـتَ وَ أُمّـى وَ برَهْطِـى أجْمَعِينَـا

الى أن يقول :

كُنْـتَ فِـى الدُّنْيَـا أَخَـاهُ يَـوْمَ يَدْعُـو الأقْرَبِينَـا [1]

و يقول أيضاً :

مِنْ فَضْلِـهِ أَنَّـهُ كَـانَ أَوَّلَ مَـنْ
صَلَّـى وَ ءامَـنَ بِـالرَّحْمَنِ إذ كَفَـرُوا
سِـنِينَ سَـبْعَاً وَ أَيَّامَـاً مُحَرَّمَـةً
مَـعَ النَّبِـىِّ عَلَـى خَـوْفٍ وَ مَـا شَـعروا
وَ يَوْمَ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ قَدْ عَلِمُـوا
أَنْـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الأَدْنَيْـنَ إن بَصُـرُوا

الى أن يقول :

مَنِ الَّذِى قَالَ مِنْهُمْ وَ هُوَ أَحْدَثُهُمْ
سِـنَّاً وَ خَـيْرَهُمْ فِـى الذِّكْـرِ إذ سَـطُرُوا
ءامَنْتُ بِاللَـهِ قَـدْ أَعْطَيْـتَ نَافِلَـةً
لَـمْ يُعْطِـهَا أَحَـدٌ جِـنٌّ وَ لاَ بَشَـرُ

١ـ هذه القصيدة مذكورة فى (ديـوان الحمـيرى) ، ص ٤٣٦ ؛ و قـد نقـل أصلـها مـن (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ و (أعيان الشيعة) ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨ ؛ و (المنـاقب) ، ج ٢ ، ص ٢٦ و ١٧٦ ، و ج ٣ ، ص ٥٥ .

وَ إنَّ مَـا قُلْتَـهُ حَـقٌّ وَ إنَّـهُمْ
إنْ لَـمْ يُجِيبُـوا فَقَـد خَـانُوا وَ قَـدْ خَسِـرُوا
فَفَـازَ قِدْمَـاً بِـهَا وَ اللَـهُ أكْرَمَـهُ
وَ كَـانَ سَـبَّاقَ غَايَـاتٍ إذَا ابتَـدَرُوا [1] .

و يقول أيضاً فى قصيدة أخرى :

عَلِيٌّ عَلَيْـهِ رُدَّت الشَّـمسُ مَـرَّةً
بِطَيبَـةَ يَـوْمَ الْوَحـىِ بَعْـدَ مَغِيـبِ

الى أن يقول :

و قِيلَ لَهُ أنذِر عَشِـيرَتَکَ الأُولَـى
وَ هُـمْ مِـن شَـبَابٍ أرْبَعِيـنَ وَ شِـيبِ

الى أن يقول :

فَفَازَ بِهَا مِنْـهُمْ عَلِـىٌّ وَ سَـادَهُمْ
وَ مَـا ذَاکَ مِـن عَادَاتِـهِ بِعَجِيـبِ [2]

١ـ (ديوان الحميرى) ، ص ٢٠٣ ؛ و قد ذكر أصل القصيدة من (اعيان الشيعة) ج ١٢ ، ص ٢٤٨ ؛ و (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ ، و (المناقب) ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

٢ـ (ديوان الحميرى) ، ص ١١٧ ، و قد ذكر أصل القصيدة من (الغدير) ج ٢ ، ص ٢٥١ ، و (المناقب) ص ٢٦ ، و ص ٣١٨ .

الدَّرْسُ السَّادِسُ

عِصْمَةُ الأَنْبِيَاءِ فِي الاِسْتِنَاءِ مَعَ اخْتِيَارِهِمْ فِي فِعْلِ أَفْعَالِهِمْ

بسم اللَه الرحمن الرحيم

و صلى اللَه على محمد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدآئهم أجمعين من الآن إلي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة إلاّ باللَه العلى العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ [1].

عصمة الأنبياء عن طريق إتمام الحجّة من قبل اللَه :

تبيّن هذه الأية المباركة السبب من إرسال الأنبياء الى الناس و الغاية من التبشير و الإنذار ، و هى إتمام الحجّة على الناس لئلاّ يكون لديهم عذر فى ارتكاب الأخطاء و الذنوب ، و لئلاّ يُقيموا الحجّة على اللَه يوم القيامة بأنّهم لم يكونوا يدركون شيئاً و أنه لم يوجد من يقوم بهدايتهم .

و من الجلّى انّ قاطعيّة العذر و كون أفعال الأنبياء و أقوالهم حجّة سيكون حين لا يعصون و لا يرتكبون أى زلل فى أقوالهم و أفعالهم ، و لا يُبتلون بالخطأ عند تلقّى الأحكام من قبل اللَه أو عند تبليغها ، و الاّ فانّ حجّة الناس و عذرهم سيكونان باقيين .

و سيقولون انّنا قد عملنا بالمعاصى لأنّنا شاهدنا الأنبياء يرتكبونها ،

١ـ الأية ١٦٥ ، من السورة ٤ : النساء .

و لقد بدرت منّا الأخطاء و المعاصى بسبب أخطاء النبىّ فى قوله و فعله ، فلقد أخطأ النبىّ و لم يتلقّ الوحى بصورة صحيحة ، او انّه تلقّاه بصورة صحيحة لكنّه أخطأ واضطرب فى تبليغه ، لذا فقد قمنا بأفعالنا نتيجة لذلك خلافاً للحقّ .

و لذا فانّ الأنبياء الذين بُعثوا لهذا الهدف ينبغى أن لا يقعوا فى الزلل و الخطأ ، و الاّ لما تحقّق الهدف من بعثتهم ، و هذا هو معنى العصمة .

إثبات العصمة من ءاية أخرى :

كما يمكن استفادة العصمة من ءاية اخرى :

وَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَهِ . [1]

فكما أنّ الأنبياء يصبحون مُطاعين بإذن االلَه ، فانّ من يتبعونهم سيكونون بالملازمة مطيعين بإذن اللَه ، و ستتعلقّ إرادة اللَه و إذنه بأفعالهم ، و من المعلوم انّ النّبى لو أخطأ فى تبليغه او ارتكب ذنباً فتجاوز الحقّ فى النتيجة فى قوله و فعله الّذين هما وسيلتان لإبلاغ الأحكام ، فانّ الناس الذين يتبعونه سيكونون بالتأكيد قد تجاوزوا الحقّ و عملوا خلافه .

و وفقاً للأية المباركة السابقة فى تعلّق إذن اللَه بأفعالهم ، فإنّ إرادة اللَه و إذنه ستتعلّق أيضاً بالأفعال الباطلة . و باعتبار انّ إرادة اللَه هى حقّ على الدوام و متعلّقة بالحقّ ، فانّه ينبغى الّا يرتكب نبىٌّ من الأنبياء أىّ خطأ أو معصية ، ليكون إذن اللَه الذى يتعلّق بفعل من يُتابعهم فى العمل متعلّقاً بفعل الحق .

وَ اللَهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ [2].

١ـ الأية ٦٤ ، من السورة ٤ : النساء .

٢ـ الأية ٤ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

و إضافة الى ذلك فانّ النبّى اذا ارتكب معصيــة إمّـا فى القـول أو الفعـل ، فى حين ان المعصية مبغوضة مـن قبـل اللَـه و مـورد نهيـه سُـبحانه ، فـانّ تلـك المعصية سـتكون مبغوضـة و منـهيّاً عنـها مـن قبـل اللَـه كمـا سـتكون محبوبـةً مأموراً بها من قبله تعالى . فمورد البُغـض و النـهى مـن جهـة انّ عملـه كـان ـ حسب الفرض ـ معصيّـةً ، و كـلّ معصيـة مبغوضـة منـهىّ عنـها ؛ و امّـا مـورد حبّ اللَه و أمره ، فمن جهة انّ فعله و قوله كان ـ حسب الفرض ـ بـإذن اللَـه . و ان الهدف من الرسالة هو اطاعة اللَه ، و بناءً على ذلك فانّ قولـه و فعلـه هـذا قد نشأ بإذن اللَه و رخصته و إرادته . و لأنّ اجتماع البُغـض و الحـبّ فى شـىء واحد من جهة واحدة ، و كذلك اجتماع الأمر و النهى فى فعل واحـد مـن جهـة واحدة أمر مستحيل ، لذا فانّ المعصية و الإثم من قبـل الأنبيـاء أمـر مسـتحيل ، و هذا هو معنى العصمة .

ملكة العصمة ليست سبباً فى جعل الأفعال اضطراريّة اجباريّة :

يظنّ كثير من الناس انّ الأفعال التى تصدر مـن الأنبيـاء و الأئمّـة الذيـن يـمتلكون ملكة العصمة تصـدر بـدون قـوّة علميّـة و لا إرادة اختياريّـة ، و انّ ملائكة السماء التى جعلها اللَه لحفـظ و حراسـة قلوبهـم عـن الخطـأ و المعصيـة هـى كـالرصد الدائـم فى مقـام المصونيّـة و المحافظـة الدائمـة تحذّرهـم مـن أى اختيار أو تصرّف .

و بناءً على هـذا فانّـه لا يجـب قيـاس عبـادتهم و مجـاهدتهم مـع سـائر أفراد البشـر ، لأنّ أفـراد البشـر يسـلكون طريـق اللَـه اثـر مجـاهدتهم النفسـيّة و يواجـهون المشـاكل و المشـاقّ ؛ فى حـين أن الأنبيـاء يُـهْدَون باطمئنـان بواسطة جبرئيل و سائر الملائكة ، فـهم لهـذه الجهـة طـاهرون و طيّبـون ذاتـاً ، و لا يرد فى سيرتهم شىء غير الطهارة و الطيب . و بناءً على ذلـك فـانّ كـلّ مـا فعلوه من الـتبليغ و الـترويج و الإسـتقامة و العـبوديّة و الـمجاهدة و الـصدق لا

ينبغى توقّعه و انتظاره من سائر الناس ، لأن سنخ وجودهم يغاير سائر أفراد البشر . و بالنتيجة فانّ أفعالهم و أقوالهم تغاير أقوال و أفعال أفراد البشر ، و نتيجة لذلك فانّ عصمتهم ليست منهم ، بل من اللَه الذى يُسيرّهم بين يديه فيتحركون بتحريكه دون أى يكون لهم لَىّ اختيار أو أى قوّة علميّة قلبيّة .

و هذا الظنّ خاطىء جدّاً و لا محلّ له ، علاوةً على انّه سيفتح لأفراد الأمّة طريق التثاقل و التهاون ، لأنّه من الواضح ان الأنبياء مع وجود مقام العصمة و الطهارة لديهم ، و مع وجود مصونيّتهم و حفظهم بإرادته و اختياره و ملائكته ، ولكن فى نفس الوقت فانّ اللَه و إرادته تلك ليست خارجة عن وجودهم ، و أن أعمالهم لا تصدر بدون قوّة علميّة و إدراكيّة ، و بدون إرادة قلبيّة و اختيار .

و لإيضاح هذا المطلب نقول لنّ جميع الحوادث التى تحدث و الموجودات التى توجد فى العالم ، مرتبطة كلّها و منوطة بالسبب و العلّة التى نشأت عنها ، و انّها تتحقّق فى الخارج بعلّة الصدور عن تلك العلّة .

و بناءً على هذا فانّ جميع الأفعال و الأقوال التى يفعلها النبىّ على ميزان واحد ، و هى كلّها على صواب و حقّ و طاعة ، و معلولة لسبب موجود فى نفس النبى ، و هو نفس الملكة و القوّة الرادعة التى توجد فى النبىّ .

تماماً مثل حالنا حين نعمل عملاً ، فاننا لا نفعله دون ان نتصوّر صورته أولاً ، و نميل اليه ثانياً ، ثم نصدر إرادة تحقّقه . كما انّه يجب علينا ـ من اجل أن نفعل شيئاً ـ ان نتصوّر فى الوهلة الاولى شكله و منظره ، ثم نجد رغبة الى ذلك العمل فى الوهلة الثانية ، ثم نوجد فى الوهلة الثالثة فى أنفسنا إرادة القيام بذلك العمل .

و الحال كذلك لدى الأنبياء أيضاً ، فانّ الأفعال التى تصدر عنهم تكون

بعد تصوّرهم للصورة العلميّة ، و بعد ميلهم و إرادتهم لتحقّق ذلك العمل .

و لإيضاح هذه المسألة نضيف : قد تصدر منّا نحن البشر أعمال حسنة أو سيّئة ، فالأعمال الحسنة ينبغى علينا أوّلاً ان نتصوّر صورتها العلمية ، ثمّ نقدم على فعلها بعد أن نجد لها فى أنفسنا ميلاً و إرادة ، و الأمر كذلك بالنسبة للأعمال السيّئة . و لو فرضنا انّ هناك أفراداً لا تخطر فى أذهانهم صور يميلون اليها الاّ و كانت صوراً جميلة و حسنة ، لذا فانّه بعد تعلّق الإرادة بهذه الصور فانّه سيظهر من هؤلاء على الدوام اعمال حسنة . وعلى العكس فاذا ما وجدت على الدوام فى أذهان بعض الناس صور قبيحة و مناظر للخيانة و الجناية و المعصية مع توفّر الإرادة أيضاً ، فانّه ستصدر منهم على الدوام أفعال قبيحة ، و هؤلاء هم أهل الشقاء ، كما أن الفئة الاولى هم أهل السعادة .

انّ الأنبياء هم من اولئكم الفئة التى تنعكس فى أذهانهم دوماً صور الخيرات و الأفعال الحسنة فيميلون اليها ، ثم يفعلونها بعد تحقّق إرادتهم . ولأن تلك الصور تظهر فى أذهانهم بشكل متعاقب ، فانّ حصول تلك الصور يتحوّل لديهم الى ملكة مثل ملكة العفّة و الشجاعة و السخاء و غيرها . و هذا عبارة عن ملكة العصمة فيهم . و بناءً على هذا فانّ صدور أفعال الأنبياء بوصف الطاعة سيكون دائماً و باستمرار مسبّباً عن الصورة العلميّة الحسنة الدائميّة ، و ذلك هو إذعانهم القلبى بالعبوديّة ، و المراد من الملكة هو رسوخ و عدم تغيّر الصورة العلمية فى النفس .

أفضليّة الأنبياء بسبب وجود الاختيار فى أفعالهم :

و هذا هو سبب مزيتّهم و أفضليّتهم على سائر أفراد البشر ، لأن ملكتهم النفسانية و قوّتهم العلميّة عالية جداً ، بحيث يختارون دائماً الخيرات و الطاعات بعلمهم و إرادتهم غير المنفكّة عنهم ، و الّا فاذا فُرض

انّ العمل الحسن يصدر منهم بدون العلم و الاختيار المرتبط بوجودهم ، فانّهم سيكونون أشبه بالساعة التى تُنصب فتتحرّك دون اختيار ، او كمثل مفتاح الباب الذى يفتح الباب دون اختيار و إرادة ، بل بسبب حركة اليد .

فأى فضيلة و شرف سيكون لهم فى مثل هذه الحالة ؟!!

و إضافة الى ذلك فانّنا نعلم انّ الأنبياء يتلقّون الوحى فلا يُخطئون فى التلقّى و التبليغ ، و لو كان هذا التلّقى و التبليغ غير مستند الى القوّة النفسانيّة و الملكة الموجودة فيهم ، و بدون الأسباب الموجودة بوجود الأنبياء و المقترنة بواقعيّتهم و وجودهم ، لاستلزم ذلك انّ هذه الأفعال ستصدر بدون علم النبىّ و إرادته ، و بذلك فانّ أفعال النبىّ ستخرج عن الاختيار ، و هو ما يتنافى مع افتراضنا بأن النبىّ مختار كسائر أفراد البشر .

و بناءً على هذا فانّ كلّ الأفعال التى تصدر عن الأنبياء قولاً و فعلاً ، و المعجزات التى تظهر على يدهم ، كانت كلّها بسبب علمهم و اختيارهم ، و مستنده الى ملكتهم و كيفيّتهم و حالتهم القلبيّة ، و ذلك كلّه مستند أيضاً الى إذن اللّه و حفظ الملائكة الذين يحفظون بهذا الطريق حالاتهم القلبيّة و الاختياريّة و صورهم العلمية و ملكاتهم النفسيّة .

و ينتهى هنا بحثنا عن عصمة الأنبياء ، و يتضّح بشكل كامل كيفيّة إفاضة هذه الموهبة الالهية ، و يتعيّن فضلهم و شرفهم بالنسبة لسائر البشر ، فلا بدّ ـ من أجل توضيح مقاماتهم و درجاتهم التى ذكرناها فى الدروس السابقة ـ أن نبحث عن كيفيّة الخلقة و عن كيفيّة حصول ملكة العصمة فيهم ، و هذا ما يحتاج الى عدّة أبحاث .

الخلقة عبارة عن الظهور لا الولادة و الخروج :

البحث الأوّل : انّ عالم الخلقة بما فيه الموجودات المجرّدة والماديّة ، هو ظهورٌ لنور وجود البارى تعالى شأنه ، و جميع الممكنات هى مظاهر

و تجليّات لتلك الذات المقدّسة ، و لذلك فانّ كلّ ممكن يقتبس بقدر سعة ماهيّته و قابليّته من نور وجود الحقّ تعالى ، فينعكس شعاع ذلك النور الطاهر فى مرءاة وجوده ، فيتخلّع بخلعة وجوده .

و ليس معنى الخلقة خروج شيء من ذاته المقدّسة و إيجاد شيء مستقلّ فى الخارج ، بحيث يقوم بنفسه و يستند الى نفسه فى أصل الوجود ، أو فى استمراره أو فى الصفة و الفعل .

و بناءً على هذا فانّ جميع عالم الوجود ـ عدا ذات الربّ ـ قائمٌ به و مستند اليه و معتمد عليه ، بحيث انّه لو فُصل عن هذا الإتّكاء و القيام و الاعتماد لحظةً واحدة لا نغمر عالم الخلقة فى ظلمة الفناء و العدم .

يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَهِ وَ اللَهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ [1].

و على هذا الأساس فانّ اظهار الأنبياء لعجزهم و مسكنتهم مقابل ساحة اللَه سُبحانه ، و مشاهدتهم فاقتهم و فقرهم أمام الذات القدسيّة ، و تعفيرهم سيماء التذلّل فى التراب فى مناجاتهم ، لم يكن تصنّعاً أو مُجاملة ، بل كان حاكياً عن أمر حقيقىّ واقعىّ ، و لذلك فاننا لا نفرّق من هذه الجهة بين الأنبياء و الأئمة و سائر الناس من أىّ صنف أو طبقة ، فكلّ ما يمتلكه أحد يمتلكه باللَه و مع اللَه ، امّا بدون اللَه فانّ الجميع لا يمتلكون شيئاً .

أساس عالم الوجود مبنى على اختلاف الموجودات :

البحث الثانى : انّ اساس عالم الوجود مبنىّ على الاختلاف فى الظهورات و التجليات ، و هذه المسألة كانت مشهودة فى الفلسفة تحت عنوان (**الوَاحدُ لاَيَصْدُرُ مِنْهُ إلَّا الوَاحِدُ**) وفى العرفان تحت عنوان (لاَ

١ـ الأية ١٥ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

تِكْرَارَ فِى التَجَلِّى) من قبل العرفاء الأجلاّء من الأولياء ذوى العزّة و المقدار ، كما كانت مورد بحث الحكماء الراشدين المسلمين .

اى انّه يستحيل فى جميع عالم الخلقة وجود موجودين متساويين من جميع الجهات . نعم ، يوجد بعض الموجودات المتشابهة فى بعض الجهات ، ولكن وجود موجودين متشابهين متماثلين من جميع الجهات أمرٌ يمتنع تحقّقه .

و قد أقرّت العلوم التجريبيّة اليوم بهذا الأساس ، و أثبتت على ضوء القياس و الإستقراء و التجارب المستمرّة بأنّه لا يوجد تشابه من جميع الجهات بين موجودين اثنين ، و لنّ لكلّ موجود مميّزات منحصرة به . حتّى انّه لا يوجد بين أفراد الإنسان منذ خلقة ءادم أبى البشر الى يوم القيامة انسانان متشابهان من جميع الجهات ، لا من جهة الذاتيّات و الصفات ، و لا من جهة الأعراض الزمانية و المكانيّة و الكيفيّة و الكميّة و غيرها ، حتّى انّه لا يوجد انسانان متشابهان فى الخطوط الموجودة فى بنان أصابعهما و فى الخطوط المنقوشة على بدنيهما ، و يُستفاد من هذا الاختلاف فى أمر تشخيص هويّة المجرمين .

بل لنّ خطوط الجلد الموجودة فى أىّ نقطة من جسم الإنسان تختلف عن غيرها فى جزء ءاخر من نفس الجسم ، فالخطوط الموجودة على أصابع الكفّ الأيمن مثلاً تختلف عن الخطوط الموجودة على أصابع الكفّ الأيسر ، و خطوط سبّابة اليد اليمنى تختلف عن خطوط بقيّة الأصابع فى نفس الكف .

و لذلك ، و على أساس هذا الأصل الكلّى و الدائمى فانّ كلّ فرد من أفراد الإنسان يختلف فى تشكيل الخلقة عن الأخر ، و كما يتفاوتان فى السيماء و الشكل و الشمائل ، فانّهما يتفاوتان أيضاً الى حدّ كبير فى

الملكات و الغرائز .

و يلاحـظ فى مرحلـة الطفولـة انّ بعـض الاطفـال يتفـاوتون فى مقـــدار السـخاء و الايثـــار ، و فى الحيـــاء و العفّـــة ، و فى المتانـــة و الأصالـــة ، و فى الشجاعة و الذكاء و الفهم و النباهة ، لـذا فـان الأنبيـاء و الأئمـة يتفـاوتون مـع سائر البشر ، بل انّ الانبياء فى نفس الوقت الـذى بُعثـوا فيـه بأجمعـهم مـن قبـل اللَه و أُوكلت اليهم مهمّة ابلاغ الرسالة ، و مـع اتّفاقـهم علـى دعـوة النـاس الى مقام التوحيد ، و بعبارة مختصرة ، مـع انّـهم كلّـهم مـن مبـدأ واحـد و يرجعـون الى مرجع واحد ، و ان مجيئهم و ذهابهم من مكـــان واحـد و الى مكـان واحـد ، يشهد على ذلك قوله تعالى على لسان المؤمنين :

لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ [1].

فانّـهم فى نفـس الوقـــت يختلفـــون و يتفـــاوتون مـــن جهـــة ســـعتهم الوجـودية ، التـى يتبعـها تفاوتـهم فى الـغرائز و الصـفات و الـمواهب الالـهيّة .

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مِّن كَلَّـــمَ اللَـهُ وَ رَفَـعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَتِ وَ أَيَّدْنَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ [2].

و هذا الاختلاف واضح و مشهود فى هـذه الأيـات المباركـة الـتى تشـرح قصص الأنبياء و صفاتهم .

جميع الموجودات التى تحمل القوّة و الاســتعداد تتحـرّك باتّجـاه الكمال :

البحـث الثـالث : انّ هنـاك حركـة نحـو الكمـال فى جميـع الموجـــودات التـى تـمتلك قـوّةً و اسـتعداداً ، و التـى ينبغى ان توصـل قابلياتها الـى مرحـلة

١ـ الأية ٢٨٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ صدر الأية ٢٥٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

الفعليّة . و نتيجة هذا السير و الحركة هى العبور من مراحل الكمون و الاستعداد و الوصول الى مراحل ظهور الكمال و الفعليّة . و هذه الحركة موجودة فى جميع موجودات عالم الطبع ، بما فيها الانسان و الحيوان والنبات و الجماد ، كما انّ السير و العبور من المراحل البدائية الى المراحل النهائيّة أمر مشهود .

و لأنّ الأنبياء و الأولياء هم كسائر أفراد البشر غير مستثنين من هذه القاعدة ، فاننا نرى انّ مراحل تكوينهم تبدأ فى هذا العالم من سُلالة من ماء مهين ، ثم تطوى مراحل استعدادها و فعليّاتها المختلفة ، و تتخطّى مراحل الاستعداد واحداً بعد ءاخر ، من نطفة و علقة و مضغة و تشكّل العظام و إكسائها باللحم ، ثم انشاء خلقة الروح و تبديل المادة الى النفس المجرّدة الناطقة ، فتستقبل مراحل الفعلية واحدةً بعد اخرى ، الى أن تصل الى مرحلة الفعليّة التامة :

يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّکَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّکَ كَدْحًا فَمُلَقِيهِ [1].

كما انّ الأنبياء هم ـ من جهة السير و الحركة الطبيعية و الطبعيّة و الماديّة ـ كسائر أفراد البشر فى حركة من الصِغر الى الكبر ، و من الضعف الى القوّة ، و من صغر الجسم الى كبره ، يدلّ عليه قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ [2].

و قوله تعالى فى ءاية أُخرى :

وَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ الْأَخِرَةِ وَ أَتْرَفنَاهُمْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَامَاهَذَاإِلاّبَشَرٌمِّثْلُكُمْ يَأكُلُ مِمَّا تَأكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ

١ـ الأية ٦ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق .

٢ـ الأية ١١٠ ، من السورة ١٨ : الكهف .

مِمَّا تَشْرَبُونَ [1].

سكما انّهم من وجهة نظر الكمالات الروحيّة و بروز القابليّـات و الغرائـز و الصفات الباطنيّـة و الملكـات فى سـير و حركـة ، شـأنهم شـأن سـائر أفـراد البشـر ، حيـث يقومـون مـدّة عمرهـم بإيصـال تلـك الجواهـر المكنونـة الى مرحلة الظهور و الفعليّة التامّة .

كمال كلّ موجود هو فعليّة القابليات الموجودة فيه .

البحث الرابع : لنّ حصيلة و نتيجة إيصـال القابليـات الى مرحلـة الفعليّـة أمـرٌ يتبـع مباشـرة للقابليـات نفسـها ، ففعليّـة الانسـان مثـلاً تابعـة للقابليـة الانسانيّة ، و فعليّة الحيوان تابعة لقابلية ذلـك الحيـوان ؛ فالنعامـة لـن تصـل فى سيرها التكاملى أبداً الى فعليّة صقـر الصيـد ، كمـا لنّ فعليّـة و كمـال الخـروف لن تظهر قابليات الجمل و الحصـان . فكـلّ واحـد مـن هـذه الانـواع المختلفـة و الأصناف المتفاوتة من الحيوانـات يتحـرك فى جهـة تلـك الغريـزة و القابليـة ، و يُظهر تلـك القـوة و القابليـة الكامنـة فى ذاتـه ، و يوصلـها الى مقـام الظـهور و البروز و الفعليّة و التماميّة .

على لنّ جميع البشر ، كمـا انّـهم مـن وجهـة نظـر المـادّة و الطبـع و مـن جهة تكاملهم و تـماميّتهم فى سير و حركة ، فانّهم إلزاماً فى حركـة و سـير مـن وجهة نظر الكمالات الروحيـة ، و وفقـاً للغرائـز و الصفـات الـتى وُهبـت لهـم ، مـن أجـل إكمـال أنفسـهم و إيصالها الى الفعليّـة المحضـة . لـذا يسـتحيل ان تكون فعلـيّة فـردين من افـراد الـبشر متساوية و متماثلة من جـميع الـجهات .

و هكذا فانّ عيسى لـن يكـون موسـى ، و موسـى لـن يكـون عيسـى ، لكنّهما فى حال النبوّة و فى حال الـموت غيرهـما فى حال النطـفة أو فـى حـال

١ـ الأية ٣٣ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

الجنين او فى حال الطفولة . و عيسى على نبيّنا و ءاله و عليه السلام مع انّه قد بُعث نبيّاً بينما كان طفلاً يتكلّم فى المهد ، فانّه فى حال نزول الانجيل و بروز المعجزات الالهيّة و دعوة بنى اسرائيل ، من شفاء الأبرص و إحياء الموتى و شفاء العُمى منذ ولادتهم ، كان غير عيسى الذى كان فى بطن أمّه مريم ، و هكذا الحال بالنسبة الى باقى الأنبياء .

انتظار اللّه سبحانه و عالم الوجودمن كلّ فرد هو كماله المطلوبلا كمال غيره :

البحث الخامس : ان انتظار عالم الواقع و الخارج من كلّ فرد هو كماله المطلوب لا كمال غيره ، فالعوالم المجرّدة و غير المجرّدة من العقول و الملائكة و الكواكب ، و سيّارات الشمس و القمر ، و الليل و النهار تتوقّع و تنتظر من كلّ فرد ايصال ثرواته الالهيّة على نحو حسن الى مرحلة الفعلية ، و أن لا يُهدرها أو يُفسدها ، و لا تنتظر منه أن ينال فى مسيرته و حركته المراحل الفعليّة لسائر الموجودات التى تختلف عنه فى اعطاء الغرائز و الصفات الالهيّة :

لاَ يُكَلِّفُ اللَهُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا [١].

لَا يُكَلِّفُ اللَهُ نَفْسًا إلَّا مَآءَاتَاها [٢].

انّ اللّه هو العدل المحض ، لذا فانّه لا يظلم مثقال ذرّة :

إنَّ اللَهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا [٣].

لأنّ الظلم يعنى الانتظار و التوقّع من النملة و تكليفها بالقفز كما تفعل

١ـ الأية ٢٨٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ الأية ٧ ، من السورة ٦٥ : الطلاّق .

٣ـ الأية ٤٤ ، من السورة ١٠ : يونس .

الجرادة ، فإن خـالفت عُذِّبـت و عوقبـت ، امّـا اذا ائتُظِـرَ مـن النملـة ، حسـب شعورها و إدراكها ، أن لا تسلب ظلماً حبّةً من فم نـملة أصغر ، فانّ هـذا ليـس بظلـم ، و هـذا التكليـف تكليـف بـالحقّ بـمقدار القابليّـة و الفـهم و الإدراك ، و متلائم و السعة و الظرفيّة الوجوديّة للنملة ، و هو عين العدل المحض .

و اذا ما كلّف اللَه أفراد الأمّة بـمثل التكليف الذى كلّفه للأنبياء فـانّ هـذا سيكون ظلماً ، امـا اذا انتظـر مـن كـلّ فـرد مـن أفـراد الأمّـة ظـهور و بـروز اسـتعداداتهم و قابليـاتهم فى طـىّ طريـق اللَـه و لقـاء حضرتـه ، و كلّفـهم بالمجاهدة و الصبر و العبوديـة قـدر سـعتهم و ظرفيّتـهم فى متابعـة ذلـك النـبىّ ، فانّه لن يكون ظلماً أبداً .

الأنبياء يـمتلكون العلم و الاختيار فى جميع أفعالهم ، معجزةً كـانت أم غير معجزة :

البحث السادس : انّ الأنبيـاء يـمتلكون علمـاً و اختيـاراً شـأنهم شـأن سائر افـراد البشـر ، و الافعـال الـتى تصـدر عنـهم بعنـوان المعجـزة أو الوحـى الالهى الذى يبلغونه للناس ، او فى مقـام العبوديـة و الاسـتكانة عندمـا يعفّـرون وجوههم بتراب المذلّة امام اللَه ، هى كلها نابعـة مـن علمـهم و اختيـارهم ، فـلا يصـدر شـىء منـهم اضطـراراً أو إجبـاراً ، لكـنّ التزكيـة و الطـهارة و العلـم و القدرة الفكريّة و العملية تترشحّ كلّها بإذن اللَـه مـن كيـانهم ، و يظـهر ـ تبعـاً لذلك ـ ءاثار و خواص عجيبه و خارقة للعادة .

و الأن و قد أصبحت هذه الأبحاث واضحة و معيّنـة ، فقـد اتّضـح كذلـك كيفيّة خلقة الأنبياء و الأئمة عليهم السلام و كيفيّة عصمتهم .

فأوّلاً انّ ملكة العصمة فى الأنبياء التى تحذّرهم من أى خطأ أو معصيه ، كانت اثر الموهبة الالهية ، و منسجمة كاملاً مع عنوان الوراثة و التأييد بروح القدس ، لكنّ هـذه العصـمة كانت كـذلك فى الـمراحل الاولـية

بعنوان القوّة و القابليّة ، و هى معهم فى كلّ الأحوال ، فى النوم و اليقظة و التجليّات ، و قد وصلت ؛ على اثر المجاهدة و العبوديّة التامة والابتلاءآت الثقيلة و الامتحانات الكثيرة ؛ الى مرحلة الفعليّة و التماميّة .

عيناً مثل سائر الملكات المكتسبة لأفراد البشر من العلوم و الفنون و الصنائع ، التى تبقى ـ بعد حصول الملكة ـ فى أعلى درجاتها لا تنفصل عنهم أبداً ، و تبقى فى كلّ حال ملازمة لوجودهم .

ان فعليّة و تماميّة هذه الملكة أمر اكتسابى ، لكنّ أصلها (أى القابليّة و الاستعداد) موهبة تختصّ مراحلها العالية بالأنبياء و الأئمة ، كما وُهبت سائر مراحلها لأولياء اللَه و المقرّبين له بحسب اختلاف درجاتهم .

ثانياً : ان ملكة العصمة فضيلة و شرف علمىّ اختيارىّ ، و هى من صفات نفوس الأنبياء ، و التى أصبحت على هذا الأساس سبباً فى كرامتهم و شرفهم ، و ميّزتهم عن سائر أفراد الأمّة ، عيناً مثل ملكة علم الطبّ و الرياضيّات و الفلك التى تميّز عالم الطب و عالم الرياضيات و عالم الفلك عن سائر الأفراد ، مع هذا الاختلاف لنّ ملكة العصمة هى ملكة الواصل الى الواقع و متن الحقيقة ، و العلم الحضورى بالنسبة الى الأشياء ، و الوصول الى حقيقتها الخارجيّة ، و بالطبع فكما لنّ الخطأ و الذنب ليس له معنى فى متن الخارج ، فانّ الذنب و الخطأ كذلك لا معنى له لدى الأنبياء .

بيد لنّ ملكة علم الطب و الرياضيّات ليست كذلك ، فهى تمنح القوة فقط لنفس الطبيب و عالم الرياضيّات فى مجالٍ معيّن ، بحيث يمكنه الاستفادة من ملكته و اظهار ءاثارها فى الخارج فى أىّ لحظة يشاء .

ثالثاً : انّ إعطاء هذه الملكة للأنبياء و عدم إعطائها لغيرهم ليس ظلماً و لا جوراً ، لأن الظلم سيكون حين يُنتظر من موجودٍ ما نضح ءاثار تزيد عن حدّ وجوده ؛ و اللَه سبحانه لم يكلّف غير الأنبياء بالتكليف الذى حمّلهم

ايّاه حسب السعة الوجوديّة لنفوسهم لئلاّ يكون ذلك ظلماً ، بل انّه كلّف كلًّا حسب قابليّته و استعداده ، علماً بأنّ قابليّة و استعداد الموجودات ليسا خارجين عن إحاطة قدرة اللَه بل هى بإعطائه ، و كلام ابن سينا (**مَا جَعَلَ اللَهُ الْمِشْمِشَةَ مشْمِشَةً بَلْ أَوْجَدَهَا**) له دلالة جيّدة على ذلك .

و بناءً على هذه فانّ الخالق العليم قد خلق الموجودات ، و من جملتها أفراد الإنسان مختلفة متفاوتة دون أىّ ذرّة من الاستحقاق الذاتى ، و ابتلى كلّاً منها فى طريق تكاملها ، و من جملتهم الأنبياء الذين ابتلاهم ـ بسبب تفوّق قابليّتهم التى وهبها اللَه لهم على قابليّات الأخرين ـ بابتلاءآت أعجب و امتحانات أصعب و مجاهدات أشقّ ، فسلكوا هذا الدرب و طووا هذا السبيل بقدم الطاعة و الاختيار . و أخيراً ، و لأن الكمال مختصّ باللَه وحده ، فان مرجع الكمالات من الأنبياء أو غيرهم ، الى اللَه وحده . [1]

لقد تجلّى اللَه سبحانه و تعالى فى الأنبياء تجلياً تاماً ، و تجلّى فى نبىّ الاسلام تجلّيًا أتمّ و أكمل ، كما تجلّى فى سائر الموجودات تجلّيات متفاوتة ، و لا يعنى هذا أنّ اللَه أخرج شيئاً من وجوده فأدخله فيهم ، أو أنّه

١ـ يقول الشيخ محمد جواد مغنية فى كتاب (الشيعة و التشيّع) ، طبع مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ، حى ٣٧ و ٣٨ : العصمة قوّة تمنع صاحبها من الوقوع فى المعصية و الخطأ ، بحيث لا يترك واجباً و لا يفعل محرّماً ، مع قدرته على الترك و الفعل ، و الّا لم يستحقّ مدحاً و لا ثواباً ، أو قل : انّ المعصوم قد بلغ من التقوى حدّاً لا تتغلّب عليه الشهوات و الأهواء ، و بلغ من العلم فى الشريعة و أحكامها مرتبةً لا يخطىء معها أبداً .

و يقول فى التعليقة : قال الإمام يصف نفسه : مَا وَجَدَ النَبىُّ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَ اَلِهِ لِى كذبَةً فى قَوْل ، و لا خَطلَةً فِى فِعْل ؛ وَ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ . يَرْفَعُ لِى كُلَّ يَوْمٍ نَمِيراً مِنْ أخلاَقِهِ ، وَ يَأْمُرُنِى بالإقْتِدآءِ بِهِ . و هذا معنى العصمة عند الشيعة ، لا كذب فى قول و لا زلّة فى فعل .

سلب ملكية صفة و ملكة ما فنقلها اليهم .

لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ [١].

فلا يوجد فى عالم التوحيد موجود غير ذاته الأحدية المقدّسة ، له بنفسه شيء يستحقّ المدح ، لا الأنبياء و لا غيرهم ، بل لنّ كلّ شيء من اللَه و راجع اليه .

لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولَى وَ الْأَخِرَةِ .[٢]

الحمد و الشكر مختصّان بذات الخالق المقدّسة فى النشئة الاولى وفى النشئة الاخرى .

بلى ، هذا المدح و الفضيلة و الشرف فى عالم الكثرة و ظهور الموجودات على حسب اختلاف الكثرات و الاعتبارات ، و من الواضح أن الأنبياء هم أفضل و أشرف جميع الموجودات لأنّ سعتهم الوجوديّة أكثر من جميع الموجودات ، و لأن إدراكهم و علمهم أعلى ، و مجاهدتهم و ابتلاءآتهم أكثر ، **وَ الْحَمْدُ لِلهِ أَوّلاً وَ ءاخِرًا وَ ظَاهِرًا و بَاطِنًا** .

كانت هذه مطالب بيّناها فى شأن العصمة الكليّة للأنبياء .

إثبات عصمة أميرالمؤمنين عن طريق اتّحاد نفسه مع نفس رسول اللَه .

انّ أميرالمؤمنين له حكم نفس رسول اللَه بمقتضى النصوص الصريحه ، و لذلك فانّ قلبه المبارك له ملكة العصمة القدسيّة . و الروايات الواردة فى اتّحاد روحه عليه السلام مع روح رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله ، عن طريق أهل السنّة كثيرة ، و نذكر بعضها كنماذج :

١ـ الأية ٣ و ٤ ، من السورة ١١٢ : الإخلاص .

٢ـ الأية ٧٠ ، من السورة ٢٨ : القصص .

يقول القندوزى الحنفى :

و فى المناقب عن علىّ بن الحسن ، عن علـىّ الرضـا ، عـن ءابائـه ، عـن أميرالمؤمنين علىٍّ عليهم التحيّة و السلام .

قَالَ : إنَّ رَسُولَ اللَهِ صلّى اللَه عليه و ءاله خَطَبَنَا فَقَالَ : أَيُّهَا النَّـاسُ إنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إلَيْكُمْ شَهْرُ اللَهِ بالبَرَكَةِ وَ الرَّحْمَةِ والْمَغْفِرَةِ ، وَ ذَكَرَ فَضْلَ شَـهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ بَكَى ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَهِ مَا يُبْكِيكَ ؟

فَقَالَ : يَا عَلِىُّ ! أَبْكِى لِمَا يُسْتَحَلُّ مِنْكَ فِى هَذَا الشَّهْرِ ؛ كَـأَنِّى بِـكَ وَ أَنْتَ تُرِيدُأَن تُصَلِّى ، وَ قَدِ انْبَعَثَ أَشْقَى الأَوَّلِينَ وَ الآخِرِينَ ، شَقِيقُ عَاقِرِ نَاقَةِ صَالِحٍ ، يَضْرِبُكَ ضَرْبَةً عَلَى رَأسِكَ ، فَيَخْضبُ بِهَا لِحْيَتَكَ .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَهِ وَ ذلِكَ فِى سَلاَمَةٍ مِنْ دِينِى ؟

قَالَ : فِى سَلاَمَةٍ مِنْ دِينِكَ .

قُلْتُ : هَذَا مِن مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَ الشُّكْرِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِىُّ ! مَن قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِى ، وَ مَن أَبْغَضَكَفَقَدْ أَبْغَضَنِى، وَ مَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّنِى ، لِأَنَّكَ مِنِّى كَنَفْسِى ،رُوحُكَ مِن رُوحِى ، وَطِينَتُكَ مِن طِينَتِى ، وَإِنَّ اللَـهَ تَبَـارَكَ وَ تَعَـالَى خَلَقَنِـى وَ خَلَقَـكَ مِـنْ نُـورِهِ ، وَاصْطَفَانِى وَ اصْطَفَاكَ ، فَاخْتَارَنِى لِلنُّبُوَّةِوَ اخْتَارَكَ لِلإِمَامَةِ .

فَمَنْ أَنكَرَإِمَامَتَكَ فَقَدْ أَنْكَرَ نُبُوَّتِى . يَا عَلِىُّ أَنْتَ وَ صِيِّى ، وَ وَارِثِـى، وَ أَبُو وُلْدِى ، وَ زَوجُ ابْنَتِى ، أَمْرُكَ أَمْرِى ، وَنَهْيُكَ نَهْيِى ، أُقْسِمُ بِاللَـهِالَّذِى بَعَثَنِى بِالنُّبُوَّةِ ، وَ جَعَلَنِى خَيْرَ البَرِيّةِ ، إنَّكَ لَحُجَّةُ اللَهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَ أَمِينُـهُ عَلَى سِرِّهِ وَ خَلِيفَةُ اللَهِ عَلَى عِبَادِه [1].

و قـد وردت فـى هـذه الـرواية فقرات صريحة فى اتّحاد روح علىّ عليه

١ـ (ينابيع المودّة) ، ص٥٣ .

السلام المقدّسة مع روح النبىّ ، و أكثر ما يستحقّ التأمّل و الاهتمام قوله صلى اللَه عليه و ءاله : **فَمَنْ أَنْكَرَ إِمَامَتَکَ فَقَدْ أَنْكَرَ نُبُوَّتِی** .

اذ يتّضح منها انّ مسألة الإمامة هى روح الإسلام و حقيقة الإيمان ، الى الحدّ الذى يصبح الإنسان بدونها عارياً عن الايمان و مُنكراً للنبوّة ، و لو اعترف ءالاف المرّات بالنبوّة .

يقول فى (السيرة الحلبيّة) : قَالَ أَبُوبَكْر : **سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ صلّى اللَه عليه [وءاله] و سلّم يقُولُ : عَلِیٌّ مِنِّی بِمَنْزِلَتِی مِنْ رَبِّی** [١].

و يقول القندوزى : **عَن عمران بن حصين رضى اللَه عنه ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَه عليه و ءاله : عَلِیٌّ مِنِّی وَ أَنَا مِنْهُ ، وَ هُوَ وَلِیٌّ كُلِّ مُؤمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ بَعْدِی** . رواه صاحب الفردوس [٢].

كما يروى عن سلمان قال : قال رسول اللَه صلى اللَه عليه و ءاله : **لِكُلِّ نَبِیٍّ صَاحِبُ سِرٍّ وَ صَاحِبُ سِرِّی عَلِیٌّ بْنُ أَبِی‌طَالِبٍ** . رواه صاحب الفردوس [٣].

و يقول أيضاً : على عليه السلام رفعه عنه صلّى اللَه عليه و ءاله : **خُلِقْتُ أَنَا وَ عَلِیٌّ مِنْ نُورو اَحِدٍ** [٤] .

و يروى كذلك عن أَنس قال:**رَأَيتُ رَسُولَ اللَهِ جَالِساً مَعَ عَلِیٍّ فَقَالَ : أَنَا وَ هذَا حُجَّةُ اللَهِ عَلَى خَلْقِهِ** . رواه صاحب الفردوس [٥].

و يروى كذلك عن عبداللَه بن مسعود قال: **قَالَ صلّى اللَه عليه**

١ـ (السيرة الحلبيّة) ، ج ٣ ، ص ٤٠٠ .

٢ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٣٤ .

٣ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٣٥ .

٤ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٥٦ .

٥ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٣٩ .

[وءاله] و سلّم : أَنَا وَ عَلِيٌّ مِن شَجَرَةٍو اَحِدَةٍ والنَّاسُ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى . رواه صاحب الفردوس [1].

و يقول أيضاً : يروى صاحب كتاب (مودّة القربى) عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه رفعه : **خُلِقْتُ أَنَا وَ عَلِيٌّ مِن شَجَرَةٍو اَحِدَةٍ و النَّاسُ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى** .

و فى رواية عنه : **خَلَقَ الأنبيَاءَ مِن أَشْجَارٍ شَتَّى وَ خَلَقَنى وَ عَلِيًا مِن شَجَرَةٍو اَحِدَةٍ ، فَأَنَا أَصْلُهَا ، وَ عَلِيٌّ فَرْعُهَا ، وَ الْحَسَنُو اَلْحُسَيْنُ ثِمَارُهَا ،وَ أَشْيَاعُنَاأَوْرَاقُهَا ، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِهَا نَجَى ، وَ مَن زَاغَ عَنْهَا هَوَى** [2].

ايثار و تضحية أميرالمؤمنين لرسول اللّه :

لقد لازم أميرالمؤمنين عليه السلام النبىّ فى جميع المراحل ، و كان يفديه بروحه و لا يتوانى دقيقة عن الإيثار ، و كان كفّار قريش يعذّبون المسلمين كثيراً حتّى أجبروهم على الهجرة الى الحبشة بإذن رسول اللّه .

و قد ذهب الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و ءاله مرّة الى الطائف لطلب النصرة و المساعدة و استنصرهم قائلاً : لا أُكره أحداً منكم ، انّما أريد

١ـ (ينابيع المودّة) ، ص٢٣٦ . و أورد هذه الرواية أيضاً فى بحار الأنوار ج ٣٨ ، ص ٣٠٩ الطبعة الحروفيّة ، عن (كشف الغمّة) ، عن (المناقب) للخوارزمى . و أوردها فى ص ٣٢٤ و ٣٢٥ عن (الأمالى) للشيخ الطوسى ، انّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و ءاله قال : يا علىّ خلق اللّه الناس من أشجار شتى ، و خلقنى و أنت من شجرة واحدة أنا أصلها و أنت فرعها ، فطوبى لعبدٍ تمسّك بأصلها و أكل من فرعها .

كما أورد فى ج ٣٥ عن (بحار الأنوار) ص ٣٥ نقلاً عن (عيون أخبار الرضا) انّه عليه السلام قال : قال النبىّ صلى اللّه عليه و ءاله لعلىّ [عليه السلام] : الناس من أشجار شتّى و أنا و أنت من شجرة واحدة

٢ـ (ينابيع المودّة) ، ص٢٥٦ .

ان تمنعونى ممّا يُراد بى من القتل حتى ابلغ رسالات ربّى [١].

فلم يقبله أحد ، و قعدوا له صفّين ، فلمّا مرّ رسول اللَه رجموه بالحجارة حتّى أدموا قدمه ، ثم أخرجوه من الطائف .

و لمّا توفّى أبوطالب اجترأت قريش على رسول اللَه ، فلم يعودوا يتورّعون عن إصابته بكلّ أنواع الأذى ، و كانوا يرجمون بيته دوماً بالخشب و الحجارة ، و يُهيلون عليه التراب فى الطريق .

و عاد رسول اللَه الى بيته يوماً و ءاثار التراب على رأسه و وجهه ، فكانت احدى بناته تغسل التراب عن رأسه و وجهه و تبكى فيقول لها :

لا تبكى يا بُنيّة ! لنّ اللَه مانعٌ أباك ![٢].

ثم لنّ الانصار قدموا الى رسول اللَه و ءامنوا به و بايعوه على انّه اذا ذهب اليهم فى المدينة لحفظوه ممّا يحفظون منه أنفسهم و أولادهم ، و لمنعوه من عدوّه .

و من جانب ءاخر فقد رأى كفّار قريش بأنّهم عجزوا عن الوقوف أمام دعوته بمختلف الحيل ، و لو بالوعد و الوعيد ، و لنّ عدد المسلمين كان يتزايد يوماً بعد ءاخر ، حتّى صمّموا فى النهاية أن يجتمعوا فى دار الندوة ليتّخذوا قرارهم النهائى فى شأنه ، فاجتمع منهم فى دار الندوة أربعون رجلاً مجرّباً ، ثم صمّموا على قتل النبّى بعد مناقشات طويلة ، فاختاروا من كلّ قبيلة رجلاً للإشتراك فى قتله ، على أن يضربوه ضربة رجل واحد فيضيع دمه بين القبائل ، و لا يستطيع بنو هاشم ان يحاربوا كلّ هذه القبائل فيقنعوا بالدية ، فلا يضيرهم أن يسلّموا الدية الى بنى هاشم .

١ـ (تاريخ اليعقوبى) ، ج ٢ ، ص٣٦ .

٢ـ (تاريخ الطبرى) ، ج ٢ ، ص٨٠ .

لقد اتّفقوا على موعد معيّن ، فاختاروا من كلّ قبيلة رجلاً شجاعاً ليتسلّلوا الى بيت الرسول ليلاً دون أن يعلم بهم أحد فيقطّعونه بسيوفهم إرباً ارباً .

و كانوا جادّين فى قرارهم غاية الجدّ ، و كتموا ذلك عن الجميع فلم يخبروا به أحداً ، و عندما حلّ الموعد المعيّن ، و كانوا يتأهّبون لاقتحام منزل النبّى ليلاً ، نزل عليه جبرئيل فأطلعه على الأمر :

وَ إذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوَ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَهُ وَ اللَهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ [1].

و أمره أن يترك عليّاً أميرالمؤمنين مكانه و يهاجر الى المدينة ، فأرسل الرسول الأكرم الى علىّ و قال له : يا علىّ ، ... انّه قد اوحى الىّ جبرئيل عن ربّى عزّوجل أن أهجر دار قومى ، و انّه أمرنى ان ءامرك بالمبيت على مضجعى لتخفى بمبيتك عليهم أثرى ، فما أنت قائل أو صانع ؟

فقال علىّ عليه السلام : أو تسلمنّ بمبيتى هناك يا نبىّ اللَه .

قال نعم .

فتبسّم علىّ عليه السلام ضاحكاً ، و أهوى الى الأرض ساجداً شكراً لما نبّأه رسول اللَه صلى اللَه على و ءاله من سلامته . فكان علىّ عليه السلام اوّل من سجد للَه شكراً ، و أوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأمّة . روى ابن الأثير باسناده عن ابن اسحق قال : و أقام رسول اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، يعنى بعد أن هاجر أصحابه الى المدينة ، ينتظر مجىء جبرئيل عليه السلام و أمره له أن يخرج من مكّة ، بإذن اللَه له فى الهجرة الى المدينة ، حتّى اذا اجتمعت قريش فمكرت بالنبىّ و أرادوا

١ـ الأية ٣٠ ، من السورة ٨ : الأنفال .

برسول اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ما أرادوا ، أتاه جبرئيل عليه السلام و أمره أن لا يبيت فى مكانه الذى يبيت فيه . فدعا رسول اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم علىّ بن أبى طالب فأمره أن يبيت على فراشه و يتسجّى ببُردٍ له أخضر ففعل ، ثم خرج رسول اللَه صلّى اللَه عليه[و ءاله] و سلّم على القوم و هم على بابه [١].

و روى كذلك باسناده عن أبى رافع قال : و خلّفه رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، يعنى خلف علىّاً يخرج اليه بأهله ، و أمره أن يؤدى عنه أمانته . و وصايا من كان يوصى اليه ، و ما كان يؤتمن عليه من مال ، فأدّى علىٌّ أمانته كلّها ، و أمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج و قال : إنّ قريشاً لم يفقدونى ما رأوك ! فاضطجع على فراشه ، و كانت قريش تنظر الى فراش النبىّ صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم فيرون عليه علىّاً فيظنّونه النبىّ صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، حتّى اذا أصبحوا رأوا عليه علىّاً فقالوا : لو خرج محمّد لخرج بعلىٍّ معه ، فحبسهم اللَه بذلك عن طلب النبّى حين رأوا علىّاً .

نزف الدم من أقدام علىّ عند الهجرة الي المدينة :

و أمر النبىّ صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم علىّاً أن يلحقه بالمدينة ، فخرج علىٌّ فى طلبه بعدما أخرج اليه أهله ، يمشى الليل و يكمن النهار حتّى قدم المدينة ، فلمّا بلغ النبىّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلم قال : **أدعُوا لِى عَلِيّاً قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَه لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِى** ، فأتاه النبىٌّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، فلما رءاه اعتنقه و بكى رحمةً لما بقدميه من الورم و كانتا تقطران دماً ، فتفل النبىّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم فى يديه و مسح بهما

١ـ (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص ١٨ و ١٩.

رجليه و دعا له بالعافية ، فلم يشتكهما حتّى اشهد [عليه السلام][1].

مباهاة اللّه ملائكته بإيثار أميرالمؤمنين رسولَ اللّه بنفسه :

يقول اليعقوبى [2]، و يروى القندوزى كذلك [3] قال : روى الثعلبى فى تفسيره ، و ابن عقبة فى (ملحمته) ، و أبوالسعادات فى (فضائل العترة الطاهرة) و الغزالى فى (إحياء العلوم) بسندهم المتّصل عن ابن عبّاس ، و عن أبى رافع ، و عن هند بن أبى هالة ربيب رسول اللّه و أمّه خديجة أمّ المؤمنين ، أنّهم قالوا : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و ءاله : **أوحَى اللّهُ إلَى جبرئيلَ وَ مِيكَائيلَ : إنِّى قَدءاخيتُ بَيْنَكُمَا وَ جَعَلْتُ عُمْرَ أحَدِكُمَا أطوَلَ مِن عُمرِ صَاحِبِهِ ، فَأيُّكُمَا يُؤثِرُ أخَاهَ عُمْرَهُ ؟**

فَكِلاَهُمَا كَرِهَ الْمَوتَ ، فَأوحَى اللّهُ إلَيهِمَا : إنِّىء اخَيتُ بَينَ عَلِىٍّ وَلِيِّى وَ بَينَ مُحَمَّدٍ نَبيّى ، فآثر عَلِىٌّ حَيَاتَهُ لِنَبيِّى ،

فِرَقَدَ عَلَى فِرَاشِ النَّبىِّ يَقِيهِ بِمُهْجَتِهِ . اهْبِطَا إلَى الأرضِ وَ احْفَظَاهُ مِن عَدُوِّه . فَهَبَطَا فَجَلَسَ جبرائِيلُ عِندَرَأسِهِ وَ مِيكَائِيلُ عِندَ رِجْلَيهِ ، وَ جَعَلَ جبرائيلُ يَقُولُ : بَخٍ بَخٍّ مَن مِثْلُکَ يَابنَ أبى طَالِبٍ،وَاللّهُعَزَّوَجَلَّ يُبَاهِى بِکَ الْمَلَئِکَةَ ، فَأنْزَلَ اللّهُ :

وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رؤوفٌ بِالْعِبَادِ [4].

١ـ (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص١٩ .

٢ـ (تاريخ اليعقوبى) ، ج ٢ ، ص٣٩ .

٣ـ (ينابيع المودّة) ص٩٢ ؛ كما ورد أيضاً فى (تذكرة الخواص) للسبط ابن الجوزى ص ٢١ ، و فى (أسد الغابة) ج ٤ ، ص ٢٥ ، و رواه ابن الصبّاغ فى (الفصول المهمّة) ص ٣٣ عن الغزالى .

٤ـ الأية ٢٠٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

و جاء فى الروايات أن الرسول صلى اللَه عليه و ءاله توجّه عند خروجه من مكّة الى غار (ثور) مباشرةً فمكث فيه ثلاثة أيّام ، فجاءت العنكبوت فنسجت بيتاً على فوهة الغار ، و جاءت حمامة فوضعت بيضها فى باب الغار ، ثم جاء الكفّار يقتفون ءاثار الرسول صلى اللَه عليه و ءاله حتّى و صلوا باب الغار ، لكنّ اللَه صرفهم عن الدخول الى الغار .

و فى ليلة المبيت اجتمع الرجال من العشائر المختلفة يريدون قتل الرسول صلّى اللَه عليه و ءاله ، و أرادوا الدخول الى بيته ليقطّعوه إرباً إرباً ، غير انّ أبا لهب لم يسمح لهم بالدخول و قال انّ فى هذه الدار نساء بنى هاشم و بناتهم فاقعدوا بنا على الباب نحرس محمّداً فى مرقده لئلاّ يفلت من أيدينا .

و أصبح الصباح فاقتحم الرجالُ البيت فوثب علىٌّ رافعاً البردة الخضراء عن وجهه ، فقالوا له : أين محمّد ؟ فقال : أجعلتمونى عليه رقيباً ؟

ثمّ انّهم لما أدركوا خروج النبّى صاروا فى صدد البحث عنه و ملاحقته ، فصان اللَه نبيّه بحوله و قوّته .

يقول السبط بن الجوزى : قال أحمد فى الفضائل : حدّثنا يحيى بن حماد ، حدّثنا أبو عوانه ، حدّثنا أبوبكر بن محمد ، عن عمرو بن ميمون قال : إنّى لجالسٌ الى ابن عبّاس إذ أتاه رَهطٌ يَقَعونَ فى علىّ بن أبىطالبٍ عليه السلام ، فردّ عليهم ابن عبّاس قال :

لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، لَبِسَ عَلِىٌّ عليه السَّلامُ ثَوبَهُ وَ نَامَ عَلى فِرَاشِهِ ،وَكَانَ الْمُشرِكُونَيُؤذُونَرَسُولَاللَهِصلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم . إلَى أن قال :

وَ بَاتَ الْكُفّارُ يَرْمُونَ عَلِيّاً عَلَيهِ السَّلام بِالْحِجَارَةِ وَ هُوَ يَتَضَوَّر قَد لَفَّرَ أسَهُ فِى الثَّوبِ إلَى الصَّبَاحِ .

الى أن يقول : قال ابنُ عبّاس : **أنشَدَنى أَمِيرُ الـمُومِنينَ شِعْراً قَالَهُ فـى تِلْکَ الليلة :**

وَ قَيْتُ بِنَفسِى خَـيرَ مَـن وَطَـأَ الْحَصَـا
وَ مَـنْ طَـافَ بِـالبَيتِ العَتِيـقِ وَ بِـالحِجْرِ
رَسُـولُ إلـهٍ خَـافَ أَن يَمْكُـرُوا بِـهِ
فَنَجَّـاهُ ذُو الطَّـولِ العَلِـىِّ مِـنَ المَكْـرِ
وَ بَـاتَ رَسُـولُ اللَـهِ فِـى الغَـارِ اٰمِنـاً
مُوَقَّـاً وَ فِـى حِفْـظِ الإلـهِ وَ فِـى سِـتْرِ
وَ بِـتُّ أُرَاعِيـهِمْ وَ مَـا يُثبِتُونَنِـى
وَ قَدْ وَطَّنْـتُ نَفْسِـى عَلَـى الْقَتْـلِ وَ الأَسْـرِ[1]

و أنشد حسّان فى ليلة المبيت على ما نقله ابن الجوزى :

مَـنْ ذَا بِخَاتِمِـهِ تَصَـدَّقَ رَاكِعًـا
وَ أَسَـرَّهَا فِـى نَفْسِـهِ إِسْـرَارَا
مَـنْ كَـانَ بَـاتَ عَلَـى فِـرَاشِ مُحَمَّـدٍ
وَ مُحَمَّـدٌ أَسْـرَى يَـؤُمُّ الْغَـارَا
مَـنْ كَـانَ فِـى القُـرءانِ سُـمِّىَ مُؤْمِنًـا
فِـى تِسْـعِ ءَايَـاتٍ تُلِيـنَ غِـزَارَا[1]

ثم يقول ابن الجوزى : و قـد أشـار فـى هـذا البيت الى قول ابن عبّاس :

مَا أَنْزَلَ اللَهُ ءَايَةً فِى القُـرءانِ إِلَّـا وَ عَلِـىٌّ عَلَيْـهِ السَّـلامُ أَمِيرُهَـا وَ رَأسُهَا[2].

١ـ (تذكرة الخواص) ، ص ٢١ .

٢ـ (تذكرة الخواص) ، ص ١٠ .

و يقول السيّد الحميرى :

وَ سَرَى بِمَكَّةَ حِينَ بَاتَ مَبِيتَهُ
وَ مَضَى بِرَوعَةِ خَائِفٍ مُتَرَقِّبِ
خَيرُ البَرِيَّةِ هَارِباً مِنْ شَرِّهَا
بِاللَيلِ مُكْتَتِماً وَ لَمْ يَسْتَصْحَبِ
بَاتُوا وَ بَاتَ عَلَى الْفِرَاشِ مُلَفِّقاً
فَيَرَونَ أَنَّ مُحَمَّداً لَمْ يَذْهَبِ [1]

١ـ (ديوان الحميرى) ، ص ٩٣ ؛ و قد ذكر فى التعليقة من ص ٩٣ الى ص ١٠٠ مطالب مفيدة .

الدرس السابع

منصب الإمامة أعلى من منصب النبوة

بسم اللَه الرّحـمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِئَايَتِنَا يُوقِنُونَ [1].

منصب الإمامة أعلى من النبوّة :

ينبغى أن نبحث فى هذه الأية المباركة عن المراد بالإمام ؟ و عن المراد بالهداية بأمراللَه ؟ و عن العلاقة بين تعليل الإمامة بالصبر و الإيقان بأيات اللَه و بين الإمامة نفسها ؟

و لتوضيح معنى الإمام نقول :

انّ اللَه تعالى يقول :

وَ إِذ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَات فَأَتَمَّهُنَ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ [2].

و الإمامة التى أعطاها اللَه لإبراهيم كانت فى زمن شيخوخته ، و بعد أن اجتاز جميع الاختبارات و من اهمّها ذبح ولده اسماعيل ، فقد كان اللَه

١ـ الأية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٢ـ الأية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

سبحانه وهبه على الكبر اسماعيل و اسحق :

اَلْحَمدُ لِلهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَقَ إِنَّ رَبِّى لسمِيعُ الدُّعَاءِ [١].

و لأنّ ابراهيم عليه السلام حين أُعطى الإمامة فانّه سألها لذريّته ، لذا فإنّ هذا الإعطاء و هذا السؤال حصلا حين امتلك ذريّةً فى كبره . فهذا السؤال و الطلب لم يكن له من محلّ ـ فى ظاهر الحال ـ قبل حصوله على الذريّة ، و مع يأس ابراهيم و انقطاع أمله فيها . إذ كيف يمكن للإنسان اليائس من الحصول على الذريّة أن يسأل اللَه الإمامة لذريّته من بعده ؟ لقد كان عليه ان لا يتعرّض الى هذا الطلب ، أو كان عليه على الأقل أن يقول : إن رَزَقْتَنِى ذُرِيَّةً ؛ إن تعلّقت إرادتك بعد هذا ـ مع يأسى ـ فأعطيتنى أولاداً فهل ستجعلهم أئمةً أم لا ؟

و الدليل على يأس ابراهيم عليه السلام من الحصول على ذريّة هو ءايات القرءان الكريم :

وَ نَبِّئْهُم عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إذ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تُوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَى أَن مَّسَّنِىَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ [٢].

و كانت سارة زوجة ابراهيم يائسة هى الأخرى من إنجاب الأولاد :

وَ امْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَهَا بِإِسْحَقَ وَ مِنْ وَرَآءِ إِسْحَقَ يَعقُوبَ * قَالَتْ يَاوَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ

١ـ الأية ٣٩ ، من السورة ١٤ : ابراهيم .

٢ـ الأية ٥١ ـ ٥٥ ، من السورة ١٥ : الحجر .

عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَهِ رَحْمَتُ اللَـهِ وَ بَرَكَتُـهُ عَلَيْكُـمْ أَهْـلَ الْبَيتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ [1].

و يتّضح لدينا جيّداً من هذه الأيات القرءانيّة انّ ابراهيم كـان يائسـاً مـن الحصول على الأولاد فى ءاخـر عمـره ، لـذا فـانّ سـؤاله الإمامـة لأولاده كـان حـين وهبـه اللَـه الإمامـة ، و ذلـك فى سـنى الشـيخوخته بعـد أن وهبـه اللَـه اسـماعيل و اسحق .

و نستنتج ـ بناءً على ذلك ـ انّ إمامة ابراهيم كانت بعد نبوّته ، و بعـد أن أصبح شيخاً كبيراً ، أى انّ الإمامـة تختلـف عـن النبـوّة ، بـل هـى مقـام أعلـى و أسـمى .

و على هذا الأساس فانّ المراد بئاية **إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّـاسِ إِمَامـاً** . انّـى سأجعلك قدوة يقتدى بهـا أفـراد البشـر فى القـول و العمـل ، فالإمـام إذن هـو الـذى يجـب ان يتبعـه النـاس فى أفعـالهم و أقوالهـم و سـلوكهم ، و فى النهايـة فى أفكارهم و عقائدهم و ملكاتهم .

و من هنا أخطأ بعـضُ المفسّـرين فتصـوّروا أن المـراد بالإمامـة فى هـذه الأية الشريفة هو نفسـه معـنى النبـوّة ، لإنّ النـاس يقتـدون بـالنبّى فى دينـهم ، ثمّ أوردوا هذه الأية دليلاً على ذلك : **وَ مَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَـاعَ بِـإِذْنِ اللَهِ** .[2]

و هو توهّم لا محلّ له أبـداً ، لأن لفـظ (إمامـاً) فى قولـه تعـالى (**إِنِّـى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**) وقعت مفعـولاً ثانيـاً لجـاعلك ، و لأن (جـاعل) اسـم للفاعل لا يعمل اذا كان الـمعنى دالّاً عـلى الـماضى و لا يأخـذ مفـعولاً ، لذا فانّ

١ـ الأية ٧١ ـ ٧٣ ، من السورة ١١ : هود .

٢ـ الأية ٦٤ ، من السورة ٤ : النّساء .

من المسلّم انّه سيكون بمعنى الحال و الاستقبال . أى : يا ابراهيم انّى سأجعلك إماماً . و لأنّ ابراهيم فى هذا الخطاب كان فى منصب النبوّة ، لذا فان من المسلّم أن الإمامة هى غير النبوّة . و إضافة الى ذلك فانّ الخطاب نفسه : (**إِنِّى جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**) كان وحياً من السماء ، و لا يمكن أن يحصل دون وجود منصب النبوّة ، لذا فانّ ابراهيم عليه السلام كان نبيّاً قبل منصب الإمامة ، و لنّ الإمامة لن تكون هنا بمعنى النبوّة .

لقد كانت هذه الإمامة بعد الإبتلاءات التى مرّ بها ابراهيم ، و من جملتها ذبحه لولده اسماعيل ، و كانت عند كبر ابراهيم و شيخوخته ، فقد مرّ عليه ـ قبل ان يُرزق أولاداً ـ الملائكةُ الذاهبون لإهلاك قوم لوط ، و كان ءانذاك نبيّاً مرسلاً ، و نتيجة لذلك فانّ إمامته كانت بعد درجة النبوّة .

و علّة خطأ هؤلاء المفسّرين كثرة استعمال لفظ الإمام فى غير الموارد الصحيحة بتسامحات عرفية ، بحيث حصل التصوّر بانّه يمكن إطلاق إسم الإمام على كلّ من يمتلك رئاسة أو تفوّقاً ؛ و لأنّ النبّى مطاع و متفوّق ، فقد عبّر عنه بالإمام .

لذا فقد فسّر البعض لفظ (إماماً) فى هذه الأية المباركة بالنبىّ ، و البعض بالرسول ، و البعض بالمطاع ، و فسّره البعض الأخر بالوصىّ و الخليفة و الرئيس و القائد ، و جميعها غير صحيح ، لأنّ معنى (النبىّ) من النبأ ، و النبأ بمعنى الخبر . فالنبىّ هو الذى يخبره اللَه سبحانه فى باطنه ، و هو غير معنى الإمام . كما ان (الرسول) هو المكلّف بوظيفة التبليغ ، و لا يستلزم ذلك أن يعتبره الناس قدوةً فيتبعونه فى الظاهر و الباطن ، أو يسمعون كلامه فيعملون به ، و لذلك فانّ معنى الرسول هو أيضاً غير الإمام .

امّا (المُطاع) فهو الإنسان الذى له من الاحترام و الحيثيّة بحيث يُطيعه الناس ، و هو من لوازم النبوّة و الرسالة و مختلف عن معنى الإمامة .

و امّا (الخليفة) و (الوصيّ) فمعناها النيابة لا الإمامة ؛ كما انّ (الرئيس) يُقال للشخص الذى يكون مصدراً للحكم ، و يستلزم ذلك أن يكون مطاعاً ، و ليس لإىٍّ منها معنى الإمام .

الإمام من مادّة أمّ يؤمّ ، و هو ـ كما ذكر ـ كونه قدوة ، و الامام هو مطلق مَن يجب على الناس متابعته و النظر اليه و مشايعته فى جميع ءاثاره فى جميع الشؤون ، من الحركة و السكون ، النوم و اليقظة ، الظاهر و الباطن ، القول و العمل ، و الأخلاق و الملكات و ...

لذا نرى انّ هذا المعنى للإمام فى هذه الأية المباركة فى غاية المناسبة و الحسن ، أن يخاطب اللَه تعالى ابراهيم فيقول : بعد أن جعلتُك فى مقام النبوّة و الرسالة ، اى فى مقام تلقّى الوحى السماوى و إبلاغه الى أفراد الإنسان ، فقد جعلتُك الأن قدوة يجب ان يتبعوا شؤونها فى جميع الجهات .

لكننا لو وضعنا أيّاً من تلك المعانى السابقة المذكورة فى مكان الإمام لما صحّ المعنى ، فليس صحيحاً ان نقول : انّى جاعلك ـ بعد امتلاك مقام النبوّة و الرسالة ـ نبيّاً أو رسولاً او خليفةً او وصيّاً أو رئيساً .

و ينبغى أن يُعلم أيضاً أنّ مخالفة معنى الإمام لمعانى هذه الالفاظ ليس مجرّد عناية لفظيّة و اعتبارات كلاميّة ، بل هو اختلاف فى حقائق معانيها ، ففى معنى الإمام حقيقة لا يمتلكها أىّ من تلك المعانى .

و لننصرف الأن و قد اتّضح المطلوب الى تفسير الأية المباركة :

وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِأَيَتِنَا يُوقِنُونَ .

حيث يُلاحظ هنا انّ اللَه تعالى جعل مع كلمة الأئمة صفة تلازمها ، ألا و هى الهداية بأمر اللَه ، كما انّ هذه النكتة مشهودة فى ءاية اخرى فى قصّة سيّدنا ابراهيم : **وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسحَقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَآ إِلَيهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَوَاةِ**

وَ إِيتَآءَ الزَّكَوَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ [١].

و يُلاحظ هنا انّه قد ذكر صفة ملازمة لكلمة الأئمّة ، أو بعبارة اخرى انّ جملة (يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) جملة تفسيريّة لمعنى الأئمّة . لذا يجب ان يكون للإمامة عنوان الهداية أولاً ، و ان هذه الهداية هى بأمر اللَه ثانياً ؛ اى انّ الامام هو الذى يهدى الناس بأمر اللَه . و المراد بأمر اللَه هو الذى ذكر حقيقته فى هذه الأية :

إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَنَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٢].

و فى الأية : **وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** [٣].

حيث يُستفاد من هذه الأيات أنّ أمر اللَه واحد لا تعدّد له ، اضافةً الى انّه ليس له زمان أو مكان ، و ثانياً انّ أمره هو إرادته ، فبمجرّد إرادته فانّ الموجود سيرتدى لباس الوجود ، و ذلك نفسه هو ملكوت كلّ موجود . وحين يريد اللَه إيجاد موجود بأمره ، أى ملكوت ذلك الموجود ، فانّه يوجده .

و من الجلّى انّ الأمر هو نفس الجانب الثبوتى مقابل الخلق الذى يمثّل جانب التغيّر و الزوال و الفساد . قال تعالى : **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** [٤].

و بناءً على هذا فانّ الموجودات لها وجهتان : وجهة خلقيّة ، و هى التى يُشاهد فيها التغيّر و الفساد و التدريج و الحركة ، و وجهة الأمر التى

١ـ الأية ٧٢ و ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢ـ الأية ٨٢ و ٨٣ ، من السورة ٣٦ : يس .

٣ـ الأية ٥٠ ، من السورة ٥٤ : القمر .

٤ـ الأية ٥٤ ، من السورة ٧ : الأعراف

سـيكون فيـها الثبـات و عـدم التغـيّر ، و تلـك الوجهـة الأمريّـة تسـمّى بـالملكوت ، و هـى حقيقـة و واقعيّـة الموجـودات ، و الـتى تقـوم بهـا الوجهـة الخلقيـة . و مـع التغـيرات و التبـدّلات المشـهودة فى هـذه الوجهـة فـانّ تلـك الوجهة لا تتغيّر و لا تتبدّل .

هداية الموجودات على يد الإمام :

و على هذا فانّ الأئمة الذين يهدون بأمر اللَـه لهـم تعـامل مـع ملكـوت الموجودات ، فهم يهدون كلّ موجود الى اللَـه و يوصلونـه مـن وجهتـه الأمريـة ـ و ليس فقط من وجهته الخلقية ـ الى كمال اللَه تعالى .

انّ قلب الموجودات بيد الإمام ، فـهو يهديـهم الى اللَـه تعـالى مـن جهـة السيطرة و الإحاطة بقلوبهم ؛ فالإمام ـ إذاً ـ هو الـذى يـهدى النـاس الى اللَـه ، يهديـهم بـالأمر الملكـوتى الموجـود و المـلازم لـه دائمـاً ، و هـذه فى الحقيقـة هى الولاية بحسـب البـاطن فى أرواح و قلـوب الموجـودات ، نظـير ولايـة كـلّ فرد من أفراد البشر عن طريق باطنـه و قلبـه بالنسـبة الى أعمالـه ، و هـذا هـو معنى الإمام .

أمّا فى الأية الشريفة فانّ اللَه تعالى يبيّـن علّـة منـح هـذا المنصـب بهـذه الكيفيّة :

لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِـآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [1].

أحدها الصبر فى طريـق اللَـه ، و المقصـود بالصـبر الإسـتقامة و الثبـات فى جميـع الامتحانـات و الابتـلاءآت الـتى تعـرض للعبـد فى طريـق العبوديّـة و الوصول الى المراد ، و الأخر أن يكونـوا قـد وصلـوا الى مرحلـة اليقـين قبـل ذلك .

١ـ الأية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

و نرى فى ءايات من القرءان المجيد انّها تَعُدُّ علامةَ اليقين كشفَ الحجب الملكوتيّة ، فصاحب اليقين هو الذى يدرك حقائق الموجودات و ملكوتها ، و المحجوب هو الذى يغطى قلبه ستار يمنعه من مشاهدة الأنوار الملكوتيّة ، مثل قوله تعالى :

وَ كَذَالِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [١].

و هذه الأية تشير الى انّ إرادة ملكوت السموات و الأرض كان مقدّمة لإفاضة اليقين على قلب ابراهيم ، و من هنا فانّ اليقين لن ينفصل عن مشاهدة الانوار الملكوتيّة .

و كقوله تعالى : **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرونُنَّ الْجَحِيمَ** [٢].

لو كنتم تعلمون كعلم أصحاب اليقين ، لرأيتم الجحيم و لشاهدتم حقيقة جهنّم أى ملكوت الأفعال القبيحة و معصية اللَه و النفس الأمّارة .

و كقوله تعالى : **كَلَّا إنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** [٣].

و يُستفاد من الأيات المتقدّمة انّ المقرّبين ـ أى أصحاب اليقين ـ هم الذين ارتبطوا بالملكوت و بحقائق العالم ، و اجتازت قلوبهم جانب المشاهدة الخلقيّة ، فلم يعودوا محجوبين عن اللَه ، لا يحجبهم عنه الحجاب القلبىّ من المعصية و الجهل و الشكّ و النفاق ، و اولئكم هم أصحاب اليقين الذين يرون العليّين و الحقائق الملكوتيّة للأبرار و الأخيار ، كما أنهم

١ـ الأية ٧٥ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢ـ الأية ٥ و ٦ ، من السورة ١٠٢ : التكاثر .

٣ـ الأية ١٨ ـ ٢١ ، من السورة ٨٣ : المطفّفين .

يشاهدون الحقيقة الملكوتيّة للأشرار و أهل المعاصى التى هى (الجحيم) .

و بناءً على هذا فـانّ الإمـام و هـو الهـادى الى أمـر ملكـوتى ، يجـب أن يكون قد وصل حتماً الى مقـام اليقـين و انكشـف لـه عـالم الملكـوت ، و صـار متحقّقـاً بكلمـات اللَـه ؛ و كمـا ذكـر فـانّ الملكـوت هـو الوجهـة الباطنيّـة للموجودات ، لذا فانّ هذه الأية الشـريفة **وَ جَعَلْنَـهُمْ أَئِمَّـةً يَـهْدُونَ بِأَمْرِنَـا** [1] تشير بوضوح الى انّ كلّ ما يتعلّق بأمر الهدايـة ، أى القلـوب و الأعمـال ، فـانّ باطنها و حقيقتها بيد الإمام ، و وجهتـها الملكوتيّـة و الأمريّـة حـاضرة بـمشهد من الإمام لا تخفى عنه لحظةً واحدة .

تحقّق أميرالمؤمنين بـمقام الإمامة و الولاية :

انّ الألقاب التى منحها رسول اللَه صلى اللَـه عليـه و ءالـه لأمـيرالمؤمنين عليه السلام تدلّ جميعها على حصول أميرالمؤمنين على هذه الدرجة .

فقـد روى القـندوزى انّ رسول اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم قال :

يَا عَلِىُّ أنتَ تُبْرِءُ ذِمَّتِى وَ أَنْتَ خَلِيفَتِى عَلَى أُمَّتِى [2].

و يجـب ان نعلـم انّ ابـراء الذمّـة ليـس المفـهوم منـه ان يقـوم أمـيرالمؤمنين بقضـاء دَيْـن رسـول اللَـه بأدائـه بعـض الدراهـم مثـلاً ، بـل ان المقصود به هو الوفاء بالعهد الـذى قطعتُـه للَـه فى أداء الرسـالة و إيصـال الحـقّ الى الناس و هدايتهم الى اللَه ،

فيا علىّ ! أنت الذى تؤدّى هذا الدين ، أنـت الـذى عقـدت العـزم علـى إنجاز هذا الأمر ، فـأنت تتعـامل بواسـطة نفسـك القدسـيّة مـع قلـوب و أرواح الناس من الباطن و مع أفعالهم و أقوالهم فى الظاهر .

١ـ الأية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢ـ (ينابيع الـمودّة) ، ص ٢٤٨ .

و نظير هذا المعنى الروايات الدالّة على : **يَا عَلِيُّ أَنْتَ تَقْضِي دَيْنِي** ؛ و هذه المجموعة من الروايات كثيرة أيضاً .

يروى ابن الجوزى باسناده عن أحمد بن حنبل ، بسنده المتّصل عن أنس يقول :

قلنا لسلمان الفارسى : سَلْ رسول اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم مَنْ وصيُّهُ ؟

فسألَ سَلمانُ رَسُولَ اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلم ، فقال : مَنْ كانَ وَصىّ مُوسى بن عِمْرانَ ؟ فقال : يُوشَعُ بنُ نُونٍ ، قال : إنَّ وَصِيِّى وَ وَارِثِى وَ مُنْجِز وَعْدِى عَلِيُّ بنُ أَبى طَالِبٍ عليه السلام .

ثم يقول : و الحديث الذى ذكرناه رواه أحمد فى الفضائل و ليس فى اسناده ابن زياد و لا هذه الزيادة ، فذاك حديث و هذا حديث [١].

حديث أنس فى ولاية أميرالمؤمنين :

يروى أبو نعيم الحافظ الاصفهانى و شيخ الاسلام الحموينى عن أنس قال :

قال رسولُ اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : يَا أَنَسُ ! اسْكُبْ لِى وُضُوءاً ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَين .

ثُمَّ قَالَ : يَا أَنَسُ أَوَّلُ مَن يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِن هَذَا الْبَابِ أَمِيرُالمؤمِنِينَ ، وَ سَيِّدُ الْمُسلِمِينَ ، وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ، وَ خَاتَمُ الوَصِيِّنَ .

قَالَ أَنَسُ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ أَجْعَلهُ رَجُلاً مِنَ الأنصَارِ ، وَ كَتَمتُهُ ، إذ جَاءَ عَلِيٌّ ، فَقَالَ : مَن هَذَا يَا أَنَسُ ؟

فَقُلْتُ : عَلِيٌّ ، فَقَامَ مُسْتَبشِراً فَاعتَنَقَهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَرَقَ وَجْهِهِ

١ـ (تذكرة الخواص) ، ص ٢٦ .

بِوَجْهِهِ ، وَ يَمْسَحُ عَرَقَ عَلِيٍّ بِوَجْهِهِ .

قَالَ : عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَهِ لَقَدْ رَأَيتُکَ صَنَعتَ شَيْئاً مَا صَنَعْتَ بِى مِن قَبلُ .

قَالَ : وَ مَا يَمْنَعُنى وَ أَنْتَ تُؤَدِّى عَنِّى ، وَ تُسْمِعُهُمْ صَوتِى ، وَ تُبَيِّـنُ لَهُمْ مَا اختَلَفُوا فِيهِ بَعْدِى [1].

و يروى أبو نعيم الحافظ بسنده عن أبى برزة الأسلمى قال :

قالَ رسولُ االلَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : إنَّ اللَهَ تَعَالي عَـهِدَ إلَىَّ عَهْدَاً فِى عَلِيٍّ ، فَقُلْتُ : يَارَبِّ بَيِّنْهُ لِى

فَقَالَ : اسْمَعْ ! فَقُلْتُ : سَمِعْتُ ! فقَالَ :إِنَّ عَلِيّاًرَايَةُ الـهُدَى ، وَ إِمَامُ أَولِيَائِى ، وَ نُورُ مَنْ أَطَاعَنى ، وَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِى أَلْزَمْتُهَا الْمُتَقِينَ [2]**، مَنْ أَحَبَّهُ أَحَبَّنى ، وَ مَنْ أَبْغَضَهُ أَبغَضَنى ، فَبَشِّرْهُ بذالِکَ ، فَجَاءَ عَلِيٌّ فَبَشَّرْتُهُ ،**

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! أَنَا عَبْدُاللَـهِ ، وَ فِـى قَبْضَتِـهِ ، فَـإِنَ يُعَذِّبْنـى فَبِذَنبى ، وَ إِنْ يُتِمُّ لى الَّذِى بَشَّرْتَنى بِهِ ، فاللَهُ أَوْلَى بى .

قال صلّىاللَهُعليه [و ءاله] و سلّم : اللَّهُمَّ أجْلِ قَلبَهُ ،و اَجْعَلْ [3] **رَبِيعَهُ**

١ـ (حلية الأولياء) ، ج ١ ، ص ٦٣ ؛ و (فرائد السـمطين) ج ١ ، ص ١٤٥ و (مطـالب السؤل) ، ص ٢١ عن الحافظ أبى نعيم فى حليته ؛ و أورده كذلـك فى (غايـة المـرام) ، ص ١٦ ، الاّ انّه ينقله فى ص ١٨ عن ابن شاذان عن طريق العامّة باسناده عن أنس باختلاف فى التعبـير ، و يقول فى ذيله : أنت منّى تؤدّى عنّى و تؤدّى دينى و تبلّغ رسالاتى . فقال على عليه السـلام : يا رسول اللَه ! أما أنت تبلغ الرسالة ؟ قال : بلى ولكن تعلّم الناس من بعدى من تأويل القرءان ما لا يعلمـون و تخـبرهم بذلـك . و سـنبحث هـذا الحديـث بـالتفصيل فى المجلّـد الثـانى مـن (معرفة الإمام) .

٢ـ إشارة للآية الكريـمة٢٦فى سورة الفتح : (وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا) .

٣ـ و ورد فى (مطالب السؤل) بلفظ (و جعله ربيع الإيـمان) .

الإيمانَ .

فقالَ اللَهُ [تَبارَکَ و تَعالي] : قَدْ فَعَلْتُ بِهِ ذَلِکَ ، ثُمَّ إنَّهُ رُفِعَ إلَيَّ أنَّـهُ سَيَخُصُّهُ بالبَلاَء بشَيْء لَمْ يَخُصَّ بِهِ أحَداً مِنْ أصْحَابی .

فَقُلْتُ : يَارَبِّ ! أخِی وَ صَاحِبی .

فَقالَ تَعَالي : إنَّ هذا شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ ، إنَّهُ مُبْتَلی وَ مُبْتَلَی بِهِ [١].

مَكْرُ قريش بأميرالمؤمنين :

يروی القندوزی الحنفی عن كتاب (المناقب) للموفّق بن أحمد الخوارزمی ، و الحمويني باسناده عن أبی عثمان النهدی عن أميرالمؤمنين علیّ بن أبی طالب عليه السلام ،

قال : كُنْتُ أمْشِی مَعَ رَسُولِ اللَه صَلّی اللَه عليه [و ءاله] و سلّم ، فَأتَيْنَا عَلَی حَدِيقَةٍ فَاعتَنَقَنی وَ أجْهَشَ بَاكِياً ،فَقُلْتُ : مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللَهِ ؟

فَقَالَ : أبْكِی لِضَغَائِنَ فِی صُدُورِ قَومٍ لَا يُبدُونَهَا لَكَ إلَّا بَعْدِی .

فَقُلْتُ : فِی سَلَامَةٍ مِنْ دِينی ؟ (أی غير مُبتلٍ بهوی النفس ، فأرجّح فی انتقامی منهم هوی نفسی و الرئاسة علی رضا اللَه ، و هل سأكون علی هذا النهج و الصراط المستقيم؟)

فَقَالَ : فِی سَلاَمَةٍ مِنْ دِينكَ [٢].

و روی فی ديوانه أشعاراً له عليه السلام ، قال : و فی ديوانه كرّم اللَه وجهه :

١ـ (حلية الأولياء) ، ج ١ ، ص ٦٦ و ٦٧ ؛ و نقلها فی (مطالب السؤل) ص ٢١ عن حلية الأولياء .

٢ـ (ينابيع المودة) ، ص ١٣٤ .

تِلْكُـمْ قُرَيْـشٌ تَمَنَّـانى لَتَقْتُلَنـــى فَلَا وَ رَبِّکَ مَـــا بَـزُّوا وَ لَـا ظَفَـرُوا
إِمَّـا بَقيـتُ فَإِنِّىلَسْـتُ مُتَّخِـــذاً أَهْلاً وَ لَا شِيعَةً فِى الدِّين إِذْ فَجَـرُوا
قَدْ بَايَعُونِى فَلَـمْ يُوفُـوا بِبَيْعَتِـهِمْ وَ مَا كَرُونِىَ فِى الأَعْدَاءِ إِذْ مَكَرُوا [1].

١ـ (ينابيع الـمودّة) ، ص ١٣٥ .

الدرس الثامن

الولاية التكوينية للإمام بإذن الله

على نفوس السعداء والأشقياء

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَ مَنْ كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِى الْأَخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا [1].

انّ كلّ موجود من الموجودات الخارجيّة ، و حتّى أفعال الإنسان ، له وجهتان ، وجهة ظاهريّة مشهودة و محسوسة تُدعى بالوجهة الخلقيّة و المُلكيّة ، و وجهة باطنيّة غير مشهودة و لا محسوسة تُدعى بالوجهة الأمريّة و الملكوتيّة .

و الوجهة الملكوتيّة و الأمريّة هى التى تظهر بواسطتها الوجهة الخلقيّة و المُلكيّة ، مثل إرادة الانسان التى يقوم بواسطتها بفعل الأفعال فى الخارج .

و الإمام هو الذى يستطيع هداية البشر الى اللَه من الوجهة الملكوتيّة ، و تلك هى الهداية بالأمر و ليست زمانيّة و لا مكانيّة . و الأية الشريفة :

١ـ الأية ٧١ و ٧٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

وَجَعَلْنَهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا [١] تعرّف أولئك الأفراد .

و تشير هذه الآية إلى أنّ كل ما يرتبط بأمر الهداية ، أى القلب و العمل ، فانّ باطنه و حقيقته بيد الإمام ، و ذلك الباطن و الحقيقة ـ و هى الوجهة الأمريّة لتلك الأمور ـ حاضر دوماً عند الإمام لا يغيب عنه . و هذا المقام يستلزم الاطّلاع على أسرار الملكوت الذى سيكون اليقين من لوازمه . و بناءً على هذا فإنّ مقام الإمامة أشرف من النبوّة .

مقام الإمامة أشرف من النبوّة :

ورد فى (الكافى) عن الإمام الصادق عليه السلام : **إنَّ اللّهَ تَبَارَكَ وَ تَعالَى اتَّخَذَ إبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبيًّا ، وَ إنَّ اللّهَ اتَّخَذَهُ نَبيًّا قَبْلَ أنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولاً ، وَإ نَّ اللّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولاً قَبلَ أَن يَتَّخِذَهُ خَلِيلاً ، وَ إنَّ اللّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلاً قَبلَ أَن يَجْعَلَهُ إمَامًا ، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الأشْيَاءَ قَالَ : إنّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَامًا .**

قَالَ : فَمِنْ عِظَمِهَا فِى عَينِ إبراهِيمَ قَالَ : وَ مِن ذُرِّيَّتى ؟ قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ .

قَالَ : لاَ يَكُونُ السَّفِيهُ إمَامَ التَّقِىِّ [٢].

و ذلك لأن معنى النبوّة إتّصال القلب بعالم الملكوت ، و تلقّى الوحى من جبرئيل ، و هذا المعنى أقوى فى الرسول ، كما أنّه سيكون هناك أيضاً مشاهدة الملائكة و ملائكة الوحى ، لكنه يمكن فى نفس الوقت أن لا يكون لكلّ منهم سيطرة على ملكوت بنى ءادم أو إحاطة بالقلوب ليسيروا بهم الى الكمال و الى مقامهم الواقعى ،

١ـ الأية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢ـ (اُصول الكافى) ، المجلّد الاول ، ص١٧٥ .

فمقام الأنبياء و المؤمنين و العلمـاء هـو مقـام الإرشـاد و التبليـغ و إراءة الطريق فقط .

قال اللَه تعالى : **وَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَـانِ قَوْمِـهِ لِيُبَيِّـنَ لَـهُمْ فَيُضِلُّ اللَهُ مَن يَشَآءُ وَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ** [1].

و تبيّن هذه الأية دائرة مأموريتهم ، و هـى مجـرّد البيـان و الدلالـة علـى الطريق ، و أمّا الإضلال و الهداية فهى بيد اللَه تعالى و ليـس بيـد الأنبيـاء منـها شىء ، خلافاً للإمام الذى يهدى بنفسه بإذن اللَه . يقول فى هذا الشـأن : **وَ قَـالَ الَّذِىءَامَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُون أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَاد** [2].

و قال أيضاً : **فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّيـنِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** [3].

نعم هذا كلّه دلالة على الطريق و ليس منصباً للإمامة .

معني الإمام :

و بناءً على هذا فإن أقوال و أحاديث الفقـهاء هـى فقـط مـن بـاب نقـل الرواية و بيان الحكـم ، لا مـن جهـة حجّيـة الـرأى و الفعـل و القـول ؛ و مـن الخطأ أن يُطلق عليهم إسم الإمام . فالإمـام هـو الـذى صـار لـه ـ بوصولـه الى مقـام اليقـين و كشـف الملكـوت ـ الهيمنـة علـى عـالم الأمـر ، و صـار بـاطن الأفعال مكشـوفاً لـه ، و صـار بإمكانـه ـ بسـيطرته علـى البـاطن ـ أن يـهدى القلوب الى المقاصد و الغايات .

و الأمر هـو الإذن الذى تصـدر الـمعجزة بواسطته مـن الأنبـياء الـعظام ،

١ـ الأية ٤ ، من السورة ١٤ : ابراهيم .

٢ـ الأية ٣٨ ، من السورة ٤٠ ، الـمؤمن .

٣ـ الأية ١٢٢ ، من السورة ٩ : التوبة

فأحيوا به الموتى و قاموا بالأعمال الخارقة للعادة .

لقد قال عيسى بن مريم ، على نبيّنا و ءاله و عليه السلام ، لبنى اسرائيل :

أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِئَايَةٍ مِّن رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرا بِإِذْنِ اللَهِ وَ أُبْرِىءُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْىِ الْمَوتَى بِإِذْنِ اللَهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [١] .

ففى هذه الأيات تعدّ خوارق العادات المنسوبة الى عيسى بن مريم منوطةً بإذن اللّه تعالى ، و لإنّ إذن اللّه ليس إجازة و أمراً اعتباريّاً و ترخيصاً خارجاً عن الملكوت ، لذا فقد اعطى عيسى بن مريم قوّة التصرّف فى أمر الملكوت ، بحيث يتصرّف فى ملكوت الأشياء بإرادته الملكوتيّة ، و بحيث يستطيع تغيير ماهيّة الأشياء ، فصار يُحيى الموتى و يُبرء الأبرص و الأعمى دون أسباب و دون إعداد المقدّمات فى الخارج .

يجب أن يكون لدى الإمام قوّة ملكوتيّة فى الأمور :

و ينبغى ان يوجد لدى الأئمة عليهم السلام هذه القوّة حتماً ، ليكونوا قدوةً للبشر من جانب الظاهر و الباطن ، و ليقودوا الأمّة الى كمال التكوين و التشريع .

و الأئمّة الأطهار لا يهدون فقط الأفراد الصالحين فيوصلونهم الى كمالهم ، بل انهم يهدون الأشقياء و أصحاب الأعمال السيّئة أيضاً و يوصلونهم الى كمالهم .

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ

١ـ الأية ٥٠ ، من السورة ٣ : ءال عمران .

يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَ مَنْ كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِى الْأَخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا [1].

و هذه الأية تبيّن أولاً انّ الناس جميعاً فى كلّ زمان و مكان يمتلكون إماماً ، و ذلك لأنّ الأية تقول على نحو الإطلاق و العموم بأننا سندعوا جميع افراد البشر يوم القيامة بإمامهم ، لذا فانّ هناك إماماً فى كلّ زمان و مكان هو مربّى أمّته ، و بواسطته يدخل السعداءُ الجنّة ، و الأشقياءُ النار ، فهناك فئة من الأمّة هم أصحاب اليمين ، أى أهل السعادة ، و فئة أخرى عميٌ و هم أصحاب الشقاء ، و المراد بهذه الفئة أصحاب الشمال ، حيث صرّحت بذلك بعض ءايات القرءان :

فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [2].

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا [3].

و هاتان الفئتان هما أصحاب اليمين و أصحاب الشمال الموجودون فى كلّ مجتمع من المجتمعات ، والذين سيصلون الى هذه المراحل بواسطة إمامهم ،لذا فانّ المراد بهاتين الفئتين جميع افراد الأمّة باستثناء الإمام . امّا اذا أردنا أن نقسم البشر بحيث يكون الامام ضمنهم ،فانّ علينا بتقريب ءاخر أن نقسم الناس الى ثلاثة أقسام :

الجماعة الاولى : المقرّبون .

و الثانية : أهل السعادة و أصحاب اليمين .

و الثالثة : أهل الشقاء و أصحاب الشمال .

١ـ الأية ٧١ و ٧٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢ـ الأية ٧ و ٨ ، من السورة ٨٤ : الإنشقاق .

٣ـ الأية ١٠ و ١١ ، من السورة ٨٤ : الإنشقاق .

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَآ أَصْحَابُ الْمَشئَمَةِ * وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِکَ الْمُقَرَّبُونَ * فِی جَنَّاتِ النَّعِيمِ [١].

هؤلاء الذين سبقوا فی السير الی اللّه ، اولئك المقرّبون من ساحة اللّه تعالی ، و الذين تخطّوا الحساب و الكتاب و العرض و السؤال و الميزان و الصراط و جهنّم ، فصاروا من المقرّبين الی اللّه ، و اختاروا السكنی فی حرم الأمن و الأمان الالهیّ .

فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيکٍ مُقْتَدِرٍ [٢].

و هؤلاء هم الذين اجتازوا هذه العقبات فی الدنيا ؛ و فی الوقت الذی كان البشر فيه منهمكين فی شهواتهم النفسانية ، كان المقرّبون مشغولين فی تصفية حساباتهم ، و كانوا يناجون ربّهم سرّاً و علانيّة ، و سيكون الأئمة عليهم السلام بالتأكيد ضمن هذه الفئة .

أمّا أصحاب اليمين فهم الصالحون الذين كانت أعمالهم موافقة للعقل و لأمر الإمام ، فلا يبتعدون عن الحقّ و الصدق و الأمان و العبادة و الكسب و الأعمال الحسنة ، لذا فانّ هؤلاء هم أهل الجنّة الذين سيُعطون كتاب أعمالهم بيمينهم كناية عن السعادة و الفوز و النجاة ، و لكن باعتبار انّهم لايزالون محجوبين بالحجب القلبيّة ، فلم يتمكّنوا أن ينسوا غير الخالق بشكل كامل ، و أن يطأوا بأقدامهم على عالم الباطل و زينة الدنيا الخادعة ، فانّهم يجب أن يُحاسبوا ، كما انّ مقامهم و منزلهم ليس مقام و محلّ المقرّبين .

١ـ الأية ٨ ـ ١٢ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٢ـ الأية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

امّا أصحاب الشمال فهم الذين لم يعملـوا وفـق أوامـر العقـل و الأنبيـاء ، فواجهوهم و لم يتورّعوا عن ظلم أنفسهم ، و هـؤلاء هـم أهـل الفسـق والفجـور و الخيانة و الكذب و الجناية ، و بالطبع فانّـهم سـيُعطون كتـابهم بشـمالهم كنايـةً عن العذاب و الظّلمة و الشقاء و جهنّم .

و لأنّ ظـهور و بـروز هـذه الخـيرات و البركـات فى المؤمنـين ، و هـــذا الفجور و الخيانات فى الفاسقين قد كان بســبب ظـهور ولايـة الإمـام ، لـذا فـانّ جميع افراد الأمّة يذهبون بواسطة إمامهم الى الجنّة أو الى جهنّم .

لذا فقد ورد فى روايات كثيرة : **عَلِـيٌّ قَسِـيمُ الْجَنَّـةِ و النَّـارِ** [1] . و هـذه الروايات لم ترد عن طريق أهل البيت عليـهم السـلام فقـط ، بـل انّـه قـد روى عن طريق العامّة أيضاً روايات من هذا القبيل .

و سنأتى بثلاث معانٍ لهذه الروايات هى الاخـرى مترتّبـة (إحداهـا علـى الأخرى) ، أىاننا سنفسّرها فى ثلاث مراحل متفاوتة مـــن وجهـة نظـر ظـهورها وخفائها .

معني الروايات الواردة فى أنّ عليّاً قسيم الجنّة و النّار :

الأول مـن وجهـة نظـر العمـل ، و هـو انّ أمـيرالمؤمنين كـان لـه مقـــام الولاية و الإمامة من قبل اللَه ، و فعله و قوله حجّة ، أى ان جميـــع أفـراد البشـر يجب أن يقتدوا به فى جميع شؤون حياتهم .

و بناءً على ذلك ، فانّ كلّ مـــن يتبعـه سـيكون حقّـاً مـن أهـل الصـدق و الصفاء و العبادة و التسـليم و الجـهاد و الجـود و الإيثـار ، و مـن الواضـح أنّ شـخصاً كـهذا هـو مـن أهـل الجنّـة ، و ذلـك لأنّ الجنّـة هـى ظـهور الأفعـال و الـملكات الـحميدة فى العـوالـم الأخـرى ، و كـلّ مـن يرفـض دعـوته عـليه

١ـ (ينابيع الـمودّة) ، ص ٨٣ ـ ٨٦ .

السلام و لا يقتدى بسيرته ، و ينصرف الى الكذب و الخيانة و التطفيف فى الميزان و أكل الربا و التكاثر فى الأموال و عبادة الشهوة و السعى وراء المنفعة و اتباع الهوى و الإعراض عن ذكر اللّه ، فانّ من المسلّم انّه سيكون من أهل النار ، لأنّ جهنّم هى ظهور الملكات و الأفعال القبيحة فى تلك العوالم .

و ما أوجب تفرّق هاتين الفئتين و انفصالهما عن بعضهما هو أمر و نهى مقام الولاية ، الذى قبلته فئة و رفضته أخرى . لذا فانّه سيكون قسيم الجنّة و النار ، شأنه شأن معلّم يربّى تلاميذه و يعلّمهم الدروس ، فهناك فئة من التلاميذ يجدّون و يسعون فيتعلّمون تلك الدروس ، و فئة أخرى تتكاسل و تأبى التعلّم ، فيقوم المعلّم بإنجاح الفئة الاولى و بإفشال و إبقاء الفئة الأخرى فى مكانها السابق ، و كما لنّ من الصحيح أن نقول لنّ المعلّم رفع فئة الى مقامٍ أعلى و حبس أخرى فى مكانها السابق ، فانّ من الصحيح كذلك أن نقول : **عِلِىٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ** .

الثانى : من وجهة نظر الحبّ و البُغض ، لأنّ نتيجة روح العمل هى المحبّة ، لذا فانّ الذين يفتقرون هذه المحبّة ، بل اولئك الذين يربّون ـ و العياذ باللّه ـ بُغضه (عليه السلام) فى قلوبهم ، هم فى غاية البعد عن الحقيقة و الواقع ، فالذى يحبّ شيئاً سيكون مسلّماً أن يحبّ اثاره أيضاً ، و الذين يحبّون أميرالمؤمنين سيحبّون أفعاله و أقواله و سيرته ، و ستكون لهم محبّة لهذه الأثار . و على العكس فانّ أعداءه و مُبغضيه سيُبغضون سيرته و سنّته ، لذا فانّ أعمالهم ستكون طبعاً أعمالاً خشنة و سيئة .

و لأنّ الأفعال الحسنة تُوجد المحبة و الصفاء و النور فى الإنسان ، كما ان الافعال القبيحة توجد ظلمة القلب و قساوته ، فانّ محبّى أميرالمؤمنين ـ بناءً على ذلك ـ هم طبعاً أصحاب الحقيقة و الصفاء و المحبّة ، قلوبهم

أطيب و اكثر نـوراً ، و أنفسـهم أخـفّ ، بينمـا أعـداء أمـيرالمؤمنين هـم بـالطبع بعيـدون عـن الحقيقـة و الصفـاء ، قلوبهـم مظلمـة و أنفسـهم مُتعبـة و ثقيلـة وأرواحهم مُدنّسة .

و لأنّ نتيجـة الأعمـال الحسـنة هـى ذلـك الصفـاء و النورانيّـة و المحبّـة للَه ، كما ان نتيجة الأعمـال القبيحـة هـى الظلمـة و القسـاوة و الإعـراض عـن اللَه ، لذا فانّ أميرالمؤمنين بسبب تقسـيم النـاس الى فئتـين محـبّ و مُبغـض قـد قسمهم الى فئتين : أهل الجنّة و أهل النار .

يروى القندوزى الحنفـى عـن أبى الصلـت الهـروى قـال : قـال المـأمون لعلىّ [بن موسى] الرضا عليه السـلام : أخـبرنى عـن جـدّك أمـيرالمؤمنين علـىّ عليه السلام بأىّ وجه هو قسيم الجنّة و النار ؟

فقال له الرضا : ألم ترو عن ءابائك عن عبداللَه بن عبّاس انّه قال :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم يَقُولُ : حُبُّ عَلِىٍّ إِيمَانٌ وَ بُغْضُهُ كُفْرٌ .

فقال : بلى .

فقال الرضا عليه السـلام : فقسـمة الجنّـة و النـار إذا كـانت علـى حبّـه و بُغضه فهو قسيم الجنّة و النار .

فقال المأمون : **لاَ أَبْقَانِىَ اللَهُ بَعْدَك إِنَّكَ وَارِثُ جَـدِّكَ رَسُـولِ اللَـهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم .**

قال أبوالصلت الهـروى : فلمّـا انصـرف الرضـا عليـه السـلام الى منزلـه أتيتُهُ ، فقلتُ له :

يابنَ رسول اللَـه صلـى اللَـه عليـه وءالـه ، مـا أحسـنَ مـا أجبـتَ بـه أميرالمؤمنين !

فقـال الرضـا عليه السـلام : يا أباالصـلت ! إنّما كلّمتُهُ مِن حيثُ هو ،

وَ لَقَدْ سَمِعْتُ أَبِى يُحَدِّثُ عَن ءَابَائِهِ عَنْ عَلِىٍّ عليهم السَّلامُ انّه قالَ : قالَ رسولُ اللَهِ صلّى اللَه عليه و ءاله : يَا عَلِىُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقُولُ لِلنَّارِ : هَذَا لِى وَ هَذَا لَكِ [١].

كما يروى الخوارزمى الموفّق بن أحمد المكّى باسناده عن نافع ، عن ابن عمر قال :

قال رسولُ اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم لِعَلىٍّ : إذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤتَى بِكَ يَا عَلِىُّ بسَرِير مِنْ نُور ، وَ عَلَى رَأسِكَ تَاجٌ ، قَدْ أَضَاءَ نُورُهُ وَ كَادَ يَخْطفُ أَبْصَارَ أَهْلِ الْمَوقِفِ ، فَيَأتِى النِّدَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَهِ جَلَّ جَلاَلُهُ : أَيْنَ وَصِىُّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَهِ ؟

فَتَقُولُ : هَا أَنَاذَا !

فَيُنَادى الْمُنَادى: أَدْخِلْ مَنْ أَحَبَّكَ الْجَنَّةَ وَ أَدْخِلْ مَنعَادَاكَ فِى النَّارِ فَأَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ [٢].

كما يروى ابن المغازلى الشافعى بسنده عن ابن مسعود قال :

قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : يَا عَلِىُّ إنَكَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ و النَّارِ ، أَنْتَ تَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَ تُدْخِلُهَا أَحِبَّاءَكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ [٣].

معنى الوسيلة :

و يروى الحموينى فى (فرائد السمطين) عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم يقول : اذا سألتم اللَه عزّوجل فاسألوه لى الوسيلة [٤]، فسُئل عنها فقال : هى درجة فى الجنّة ، و هى

١ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٨٥ و٨٦ .

٢ـ (ينابيع المودّة) ، ص٨٣ .

٣ـ (ينابيع المودّة) ، ص٨٤ .

٤ـ و لذا يُستحبّ أن نقول عند الشروع بالصلاة قبل تكبيرات الافتتاحية: اللهمَّ ربّ ⇦

ألف مرقاة ، ما بين المرقاة الى المرقاة بسير الفرس الجواد شهراً ، مرقاة زبرجد الى مرقاة لؤلؤ الى مرقاة ياقوت الى مرقاة زمرد الى مرقاة مرجان الى مرقاة كافور الى مرقاة عنبر الى مرقاة يلجوج الى مرقاة نور ، و هكذا من أنواع الجواهر ، فهى من بين درجات النبيّين كالقمر بين الكواكب ، فيُنادى المنادى : هذه درجة محمّد خاتم الأنبياء ، و أنا يومئذٍ متّزرٌ بريطة من نور ، على رأسى تاج الرسالة و إكليل الكرامة ، و علىّ بن أبى طالب أمامى و بيده لوائى و هو لواء الحمد مكتوبٌ عليه : **لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَـهُ ، مُحَمَّـدٌ رَسُولُ اللَهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَهِ ، وَأَوْلِيَاءُ عَلِيٍّ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ بِاللَـه** ، حتى اصعد أعلى درجة منها و علىّ أسفل منّى بدرجة و بيده لوائى ، فلا يبقى يومئذٍ رسولٌ و نبىّ و لا صدّيق و لا شهيد و لا مؤمن الاّ رفعوا أعينهم ينظرون الينا و يقولون : طوبى لهذين العبدين ، ما أكرمهما على اللَه ، فينادى المنادى يسمع نداءه جميعُ الخلائق :

هذا حبيب اللَه محمّد و هذا ولىّ اللَه علىّ ، فيأتى رضوان خازن الجنّة فيقول : أمرنى ربّى أن ءاتيك بمفاتيح الجنّة فأدفعها اليك يا رسول اللَه ، فأقبلها أنا فأدفعها الى أخى علىّ ، ثمّ يأتى مالك خازن النار فيقول : أمرنى ربّى أن ءاتيك بمقاليد النار فأدفعها اليك يا رسول اللَه ، فأقبلها أنا فأدفعها الى أخى علىّ ، فيقف علىّ على عجزة جهنّم و يأخذ زمامها بيده و قد علا زفيرُها و اشتدّ حرّها ، فتنادى جهنّم : يا علىّ ذرنى فقد أطفأ نورُك لهبى ! فيقول لها علىّ : ذرى هذا وليّى و خُذى هذا عدوّى ، فلجهنّم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعلىّ فيما يأمرها به مِنْ رقٍّ أحدكم لصاحبه ، و لذلك **كَانَ عَلِيٌّ**

⇦ هذه الدَّعْوة التّامة و الصّلوة القائمة بَلِّغْ محمّدًا صلّى اللَه عليه و ءاله الدرجةَ و الوسيلةَ و الفَضْلَ و الفَضِيلةَ

قَسِيمُ النّار و الجَنَّةِ [١].

ثالثاً : من وجهة نظر إشعاع نـور الولايـة و ظـهور الحقـائق و المخفيّـات و بروز القابليّات ، و هذه المرحلة تحتاج إلى الدقّـة و التـأمّل ؛ و لإيضـاح هـذه المرحلة نذكر مقدّمة بعنوان مثال و شاهد :

مـن المعلـوم و المشـهود أنّ الشـمس تبتعـد فى فصـل الشـتاء عـن الأرض ، فتفقد الأرض بعض حرارتهـا ، و تفقـد جميـع ءاثارهـا و تجليّاتهـا ، إذ تصبـح كئيبـةً بـاردة و تفقـد ءاثارهـا الحياتيّـة فليـس فيـها ظـهور لخـواص الموجـودات او ءاثارهـا ، فالأشـجار يابسـة لا ورق فيـها و لا ثـمر ، كأنّـها أخشـاب يابسـة مغروسـة فى الأرض ، تقـف أشـجار التفـاح و الكمـثرى و الرمّان و المشمش و الجوز و الأشـجار غـير المثمـرة كلّـها سـواءً و فى رديـف واحد ، لا يـميّزها عن بعضها شىء ، إذ ليس فيها من ظهور أو فعليّـة ، كمـا أنّ قابليّاتها الكامنة غير مرئيّة ، لـذا فإنّـها تقـف فى مـنزة واحـدة و تُعـدّ أخشـاباً يابسة لا ضرر و لا نفع لها .

كمـا أن الأوراد و الشـقائق ذابلـة كلّـها و منكمشـة بـلا أثـر ، فـلا ورد الياسـمين و البنفسج يفوح بالعطر ، و لا النباتـات ذات الرائحـة الكريهـة تبعـث برائحتها ؛ لا نداوة هنـاك فى الـوردة الحمـراء ، و لا أوراد الدفلـى ذات الرائحـة النفّاذة لها أثر من ذلك .

البلابـل و طيـور الكنـارى و الصقـور و العُقبـان قـد انسـحبت الى أعـشاشها و أوكارهـا ، و الأفـاعى و العـقارب قد سبتت و رقـدت هى الاخرى

١ـ (ينابيع الـمودّة) ، ص ٨٤ ؛ و قد ذكر المرحوم الكلينى ما يقرب مـن ثلثـى هـذه الرواية فى (روضة الكافى) ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ضمن خطبـة الوسـيلة لأمـيرالمؤمنين عليـه السـلام التى أنشأها بعد سبعة أيّام من رحلة رسـول اللّـه فى المدينـة حـول غصـب الخلافـة و إظـهار مقاماته .

مع الطيور البديعة الرائعة و تهاوت فى جحورها و أعشاشها متثاقلة بلا حسّ .

و ما ان تقترب الشمس بأشعتها التى تغمر العالم مع حلول الربيع ، و تُرسل الى الأرض بأشعتها الباعثة على النشاط و الحياة ، فانّ تلك القابليات الكامنة ستصل الى مرحلة الفعليّة ، فتبدأ شجرة التفّاح بإرسال أغصانها و أوراقها و ثمارها الحلوة الحمراء المعطّرة مزيّنةً جوّ الحديقة ، و يظهر من شجرة الكمثرى هذه الفاكهة الخاصّة ، و تُعلن شجرة المشمش بمنظرها الزاهى المحبّب و ثمارها الصفراء العطرة اللذيذة ميزتها الوجوديّة عن سائر ما يجاورها فى الحديقة .

كما انّ الاشجار غير المثمرة و الاشجار ذات الثمار المرّة أو الفجّة الحامضة و الضارّة مثل بعض أشجار الغابات ستُعلن عن تفاهة شخصيّتها و أثرها ، و تطأطىء رؤسها أمام الأشجار الاخرى فليس لها بَعْدُ من مجالٍ للغرور و الاستكبار و التعالى .

كما ان الطيور و البلابل ستنشغل و تنهمك بالتغريد فى فضاء الحدائق ، بينما تحلّق الصقور و العُقبان باحثةً عن الجيف ، و تظهر الأفاعى و الجرذان و العقارب و تُعلن عن وجودها متحرّكةً بين الصخور و الأنهار .

و كلّ ذلك بتأثير أشعّة الشمس و ظهور دفئها الباعث على الحياة و النشاط ، فحين تبزغ الشمس فانّ كلّ موجود يُظهر قابليّته و يُبرز مراحله الكامنة ، بينما لم يكن هناك فرق بين الموجودات قبل طلوع الشمس و قبل بزوغ اشعاعها .

و هكذا الأمر بالنسبة الى شمس الولاية ، فقبل أن تطلع و تشرق على القلوب و الأفئدة ، و قبل أن تأمر و تنهى ، فانّ البشر سيعيشون فى مستوى

واحد ، فلا تفاوت بين الشقىّ و السعيد ، و لا بين أهل الجنّة و النار ، و لا بين مؤمن و كافر ، و لا بين عادل و فاسق ، و لا بين محبّ و مُبغض ، و لا بين موحدّ و مُشرك :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً [1].

كانوا كلّهم فى مستوى واحد ، و ما أكثر ما كان يحصل ان يعدّ الأشقياء أنفسهم أفضل من السعداء و يفتخرون بذلك ؛ ولكن ما ان طلعت شمس الولاية و أشرقت على الأرواح الكئيبة ، حتّى بعثت الحركة و النشاط فى النفوس و أظهرت غرائز و سرائر و ضمائر كلّ إنسان ، فطووا باختيارهم طريق السعادة فأوصلوا كلّ القابليّات النورانيّة الى مرحلة الفعليّة ؛ أمّا الأشقياء فانّ خُبث السريرة سيظهر بسبب تمرّدهم و إنكارهم و جحودهم القلبىّ ، و ستظهر الأثار القبيحة السيّئة لهم فى مرحلة الفعل و القول .

و هكذا فانّ أصحاب الفطرة السليمة سيتراصّون فى صفوف العبوديّة ، و سيملأون الدنيا تواضعاً و إنفاقاً و إيثاراً و رحمةً و إنصافاً و ترحّماً على الأيتام و صدقاً و صفاءً و عدلاً و توحيداً .

امّا أصحاب الفطرة السيّئة فانّهم سيشكّلون صفوف الفجور و الفسق ، فيملأون الدنيا خيانةً و قبحاً و قساوة و اغتصاباً للحقوق و الأموال ، و كذباً و ظلماً و شِركاً :

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَ يَحْيَى مَنْ حَىَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ [2].

و بعبارة أخرى فلأنّ الإمام هو روح القرءان و حقيقته ، و كما انّ

١ـ الأية ٢١٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ الأية ٤٢ ، من السورة ٨ : الأنفال .

القرءان شفاء و نور و رحمة للمؤمنين ، و سببٌ لرقيّهم و كمالهم ، بينما هو فى الوقت نفسه ظُلمة و خسران و وبال للظالمين و سببٌ لزيادة قسوتهم و ظلمهم ، فانّ وجود الإمام عليه السلام له هذا الأثر و الخاصيّة أيضاً .

وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّاخَسَارًا [1].

انّ الأيات القرءانيّة تُقرأ على المؤمن و توجب رفع مقامه و منزلته بناءً على تقبّل قلبه و خضوعه و خشوعه و ازدياد إيمانه و توكّله ، لكنّها عندما تُقرأ على الكافر فانّها ستسبّب زيادة ظلمته و خُسرانه بسبب جحود قلبه و إنكاره و تمرّده .

حين تشرق شمس الولاية على قلوب المؤمنين كمصباح منير ، فانّهم سيفيدون من تلك الحرارة و النور ، و سيتصاعد العطر المنعش من أرواحهم و أسرارهم فيعطّر فضاء عالم الإنسانيّة ، امّا قلوب الكافرين فتصبح متعبة كدرة ، و ستزكم رائحة التعفّن الكامنة فيهم أنوف الإنسانيّة ، و تسبب الملل و الضجر للعقل و الحق .

انّ الامام سيظهر ، من وجهة نظر ملكوت البشر و قلوبهم ، كلّ استعداد فيهم و يوصله الى مقاصده ، فيوصل المؤمنين الى الجنّة و يُرسل الكافرين الى النار ، و يحرّك كل موجود من وجهة نظر ملكوته فى طريق و صراط يتناسب معه .

ما مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [2].

انّ لكلّ فرد من المؤمنين مقاماً معلوماً فى الجنّة ، كما انّ هناك لكلّ

١ـ الأية ٨٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢ـ الأية ٥٦ ، من السورة ١١ : هود .

كافر مكاناً معلوماً فى النار ، و الوصول الى هذه الغاية يتمّ بواسطة الامام الذى يهدى كلّ شخص فى مسيره و هدفه من وجهة نظر التكوين ؛ امّا من وجهة نظر التشريع ، و بسبب القبول و الرفض الذى يجعل الكافرين و المؤمنين فى صفّين متقابلين مختلفين ، فانّه سيقود كلّاً منهما الى كمال استعداه .

و بناء على ذلك ، فما أجمل قول رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله و ما أروعه حين قال :

عَلِىٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ .

يقول ابن شهر ءاشوب : شريك القاضى و عبداللَه بن حمّاد الأنصارى قال كلّ واحد منهما : حضرتُ الأعمشَ فى علّته التى قُبض فيها و عنده ابن شبرمة ، و ابن أبى ليلى و أبوحنيفة ، فقال أبوحنيفة : يا أبا محمّد [يخاطب الأعمش] اتّقِ اللَه و انظرْ لنفسك فانّك فى ءاخر يوم من أيّام الدنيا و أوّل يوم من أيّام الأخرة ، و قد كنت تحدّث فى علىٍّ بأحاديث لو تُبتَ عنها كان خيراً لك .

قال الأعمش : مثل ماذا ؟

قال : مثل حديث عباية الأسدى : **إنَّ عَلِيًّا قَسِيمُ النَّارِ** .

قال (الأعمش) : أقعدونى و سنّدونى ! و حَدَّثَنى ـ و الّذى إليه مصيرى ـ موسى بن طريف إمامُ بنى أسد عن عباية بن ربعى امام الحىّ قال : **سَمِعْتُ عَلِيّاً عليه السّلام يَقُولُ : أَنَا قَسِيمُ النَّارِ أَقُولُ هَذَا وَلِيِّى دَعِيهِ وَ هَذَا عَدُوِّى خُذِيهِ .**

و حدّثنى أبو المتوكّل الناجى فى امرة الحجّاج ، عن أبى سعيد الخدرى : قال النبىّ صلى اللَه عليه و ءاله : اذا كان يوم القيامة يأمر اللَه عزّوجل ، فأقعدُ أنا و علىٌّ على الصِّراطِ و يُقالُ لنا : أَدْخِلا الجنّةَ مَنْ ءامن بى

و أحبّكما وأَدْخِلا النَّارَ مَنْ كَفَرَ بى و أَبْغَضَكُمَا .

(و فى لفظ : ألقيا فى النار من أبغضكما و أدخلا الجنّة مَن أحبّكما) .

و حدّثنى أبو وايل قال : حدّثنى ابـن عبّـاس قـال : **قَـالَ رَسـول اللَـه صلّى اللَه عليه و ءاله : إذا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَأمُرُ اللَهُ عَلِيّـاًأَ نْ يُقَسِّـمَ بَيْـنَ الجَنَّةِ وَ النَّارِ ، فَيَقُولُ لِلنَّارِ خُذِىذَ ا عَدُّوى وَ ذَرِىذَ ا وَلِيّى .**

قال : فجعل أبو حنيفة ازاره على رأسه و قال : قومـوا بنـا لا يجـىء أبـو محمّد بأعظم من هذا [1].

يقول القندوزى ، أخرج الدار قطـنى فى كتـاب (جواهـر العقديـن) عـن أبى الطفيل عامر بن واثلة الكنـانى قـال : **إنَّ عَلِيّـاً قـالَ حَديثًـا طَويلًـا فـى الشُّورَى ، و فيه انّه قالَ لأهلِ الشُّورى : فأنشِدُكُمْ بِاللَهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قـالَ لَهُ رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : أنـتَ قَسِـيمُ النَّـارِ و الجَنَّـةِ غَيْرِى ؟ قالوا : اللَهُمَّ لَا** [2].

و قد أنشد السيّد الحميرى فى هذا الأمر قصائد كثيرة مثل :

قَسِـيمُ النَّـارِ هَـذا لـــى فَكُفِّـى عَنْـهُ لَـــا يَضُـــرُرْ
وَ هَـذا لَـكِ يَـــا نَـــارُ فَحُـوزِى الْفَـاجِرَ الأَكْـبَرْ [3]

و يقول أيضاً :

ذَاكَ قَسيمُ النَّـــار مِـنْ قبلِـهِ خُذِى عَدُوِّى وَ ذَرِى نَـاصِرِى
ذَاكَ عَلِىُّ بْـنُ أَبِـى طَـالِبٍ صِهْرُ النَّبِىِّ الْمُصَطفَى الطَّـاهِرِ [4]

١ـ (المناقب) ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .

٢ـ (ينابيع المودّة) ص٨٤ .

٣ـ (ديوان الحميرى) ، ص ٢٥٢، و اورد أصله عن (أعيان الشـيعة) ،ج ١٢ ، ص ٢٤٦؛ و (المناقب) ، ج ٢ ، ص ١٥٩ و ١٩٤ و ٢٣٣ و ٢٨٨ ؛ و ج ٣ ، ص ٩٠ و٩١ .

٤ـ (ديوان الحميرى) ، ص ٢٤٥ ؛ و قد أورد أصله عن (اعيان الشيعة) ، ج ١٢ ، ⇦

و يقول :

عَلِيٌّ وَلِيٌّ الْحَوض و الذَّائِدُ الَّذِى
يَذبِّبُ عَنْ أَرْجائِهِ كُلَّ مُجْرِمِ
عَلِىٌّ قَسِيمُ النَّارِ مِن قَوْلِهِ لَها
ذَرِى ذَا وَ هَذا فَاشْرَبِى مِنْهُ واطْعَمِى
خُذِى بِالشِّوى مِمَّنْ يُصيبُک مِنْهُمُ
وَ لَا تَقْرَبِى مَن كَانَ حزْبِى فَتَظلمِى [1]

و يقول دعبل الخزاعى :

قَسيمُ الجَحيمِ فَهذا لَهُ وَ هَذا لَها باعتدال الْقِسَمْ
يَذُودُ عنِ الحَوضِ أَعداءَهُ فَكَمْ مِنْ لَعِينٍ طَرِيدٍ وَ كَمْ
فَمِنْ نَاكِثِينَ و مِنْ قَاسِطِينَ و مِنْ مَارِقِينَ و مِنْ مُجتَرَمْ [2]

و قال القندوزى : نُسب الى الشافعى انّه أنشد هذه الأبيات :

عَلِيٌّ حُبُّهُ جُنَّة قَسِيمُ النَّارِ و الجَنَّة
وَصِيُّ الْمُصطفى حَقّاً إمام الانْسِ وَ الجِنَّة [3]

يقول ابن الأثير : أروى بسندى المتصّل عن علىّ بن جزء قال : سمعتُ أبا مريم السلولى يقول : سمعتُ عمّار بن ياسر يقول : سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم يقول لعلىّ بن أبى طالب :

يَا عَلِيُّ إنَّ اللّهَ عَزَّوجلَّ قدْ زَيَّنَکَ بزِينةٍ لَمْ يتزَيَّنِ الْعِبَادُ بزِينَةٍ أَحَبّ

⇦ ص ٢٤٦ ؛ و (المناقب) ، ج ٢ ، ص ١٢٥ و ١٥٩ .

١ـ (ديوان الحميرى) ، ص ٣٩٩ ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) و (الغدير) و(المناقب) و (الكنى و الألقاب) .

٢ـ (مناقب ابن شهر ءاشوب) ، ج ١ ، ص٣٤٩ .

٣ـ (ينابيع المودّة) ، ص٨٦ .

اَلَيْهِ مِنْهَا: الزُّهْدُ فِى الدُّنْيَا ، فَجَعَلَکَ لاَ تَنَالُ مِنَ الدُّنْيَا شَيئًا ، وَ لاَ تَنَالُ الدُّنْيَا مِنْکَ شَيْئًا ، وَ وَهَبَ لَکَ حُبَّ الْمَسَاکِينَ ، وَ رَضُوا بِکَ إمَامًا وَ رَضيتَ بِهِمْ أتباعاً ، فَطُوبَى لِمَنْ أحَبَّکَ وَ صَدَقَ فِيکَ ، وَ وَيلٌ لِمَنْ أبغَضَکَ وَ کَـذَبَ عَلَيْکَ . فَأمَّا الَّذِينَ أحَبُوکَ وَ صَدَقُـوا فِيـکَ فَـهُمْ جـيرانُکَ فِـى دَارِکَ ، ورُفَقَاؤُکَ فِىقَصرِکَ ،وَأمَّا الَّذِينَ أبْغُضُوکَ وَ کَذَبُوا عَليکَ ، فَحَقٌ عَلىاللّـهِ أن يُوقِفَهُمْ موقِفَ الكذَّابِينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ [1].

١ـ (أسد الغابة) ، ج ٤ ، ص٢٣ .

الدرس التاسع

في معنى الولاية التكوينية

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

يَومَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِکَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَ مَنْ كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِى الْأَخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا [1].

و رد فى كثير من الروايات عن طريق أهل البيت سلام اللَه عليهم أجمعين ، و عن طريق العامّة ، انّ رسول اللَه صلى اللَه عليه و ءاله قال : **لاَ يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إلاَّ مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِىٌّ الْجَوازَ** [2].

تحقيق فى حديث (لاَ يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إلاَّ مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِىٌّ الْجَوازَ) :

و قبل ان ننقل هذه الروايات فاننا مجبرون على ذكر مقدّمة لتوضيح معنى الصراط و كيفيّة كتابة الجواز للعبور :

١ـ الأية ٧١ و ٧٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢ـ (الصواعق المحرقة) ، ص ٧٨ ، طبع مصر نقلاً عن كتاب (مقام الامام أميرالمؤمنين عند الخلفاء) للعلّامة الميرزا نجم الدين الشريف العسكرى ، ص ٣ ؛ و (مناقب الخوارزمى) ، ص٢٢٢ .

انّ جميع الموجودات ـ كما أشرنا سابقاً ـ لها ظاهر و باطن ، و من جملتها الانسان و اخلاق الانسان و أفعاله ، فهى الأخرى لها ظاهر و باطن . و يُقال لظاهرها الخلق و المُلك ، و لباطنها الأمر و الملكوت ، الظاهر هو المشهود و المحسوس ، امّا الباطن فمختفٍ كامن فى هذا العالم .

كما ان ميزان جزاء و ثواب الأعمال يُقاس على ملكوتها و حقيقتها ، لا على ظاهرها ، فالصلاة التى يصلّيها الشخص ـ مثلاً ـ يمكن من وجهة النظر الظاهرى أن تراعى فيها جميع خصوصيات الأداب الواجبة و المستحبّة ، من الوضوء و الطهارة و القيام و الاستقبال و السجود و التختّم بالعقيق ، و العطر ، و السواك ، و اللباس الأبيض ، و العمامة و غيرها ، الاّ ان النيّة تكون احياناً التقرّب الى اللَه ، و أحياناً اخرى الرياء و التظاهر ، مهما كان ظاهر الصلاتين واحداً لا اختلاف فيه ، لأنّ روح الصلاة ، اى الباعث و الداعى للمصلّى هو الذى جعل روح هذه الصلاة فى بُعدين مختلفين ، أحدهما التقرّب الى اللَه و الأخر التقرّب الى هوى النفس .

الصلاة فى الصورة الأولى تقرّب الانسان الى اللَه ، و فى الصورة الثانية تُبعده عنه ، فى الصورة الاولى تقوده الى الجنّة ، و فى الصورة الثانية تسوقه الى النار .

و هكذا الأمر فى الصوم و الجهاد و الزكاة و الحجّ و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و قراءة القرءان و عيادة المريض ، و سائر الأعمال التى لها ظاهر ممدوح ، حيث تمتلك جميعها هذا الملكوت و الحقيقة ، و تختلف قدرة إيصالها الى اللَه شدّةً و ضعفاً بمقدار شدّة أو ضعف نيّة فاعلها ، امّا اذا كانت النيّة لغير اللَه فانّها ليس فقط لا تقرّب الإنسان الى اللَه ، بل انّها ستبعده عنه .

المعاصى و الذنوب لها أيضاً روح تختلف فى الشدّة و الضعف ، كما

ان العقاب سيُقاس على أساس الباعث الذى دعا المذنب الى المعصية .

و نجد أحياناً ان شخصاً ارتكب ذنباً ، لكنّه ارتكبه خطأً و عن غير عمد ، لذا فانّ ذلك الفعل لن يكون له ءاذاك عنوان المعصية ، و لن يكون مُبعّداً له عن اللَه .

فى عالم الحسّ و الشهادة ، أى العالم الذى نرتبط معه بالحواسّ الظاهريّة ، و المراد به هذا العالم الحالىّ ، فانّ ملكوت و واقعيّة الأعمال مختفٍ كامن ، و ما هو ظاهر و مشهود فى هذا العالم انّما هو هيكل الفعل و جسده و متنه ، لذا فانّ معيار كبر و صغر الأفعال من الوجهة الظاهريّة عند أسرى سجن الطبيعة ، هو صغر و كبر نفس العمل ، فكثرة الصلاة ، و كثرةالصيام،و التظاهربالورع و التقوى ، و التظاهر بالخشوع و الخضوع ، و التكلّم بهدوء بلسانٍ ليّن هى أمور مستحسنة ، و غيرها غير مستحسن و غير مرغوب . امّا فىً عالم المعني و الملكوت فان الأمر على العكس ، فلا يُنظرهناک اليظاهرالاعمال من جهة صغرها و كبرها ، بل لنّ ما يمثّل المعيار و الميزان للمطلوبيّة و المرغوبيّة هو النيّة و الإخلاص و الروح الموجودة فى العمل ، فظاهر الأفعال هناک كامن بينما ملكوتها و باطنها ظاهر جلىّ ، اى لنّ الظاهر معلوم و الباطن مخفىّ ، مثل عالم النوم و عالم اليقظة .

انّ كلّ ما يُشاهد و يُحسّ فى عالم اليقظة يزول فى عالم النوم ، حين يرقد الشخص فيضع رأسه على و سادة النوم ، فيرى لنّ جميع ظهورات و ءاثار عالم اليقظة و خصوصيات و كيفيّات هذا العالم ستضمحلّ و تزول ، لكأنّه لم يرَ طوال عمره كهذا العالم .

و حين يستيقظ و يشاهد عالم اليقظة ، فانّ كلّ خصائص عالم النوم سيتصوّرها اعتباريّة ، و كأنّه لم يدخل فى مثل ذلك العالم ، و ما لم

يجد الانسان سبيلاً الى عالم الملكوت فانّه لن يدرك شيئاً غير مظاهر الطبيعة هذا و غير الهيكل و الجسم الظاهر ، لكنّه حين يتّصل بعوالم الملكوت بالموت الطبيعي أو غيره ، فانّ حقيقة الأعمال و واقعيّتها ستظهر له ءانذاك ، و سيكون عمله و سرّه معها ، و سينسى عالم الشهادة ، و ستُظهر ظهورات النيّات و الواقعيّات للإنسان عالماً جديداً أقوى أثراً بآلاف المرّات من عالم الحسّ .

تحقيقٌ في معني الصِّراط:

يسلك الإنسان في هذه الدنيا بواسطة النفس و صفاتها و استخدام أفعالها طريقاً في المعنى[1] . و لأنّ رجوع الأنفس الى اللَه، فانّ هذا الطريق في ملكوت الإنسان و نفسه سيكون الى اللَه أيضاً .

و يختلف البشر في سلوك هذا الطريق باختلاف قواهم المعنويّة ، فالبعض له طريق مستقيم تماماً ، و للبعض الأخر طريق يضمّ انحرافاً قليلاً ، بينما البعض الأخر يتحرّك بصورة كاملة في طريق الانحراف .

و لأنّ الإنسان يمتلك منذ اوائل عمره حتى ءاخر لحظات حياته حالاتٍ متفاوتة و ملكات روحيّة و نفسيّة من الحالات المختلفة ، و التي هي نتيجة للأعمال المتفاوتة ، فهو في انتقال من حالة الى حالة اخرى . حتى اذا ما كانت حالاته حسنة و ممدوحة بشكل كامل ، و اذا ما كان فعله صالحاً و نيّته التقرّب الى اللَه ، فانّه سيكتسب الاخلاص في العمل و ينتقل دائماً من حال الى حال و من كمال الى كمال ، فيصير من المقرّبين و السابقين ، فاذا أخذت عنايةُ اللَه و لطفه بيده فأعانته صار من العباد الكمّل ، و اذا كان من المتوسّطين ، اى انّه لم يستطع نسيان غير اللَه كليّاً ، بل كانت نفسه الأمّارة و الشهوة يتغلّبان عليه أحياناً فيوقفان سيره أو يُعيدانه الى الخلف قليلاً ، الاّ

١ـ في الباطن ـ في الحقيقة .

انّ فعله و قوله غالباً ما يكون صالحاً و نيّتـه صالحـة ، فسـيكون مـن أصحـاب اليمين .

و اذا كانت نفسـه الأمّـارة هـى الـتى تقـوده دائمـاً ، و كـان كـلّ سـيره بخلاف الوصـول الى مراحـل الكمـال الإنسـانى ، فانّـه سـيكون مـن الأشـقياء و أصحاب الشمال .

و هذا الاختـلاف الموجـود لـدى النـاس فى طريقـهم سيسـبّب اختـلاف ملكوتهم ، لذا فانّ بعضهم سـيطوى الطريـق بسـرعة ، و البعـض الأخـر ببـطء ، و البعض الأخر فى نهاية المشقّة و المحنة .

و هذا الملكوت سيظهر يوم القيامـة ، و هنـاك حيـث عـالم الحقيقـة فـان النـاس سـيكونون فى درجـات مختلفـة ؛ و جـهنّم الـتى تسـتعر هـى ظـهور و بروز عوالم الشـهوة و الغضـب و الاسـتكبار و حـبّ الشـخصية و الإعـراض عـن اللَه و الانغمـاس فى المعـاصى الـتى يعـبّر القـرءان عنـها بعبـارة الحيـوة الدنيا .

و بناءً على هذا فانّ جهنّم هى ملكـوت الدنيـا ، كمـا ان الصـراط الـذى يُمدّ عليها هو الطريق الذى ينبغى للإنسـان طيّـة فى نفسـه لكـى ينـال المقصـود و هو اللَه سبحانه و تعالى . و عندما يطوى الانسان هذا الطريـق فى الدنيـا ، لـذا فان هذا الصراط سيوضع أيضاً علـى جـهنّم . و لأنّ علـى كـلّ شـخص بشـكل حتمى أن يفـوز بـمقصوده بـمجاهدة النفـس للشـهوات فى الدنيـا ، لـذا فـانّ العبور على جهنّم ضرورى لجميع الافراد ، حتى للأنبياء و لأولياء اللَه .

و حين نزلت الأية الكريـمة : **وَإِ ن مِّنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَـى رَبِّـكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيـهَا جِثِيًّـا** [1]. سـألوا رسـول اللَه صلّى اللَه عـليه و ءاله : أَوَ أنتَ أيضـاً واردٌ جـهنّم ؟ أجاب : بلـى ،

١ـ الأية ٧١ و ٧٢ ، من السورة ١٩ : مريم

لكننّا نعبر عليها كالبرق الخاطف [١].

و على هذا ، فلأنّ الجميع قد قدموا الى هذه الدنيا و كان لهم جميعاً طريق فى أنفسهم الى اللَه ، فانّ عليهم جميعاً ان يردوا الى جهنّم ، و على الجميع ان يعبروا على الصراط .

فاولئك الذين لم يهبوا قلوبهم الى الدنيا ، و لم ينكبوا عقولهم ، و لم يسألوا غير اللَه تعالى و لو لحظة واحدة ، فانّهم سيعبرون على جهنّم (على الصراط) كالبرق الخاطف ، امّا الباقون فانّ سرعتهم ستتفاوت باختلاف حالهم فى الاخلاص ، فالبعض يمرّ بطيئاً ، و البعض من زمرة الأشقياء الذين كان صراطهم منحرفاً بشكل كامل ، سيزلّ على الصراط و يهوى فى النار .

روى عبداللَه بن مسعود عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله قال :

يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ، ثُمَّ يَصْدُرونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ الْبَرقِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ،ثُمَّ كَحَضْرِ الْفَرَسِ ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ ثُمَّ كَمَشْيِهِ[٢] .

و فى تفسير القمّى رواية عن الامام الصادق عليه السلام قال :

الصِّرَاطُ أَدَقُّ مِنَالشَّعْرِ وَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مِثْلَ الْبَرقِ،وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مِثْلَ عَدْوِ الْفَرَسِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مَاشِيًا ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ حَبْوًا ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مُتَعَلِّقًا ، فَتَأْخُذُ النَّارُ مِنْهُ شَيْئًا وَ تَتْرُكَ شَيْئًا[٣] .

لذا فانّ معنى الصراط العبور على الملكات و الأخلاق الرذيلة و الصفات القبيحة ، فمن لم يُدنّس بها أصلاً مرّ كالبرق الخاطف ، و من

١ـ التعبير مُترجم و ليس نصّ كلامه صلوات اللَه عليه و ءاله (م) .

٢ـ (تفسير مجمع البيان) ، ج ٣ ، ص٥٢٥ .

٣ـ (تفسير الصافى) ، ج ١ ، ص٥٤ .

تلوّث بها فى الجملة مرّ كعدو الفرس ، حتّى اذا ما ابتلى و تدنّس كثيراً علّق من الصراط الى جهنّم فأحاطت النار به .

انّ الإمام عليه السلام الذى يعيّن صراط الانسان و طريقة الى اللّه فى هذه الدنيا ، و الذى له السيطرة على نفس الإنسان و ملكوته ، هو نفسه الذى سيعيّن سرعة و بطء حركة الإنسان على الصراط يوم القيامة حيث ظهور الصفات و الملكات ، و وفقاً لسرعة الانسان فى حركته فى الدنيا الى اللّه ، فانّه سيُجيزه بنفس القدر بالحركة بسرعة أو ببطء على الصراط ، امّا الأفراد الذين لم يكن لديهم اتّصال بمقام المعنى و الولاية ، و الذين أفنوا فى وجودهم روح و شرف و فضيلة الإنسانيّة ، فانّه لن يسمح لهم بالحركة ، و سيأمر جهنّم لتبتلعهم و تغمرهم .

و لأن الامام له إحاطة فى الدنيا على ملكوت المؤمنين و غير المؤمنين ، فانّه سيقف هناك على مكان عالٍ و رفيع بحيث يُشرف على الجنّة و على جهنّم ، فيعيّن مكان و منزلة كلّ فرد صالح فى الجنّة ، و منزلة كلّ فاسق و منحرف طالح فى النار ، و قد عبّر فى القرءان الكريم عن ذلك المقام العالى بالأعراف .

وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ [1].

و الأعراف فى اللغة لها معنيان ، الأول أعراف الحجاب و هو القسم الأعلى منه ، و الثانى أعالى الجبل و التلّ ، و كلا المعنيين مناسب هنا ، اى انّه حجاب بين أهل الجنّة و أهل النار يقف الإمام فى ذروته و قمّته ، لأنّه كان فى الدنيا فى ذروة و قمّة الحالات الروحيّة و المعنوية ، ينظر من هناك الى وجوه و سيماء أمّته ، و يشاهد حالاتهم الروحيّة و الملكوتيّة من

١ـ الأية ٤٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

سيمائهم ، كما كان محيطاً على ملكوتهم في الدنيا يسيّرهم عن طريق الملكوت الى واقعيّتهم و مقصدهم ، لذلك فانّه هناك أيضاً سيجعلهم حسب واقعيّتهم و ملكوتهم في درجات مختلفة من الجنّة أو في دركات متفاوتة في النار .

و بناءً على ما ذكرنا فقد اتّضح بحمداللَه و قوّته حقيقة و سرّ ظهور جهنّم أولاً ، و ظهور الصراط ثانياً ، و مقام الإمام في الأعراف و ارتباط كيفيّة إدخال اهل جهنّم فيها بأمر الإمام ثالثاً .

فنقول الأن بأنّ الروايات التى وردت في شأن أميرالمؤمنين عن طريق الشيعة كثيرة جدّاً ، و لكن من أجل ان يتّضح ان هذه المطالب مسلّم بها عند أهل السنّة و لا يرقى اليها الشكّ ، فقد قرّرنا ان ننقل فظائله عليه السلام في الغالب من كتبهم .

يقول ابن حجر الهيتمى الشافعى : روى ابن السمّان أنّ أبابكر قال له (أى لعليّ عليه السلام) : **سَمِعْتُ رسولَ اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم** يقول : **لاَ يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إلاَّ مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِيٌّ الْجَوازَ** [١].

و ينقل ابن حجر قبل هذا الحديث عن سُنن الدار قطنى : **إنَّ عَلِيًّا [عليه السَّلامُ] قالَ للسِّتَّةِ الَّذين جَعَلَ عُمَرُ الأمرَ شُورَى بَيْنَهُمْ كَلاَمًا طَويلًا مِنْ جُمْلَتِهِ :**

أَنْشِدُكُمْ اللَهَ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قالَ لَهُ رسولُ اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله]وسلّم (يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ و النَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ) غَيرِى ؟ قَالُوا : اللَهُمَّ لاَ .

١ـ (الصواعق المحرقة) ، طبع مصر ، ص ٧٨ ، نقلاً عن كتاب (مقام الإمام اميرالمؤمنين) ، ص٣ .

و معناه ما رواه عنترة عن علىّ الرِّضا [عليه السّلامُ] أنّه صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم قالَ لَه : أنْتَ قَسِيمُ الجَنَّةِ وَ النَّارِ فِى يَوْمِ القِيامَةِ تَقُولُ لِلنَّارِ هَذَا لِى وَ هَذَا لَكِ .

فابن حجر يستشهد بكلام أميرالمؤمنين فى الشورى لتأييد الرواية التى نقلها عن أبى بكر ، ثم يفّسر كلام أميرالمؤمنين بكلام الرضا عليه السلام الى عنترة .

و ينقل محبّ الدين الطبرى عين هذه الرواية عن قيس بن أبى حازم ، قال :

إلْتَقَى أُبُوبَكر وَ عَلِىٌّ بنُ أبى طالب رضىَ اللَهُ عنهما ، فَتَبَسَّمَ أبُوبَكْرٍ فِى وَجْهِ عَلِىٍّ ، فَقالَ لَهُ : مَا لَكَ تَبَسَّمْتَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ صلّى اللَهُ عليه[و ءاله] و سلّم يقول : لاَ يَجُوزُ أحَدٌ الصِّرَاطَ إلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِىٌّ الْجَوازَ .

أخرجه ابن السمّان فى كتاب (الموافقة)[1].

كما ينقل الموفّق بن أحمد الخوارزمى فى كتابه (المناقب) رواية الجواز[2] .

يقول العلّامة الميرزا نجم الدين الشريف العسكرى فى كتاب (مقام الامام أميرالمؤمنين عند الخلفاء) ، الصفحة الخامسة : و قد نقل الكثير من الاعلام فى كتبهم هذا الحديث :

١ـ ابراهيم بن محمد الحموينى الشافعى فى (فرائد السمطين) ، ج ١ ، الباب الرابع و الخمسين .

١ـ (ذخائر العقبى) ، ص٧١ .

٢ـ (مناقب الخوارزمى) ، ص ٢٢٢ .

٢ـ محبّ الدين الطبرى الشافعى أيضاً فى كتابه الأخر بإسم (الرياض النضرة فى فضائل العترة) ج٢ ،ص ١٧٣ و ١٧٧ و٢٤٤ . و قال لنّ الحاكمى رواه فى كتابه (الأربعين) .

٣ـ أورده ابن أبى عدسه فى تأريخه بهذا اللفظ :

قال أبوبكر لعلىّ : سمعتُ رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم يقول : لاَ يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلِيٌّ الْجَوازَ .

٤ـ الشيخ سليمان الحنفى القندوزى فى (ينابيع المودّة) ، ص ٨٦ و و١١٢ .

٥ـ ابن المغازلى الشافعى فى كتابه (المناقب) ، كما فى (غاية المرام).

٦ـ الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) ، ج ٣ ، ص ١٦١ ، عن ابن عبّاس .

٧ـ القاضى عياض فى (الشفاء) .

٨ ـ العلّامة السيّد أبوبكر ابن شهاب الدين العلوى الحسينى الشافعى فى كتاب (رشفة الصادى من بحور فضائل بنى الهادى) ، ص٤٥٩ .

٩ـ القرشى فى (شمس الأخبار) .

١٠ـ العلّامة الشيخ عبداللَه الشبراوى الشافعى فى (الإتحاف بحبّ الأشراف) ، ص٢٥ .

١١ـ (اسعاف الراغبين) ؛ ثم يقول : و روى حديث الجواز جماعة ءاخرون عن الصحابة من غير أبى بكر ، كابن عبّاس و ابن مسعود ، و ينبغى العلم لنّ جميع هؤلاء المذكورين خرّجوا هذا الحديث فى كتبهم [١].

و عند مراجعة (ينابيع المودّة) فى ص١١٢ فانّه ينسبه الى الإمام

١ـ (مقام الامام أميرالمؤمنين) ، ص٦ .

أميرالمؤمنين و عبداللَه بن عباس و عبداللَه بن مسعود و أنس بن مالك و أبى سعيد الخدرى .

و يقول : روى الحموينى بسنده عن مالك بن أنس عن جعفر الصادق عن ءابائه عن علىّ بن أبى طالب رضى اللَه عنهم عن النبىّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم قال :

إذَا جَمَعَ اللَهُ الأوَّلِينَ وَ الْأخرِينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ نَصَبَ الصِّرَاطَ عَلَى جَهَنَّمْ لَمْ يَجُزْ عَنْهَا أحَدٌ إلاَّ مَنْ كَانَت مَعَهُ بَرَاةٌ بولاَيَةِ عَلِىٍّ بْنِ أبى طَالِبٍ .

و أخرج هذا الحديث أيضاً الموفّق بن أحمد بسنده عن الحسن البصرى عن ابن مسعود . و أخرجه الموفّق أيضاً بسنده عن مجاهد عن ابن عبّاس رضى اللَه عنهما .

و اخرج هذا الحديث ايضاً ابن المغازلى بسنده عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ؛ و عن طاوس ، عن ابن عبّاس .

و أيضاً بسنده عن أنس بن مالك ، و بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى اللَه عنهم .

و فى الصفحة ٨٦ و فى ص ١١٣ ، فقد رواه عن ابن مسعود بمتن ءاخر عن الموفّق بن احمد ، باسناده عن الحسن البصرى ، عن ابن مسعود .

قالَ : **قالَ رسولُ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : إذَا كَانَ يَوم الْقِيامَةِ يَقْعُدُ عَلِىٌّ عَلَى الْفِردُوسِ ، وَ هُوَ جَبَلٌ قَدْ عَلاَ عَلى الْجَنَّةِ وَ فَوْقَهُ عَرْشُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَ مِنْ سَفْحِهِ تَتَفَجَّرُ أنْهَارُ الْجَنَّةِ وَ تَتَفَرَّقُ فِى الجنَان ، وَ عَلِىٌّ جَالِسٌ عَلَى كُرسِىٍّ مِن نُورٍ ، يَجْرى بَيْنَ يَدَيْهِ التَّسْنيمُ ، لاَ يَجُوزُ أحَدٌ الصِّرَاطَ إلَّا وَ مَعَهُ سَنَدٌ بولاَيَةِ عَلِىٍّ وَ وَلاَيَةِ أهْلِ بَيْتِهِ ، فَيُدْخِلُ مُحِبِّيهِ الْجَنَّةَ وَ مُبْغِضِيهِ النَّارَ .**

كما ينقل الخوارزمى هذه الرواية بهذا المضمون فى مقتله (طبع

النجف ، ج ا ، ص ٣٩) .

بلى ، يبيّن هذا الحديث مقام أميرالمؤمنين في الأعراف ، و أنّ هذا المقام في ءاخر درجات الفرق الذى يبدأ منه عالم الكثرة ، يعنى في حقيقة الولاية التى هى الحجاب الأقرب ، و من الأعراف يجرى نهر التسنيم في الجنّة . و هذا النهر ينبع من الولاية ، و تجرى فروعه في قلوب الشيعة ، كما يجرى في جنانهم في ذلك العالم من ظهور الملكوت .

و أميرالمؤمنين عليه السلام الذى هو حقيقة الولاية ، يعيّن مقامات أهل الجنّة حسب ميزان جريان التسنيم ، فيعبرون الصراط و يصلون الى منازلهم ، كما يعيّن في النار أماكن الذين لا يؤمنون بالولاية .

يقول ابن شهر ءاشوب : روى ابن عبّاس و أنس عن النبّى الأكرم صلّى اللَه عليه و ءاله :

قَالَ : إذَا كَانَ يَومَ الْقِيَامَة ، وَ نُصِبَ الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ ، لَمْ يَجُزْ عَلَيْهِ إلَّا مَنْ مَعَهُ جَوَازٌ فِيهِ وَلاَيَةُ عَلِيِّ بنِ أَبى طَالِبٍ ، وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مَسؤُلُونَ [١].

و يقول أيضاً : و يروى والدى شهر ءاشوب باسناده عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله قال :

لِكُلِّ شَىْءٍ جَوَازٌ ، وَ جَوَازُ الصِّرَاطِ حُبُّ عَلىِّ بْنِ أَبى طَالِبٍ [٢].

و يروى أيضاً في تأريخ الخطيب ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن طاووس ، عن ابن عبّاس قال :

قُلتُ للنَبىّ : يَا رَسولَ اللَهِ ! لِلنَّاسِ جَوَازٌ ؟ قالَ : نَعَم ؟
قُلْتُ : وَ مَا هُوَ ؟ قالَ : حُبُّ عَلِىِّ بْنِ أَبى طَالِبٍ [٣].

---

١ إلى٣ـ (المناقب ابن شهر ءاشوب) ، ج ١ ، ص ٣٤٦ ، الطبعة الحجريّة .

و فى حديث وكيع،قال أبوسعيد : **يَا رَسُـولَاللَهِ ! مَا مَـعْنَى بَراةُ عَـلِىٍّ ؟ قالَ : لاَ إلَهَ إلَّا اللَهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، عَلِىٌّ وَلِىُّ اللَهِ** [1].

و سأل النبّىُ الاكرمُ من جبرئيل : **كَيفَ تَجُوزُ أُمَّتِى الصِّرَاطَ ؟ فَمَضَـى وَ عَادَ وَ قَالَ : إنَّ اللَهَ تَعَالَى يَقْرَئُکَ السَّلامَ و يقول : إنَّکَ تَجُـوزُ الصِّـراطَ بنُورى ، وَ عَلِىُّ بنُ أبى طَالِب يَجُوزُ الصِّـرَاطَ بنُـورکَ ، وَ أُمَّتُـکَ تَجُـوزُ الصِّرَاطَ بنُورِ عَلِىٍّ ، فَنُورُ أُمَّتِکَ مِنْ نُورِ عَلِىٍّ ، وَ نُورُ عَلِـىٍّ مِـنْ نُـورکَ ، وَ نُورُکَ مِنْ نُورِ اللَهِ** [2].

و ورد فى الخبر : **وَ هُوَ الصِّرَاطُ الَّذِى يَقِفُ عَلَى يَمِينِهِ رَسُـولُ اللَـهِ ، وَ عَلَى شِمَالِهِ أَمِيرُالمؤمنينَ ، وَ يَأْتِيهِمَا النِّدَاءُ مِنَ اللَهِ : أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُـلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** [3].

و روى الحسن البصرى فى خبر ءاخـر عـن عبداللَـه ، عـن رسـول اللَـه قال :

وَ هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرسِىٍّ مِن نُورٍ ـ يَعْنى عَلِيّاً ـ يَجْـرى بَيْـنَ يَدَيْـهِ التَّسْنِيمُ ، لاَ يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إلَّا وَ مَعَهُ بَراةٌ بِولاَيَتِهِ وَ وَلاَيَةِ أَهْـلِ بَيْتِـهِ ، يُشْرِفُ عَلَى الْجَنَّةِ وَ يُدْخِلُ مُحِبِّيهِ الْجَنَّةَ وَ مُبْغِضِيهِ النَّارَ [4].

و ما أجمل قول شاعر أهل البيـت السـيد اسمـاعيل بـن محمـد الحمـيرى حين يقول :

قَـوْلُ عَلِـىٍّ لِحَـارِثٍ عَجَـبٌ ... كَـمْ ثَـمَّ أُعْجُوبَـةً لَـهُ حَمَلَـا

يَا حَارِ[5] هَمْـدَانَ مَـنْ يَمُـتْ ... مِنْ مُؤمِنٍ كانَ أَوْ مُنَـافِقٍ قَبَلَـا [6]

١و٢ـ (المناقب ابن شهر ءاشوب) ، ج ١ ، ص ٣٤٦ ، الطبعة الحجريّة .

٣و٤ـ (المناقب) ، ج١ ، ص٣٤٦ .

٥ ـ يا حارُ ، يا حارِ، الأصحّ و الأشهر فى الـمنادى الـمرخّم ان تُترك حركة الحرف ⇦

يَعْرِفُنِـــى طَرْفُـــهُ وَ أَعْرِفُـــهُ بِعَيْنِـهِ [1]وَاسْـمِهِ وَ مَـــا فَعَلَـــا
وَ أَنْتَ عِنْدَ الصِّـــرَاط تَعْرِفُنِـى فَـلاَ تَخَـف عَـــثْرَةً وَ لاَ زَلَلَـــا
أَسْقِيكَ مِنْ بَـــارِد عَلَـى ظَمَـأً تَخَالُـهُ فِـى الْحَـلاَوَةِ الْعَسَـــلَا
أَقُولُ لِلنَّار حِينَ تُوقَـــفُ لِلْعَـرْ ضِ عَلَى جسـرِهَا ذَرِى الرَّجُلَـا
ذَرِيـــه لَـــا تَقْرَبِيـــهِ إِنَّ لَـــهُ حَبْـلاً بِحَبْـلِ الوَحْـى [2] مُتَّصِلَـــا
هَـذَا لَنَـــا شِـــيعَةٌ وَ شِـــيعَتُنَا أَعْطَـانِىَ اللَـهُ فِيـهِمُ الأَمَلَـــا [3]

⇦الأخر الباقى على حالها الأول ، و بـالطبع فـانّ الكـثير يَـرون انّ حركـة الحـرف المحـذوف يجب ان تُنقل الى الحرف الذى قبله .

⇦٦ـ رأيتُهُ قُبُلاً و قَبلاً و قَبيلاً وَ قَبَلِياً : أى عَيانًا و مُقابلةً. و لقد وُضعت احتمالات فى ضبط كلمة (قَبَل) لا يناسب معنى أىّ منها المقامَ ، و ما يبدو فى نظـر الحقـير انّـها فعـل مـاض بفتح القاف و فتح أو كسر الباء ؛ و ذلك لأنّ أحد معانى قَبَل و قَبِلَ أن يكون قَبَـل فى العينـين ، و القَبَل فى العينين عبارة عن اقبال نظر كلّ من العينين الى الأخرى ، و هـو مـا يدعـى بـالحَوَل فى العينين و رؤية الشىء شيئين ، و لازم الحول الغرور و العُجب ، حيـث تحـاول العيـون علـى الدوام النظر الى نفسها ، و هذا المعنى مـن آثـار النفـق الـذى عـدّه المـولى امـيرالمؤمنين عليـه السلام هنا من صفات المنافق .

كما ورد فى اللغة ان رأيته قُبُلا أى عياناً و مقابلة؛ و على ذلك فانّ من الممكن ان تكون الكلمة هنا بضمّ القاف و الباء ، اى : مَن يَمُتْ يَرَنى قُبُلا ؛ و هو احتمال مقبول أيضـاً . و ربّمـا كان أقرب من الاحتمال الأوّل .

قال فى (المنجد) : رأيتُهُ قُبُلاً و قَبَلاً و قُبَلاً و قِبَلاً و قَبيلاً و قَبَلِيًّا أى عيانـاً و مقابلـةً . و بذلك فانّ من الممكن قراءة شعر الحميرى على أربعة أشكال من القراءة .

١ـ ورد فى (مناقب ابن شهرءاشوب) بلفظ (بنَعْتِهِ)

٢ـ جاءت فى (ديوان الحميرى) بلفظ (حبل الوحـى) ، لكـن الأظـهر أنهـا (بحبـل الوصىّ) .

٣ـ (ديوان الحميرى) ، ص ٣٢٧ و ٣٢٨ ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشـيعة) ، ج ١٢ ، ص ٢٦٣ ، و (كشف الغمّة)، ص ١٢٤ ، و (المناقب) ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ ، و (شرح نهج البلاغة) ، ج ١ ، ص٢٩٩ .

يخاطب أميرالمؤمنين بهذا الكلام الحارث الهمدانى .

يروى ابن شهرءاشوب عن (الأمالى) للطوسى ، باسناده عن الحارث الهمدانى عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال : قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله :

إذَا كَانَ يَومَ الْقِيامَةِ أَخَذتُ بحُجزَةِ مِن ذ ىالْعَرش ، وَ أَخَذتَ أَنْتَ يَا عَلِىُّ بحُجزَتِى ، وَ أَخَذَتذُرِّيَّتُکَ بحُجْزَتِکَ ، وَ أَخَذَتْ شَيعَتُكُمْ بحُجْزَتِكُمْ ، فمَاذا يَصْنَعُ اللَهُ بنَبِيِّهِ ؟ وَ مَاذَا يَصْنَعُ نَبِيُّهُ بوَصِيِّه ؟ الي أن قال [علىٌّ عليه السلام] : خُذْهَا إلَيْکَ يَا حَارُ قَصِيرَةً مِن طَوِيلَةٍ [1]، أَنتَ و مَن أَحبَبتَ وَ لَکَ مَا اكْتَسَبْتَ [2].

و لقد جاهد الحارث الهمدانى (بسكون الميم) و قومه من قبيلة همدان فى اليمن ، فى يوم صفّين جهاداً كبيراً و حاموا عن دين اللَه و عن إمامهم ، و واجهوا المشاقّ و المحن و الشدائد ، حتّى قال أميرالمؤمنين فيهم :

فَلَوكُنتُ بَوَّابَاً عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ ادْخُلِى بِسَلاَمِ [3]

و يقول السيّد الحميرى :

وَ لَدَى الصِّراطِ تَرَى عَلِيّاًو اَقِفَاً
يَدْعُو إلَيْهِ وَلِيَّهُ الْمَنْصُورَا
اللَهُ أَعْطَى ذَا عَلِيّاً كُلَّهُ
وَ عَطَاءُ رَبِّکَ لَمْ يَكُنْ مَحْظُورَا [4]

١ـ من الأمثال ، و القصيرة هى التمرة و الطويلة : النخلة . م .

٢و٣ ـ تعليقة (ديوان الحميرى) ، ص ٣٢٦ و ٣٢٧ على الترتيب .

٤ـ (ديوان السيّد) ، ص ٢١٢ ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) و (المناقب) .

الدرس العاشر

لزوم وجود الدائم الحي لتسمع القلوب

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدِّين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَ إِيتَآءَ الزَّكَوٰةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ [1].

أصل العليّة و المعلوليّة:

انّ كلّ واحد من الموجودات التى تُشاهد فى العالم له أصل و علّة يستند فى نشأته اليها ، كما انّ التغيّرات و التبدّلات التى تحصل فيها لها عللها هى الأخرى .

فلو ضربنا زجاجةً بحجر لانكسرت ، و لو أجرينا ماءً فى جدول لجرى الماء الى حيث ما أمكن له ، و لبلّ النقاط التى يلامسها ، حتّى انّ الماء يجرى فى خُلل الجبال و شقوقها ما وجد الى ذلك سبيلاً .

و هذا هو أصلٌ عام فى النشوء و فى التغيّرات المشهودة فى موجودات العالم .

تأثير المجالسة فى الإنسان :

١ـ الأية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

كما انّ أخلاق و ملكات و عقائد و روحيّات بنى الإنسان ليست مستثناةً من هذا الأصل العام ، فقد ثبت بالتجربة انّ معاشرة الأبرار تؤثر على الإنسان ، و انّ المعاشرة مع الأشرار تؤثر عليه هى الأخرى ، و ما أكثر ما حصل أن صاحب شخصٌ ذو فطرة طيبة و أعمال صالحة أصدقاءَ السوء فتلاشى صفاؤه الباطنى ، و أظلم قلبه و اختنقت روحه .

و على العكس من ذلك ، فما أكثر ما حصل انّ شخصاً ذا سيرة سيّئة غيرّ اسلوبه و نهجه إثر معاشرته لشخص طيّب ، فصلُحت نيّته تدريجياً ، و تبعتها أفعالُه فصارت صالحةً حسنة حميدة .

لذا ورد التأكيد كثيراً فى التعاليم الإسلاميّة على مصاحبة الأبرار و المنع من الأُنس بالأشرار و التوادّ معهم ، حتى انّ جلسةً واحدة قد تؤثّر على الانسان و لو أمضاها بالسكوت او المذاكرة ، لأن تأثير الأرواح لا يحتاج الى مذاكرة ، و انّما الأرواح المؤتلفة تميل الى بعضها و تتبادل التأثير مع بعضها .

و لكى يستطيع الإنسان تغيير أخلاقه و صفاته الى أخلاق و صفات الإنسان الكامل ، فانّ عليه أن يعرّف قلبه و روحه على أصل و علّة الأخلاق و الصفات الحسنة ، لتؤثّر تلك المحامد فى الإنسان بواسطة الاتّصال . و عليه أن يصل مركز قلبه بمنبع العلم و المعرفة و الحياة ، ليحصل منه على العلم و المعرفة و الحياة قدر سعته و استعداده و قابليّته .

و كما انّ هناك فى شبكة المياه فى المدن مخزناً عظيماً للماء متّصل بعدد كبير من البيوت ، بحيث يصل اليها الماء حسب ظروفها و قابليّاتها ، فكذلك الأمر فى علّة و منبع الحياة و المعرفة الذى يجب ان يروى و يُشبع القلوب بواسطة التسليم و الانقياد و الاتباع و الخضوع ، بقدر سعة تلك القلوب و ظرفيّتها .

و لهذا الموضوع أمران ضروريّان :

الأول : وجود ذلك الأصل و العلّة ، أى مبدأ إفاضة العلم و الحياة .

و الثانى : التسليم و التلقّى و الخضوع ؛ ليمكن لتلك العلّة ان تؤدّى وظيفتها ، لأنّ التسليم له حكم الشروط لتلقّى العلم و المعارف ، و معتبر من المقدّمات المُعِدّة .

قلب الإمام مركز إفاضة العلوم:

مبدأ إفاضة العلم هو قلب الامام الذى يفيض ـ بواسطة السيطرة على ملكوت الموجودات ـ على كلّ موجود بقدر قابليّته و استعداده : **وَ جَعَلْنَـهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** [1].

و الهداية بأمر اللَه هى هداية أفراد البشر عن طريق ملكوتهم و نفوسهم .

و لذا يجب ان يكون فى العالم و على الدوام إمامٌ حىّ ، و قد استفدنا من الأية : **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** [2].

انّ الإمام موجود فى كلّ زمان ، يُدعى بواسطته أفراد البشر واحداً فواحداً ؛ و هذا أمر مسلّم و صحيح تستند عليه جميع أديان العالم و مذاهبه ، و يعتمد عليه الدين الاسلامى الذى يعتبر تعيين الإمام للمجتمع من قبل اللَه ، و يعرّفه بأنّه صاحب القلب و المحيط بالملكوت و المعصوم عن الخطايا و المعاصى . كما انّ الشيعة قد استفادوا هذا الأمر على أساس تعاليم الاسلام ، فقد جعلوا سيرتهم على واقع و حقيقة التعاليم الاسلاميّة ، امّا أهل السنّة الذين لا يُراعون هذا الأمر ، فانّ أيديهم قاصرة عن إدراك منبع الحياة

١ـ الأية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢ـ الأية ٧١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

و العلم ، و كما أُشير سابقاً فانّهم لا يستفيدون من الإسلام بالمعنى الحقيقىّ .

و على هذا الأصل القائل بالحاجة الى الإمام الحىّ بعد رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله ، و هو الوجود المقدّس لأميرالمؤمنين عليه السلام ، فانّ ذلك من أجل أن يصل جميع أفراد البشر بواسطة ذلك القلب الحىّ الواعى فى عالم الجمع الى الإفادة من حياتهم و علومهم ، و إلاّ فانّه اذا كفى مجرّد العمل بنداء (**كفانا كتاب اللَه**) ، لزحف كلّ امرىء فانزوى فى زاوية النفس و خرائبها المظلمة ، و لما أمكنه أن يتخطّى نفسه و هواه الى ءاخر عمره ، و ذلك لأن الإمام هو الملقى للمعارف القرءانيّة الى قلب الانسان ، و بدونه فانّ الإنسان الأعمى المهووس بالشهوات المنغمر فى اللذّات سيفسّر و يؤوّل الأيات القرءانيّة لخدمة أغراضه و نواياه ، و مهما عمل فانّ عمله لن يتعدّى دائرة ميوله و رغباته النفسانيّة . و مثل هذا القرءان بدون الروح الحيّة العميقة الإدراك للإمام **لاَ يَزيدُهم مِنَ اللَهِ إلاَّ بُعْدًا** .

الشيعة تعتبر أساس تعاليم الإسلام قائم على الإمامة .

تقول الشيعة انّ أساس تعاليم الاسلام قائمة على الإمامة ، ففى زمن رسول اللَه كان صلّى اللَه عليه و ءاله هو الإمام ، و كان يفيض المعارف على قلوب الأمّة بقلبه اليقظ منبع علوم **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَآ أَوْحَى** [١] ، ثمّ جرى ذلك بعده ؛ بواسطة الأئمة الأطهار الواحد بعد الأخر ، وصولاً الى حضرة بقيّة اللَه الأعظم عجّل اللَه تعالى فَرَجه الشريف ؛ رىّ كلّ قلب بقدر سعته من قبل مراكز الحياة و المعرفة تلك .

أمّا الموضوع الأخر و هو التسليم و الخضوع و الاتّباع للإمام ، الذى يُعدّ القلوب لتلقّى و اكتساب المعارف و العلوم ، فهذه الخصوصيّة موجودة

١ـ الأية ١٠ ، من السورة ٥٣ : النجم .

لدى الشيعة ، لذا يُشاهد أنّ الشيعة يفوقون العامّة بقدر ملحوظ فى صفات المحبّة و الوفاء و الصفاء و الإنفاق و الإيثار و قضاء حوائج الناس و فى رقّة القلب والعاطفة و نظائرها من الصفات الحميدة ، و هذا ناجم عن روح التسليم و الخضوع مقابل معلّم البشريّة و مبدأ التعليم و التربية ، سواءً كان الإمام حاضراً أو غائباً ، لأنّ تأثير و تأثّر الأرواح لا حاجة له كثيراً الى الحضور ، لأنّه ليس مادّه ليشترط لتأثيرها فى مادّه أخرى القُرب المكانى و التماسّ الخارجى ، بل هو تأثير فعليّة النفس الفعّالة فى قابليّات النفوس المستعدّة .

و لأنّ عالم الملكوت خارج عن الزمان و المكان ، لذا يمكن أن نجد تأثير فعليّة الأثار الحياتيّة للإمام فى كلّ قلب ، فإن كان الإمام فى مشرق العالم و كان تابعه فى المغرب ، فانّ قلب التابع مع ذلك سيحصل على استفادته ، كما انّ الانسان ـ على اثر محبّته لولده ـ فى ذكره دوماً ، سواءً كان ولده قربه أو مسافراً بعيداً عنه ، فصورة الولد لا تفارقه بل مطبوعة فى قلبه . و كذلك اذا ما وجدت تجليّات الإمام فى قلب المؤمن أينما كان ذلك المؤمن ، فانّه سوف يستمدّ ماء الحياة من ذلك المعدن اللامتناهى اثر انعكاس الصورة الحقّة .

لذا فانّ الشيعة يفيدون ـ و لو فى زمن الغيبة ـ من ذلك المركز للعلم و المعرفة ، بسبب التفاتهم الكامل الى مصدر الخيرات و العلوم ، مع انّه لاشك هناك و لا ريب فى انّ أثر حضور الإمام و فوائده أكثر و أوفر ؛ خلافاً لغير الشيعة الذين لا ترتبط قلوبهم بهذا المعدن ، لذا فانّ نفوسهم حائرة مترددّة ليس لها الى الخروج عن ذواتها من سبيل .

الشيعة يمتلكون اللطف و الرقّة و المداراة:

يقول ابن أبى الحديد بعد أن يذكر قدراً من صفات أميرالمؤمنين عليه السلام :

وَ قَدْ بَقِيَ هَذا الخُلُقُ مُتَوارَثاً مُتَناقَلاً فِي مُحِبّيهِ وَ أولِيائِهِ إلـي الآن ، كما بَقِيَ الجَفَاءُ و الخُشونَةُ و الوُعُورَةُ فِي الجَانبِ الآخرِ ، و مَن لَهُ أُدْنـي مَعرفَةٌ بأخلاقِ النَّاسِ و عَوَائِدِهِمْ يَعْرِفُ ذَلكَ [١].

انّ المعارف و العلوم الالهيّة تجرى فى قلوب اتباع الإمام اثر اتّصال قلوبهم بقلبه ، كما انّ السبب فى انّ للمؤمنين أنهاراً من ماء زلال فى الجنّة يعود الى تأثير ذلك الإتصّال القلبّى و الإفادة من نبع فضائل الأئمة . و نرى كثيراً فى القرءان الكريم أنّ اللّه تعالى يعد المؤمنين **جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** مثل :

إنَّ اللَهَ يُدْخِلُ الَّذِينَءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ [٢].

الجنّة تجلّى الصفات و الأفعال:

و كما ذكرنا فانّ الجنّة هى ظهور و بروز عالم نفس المؤمن فى الأخرة ، و لأنّ نفس المؤمن قد نجت ، بسبب الاطمئنان باللّه و بالسكينة التى حصلت عليها ، من حرارة ولسع اليأس و الفشل و من طوفان خواطر الشيطان و الاضطرابات الفكريّة و الأخلاقيّة ، فهم مسرورون فرحون فى رحمة اللّه و مقام أمنه و أمانه ، فقد عشقوا اللّه بنشاط و لذّة كاملين حتّى فى أدقّ لحظات سكرات الموت ، فهم فى سكينة و اطمئنان ، لذا فعندما يظهر ملكوت الأشياء فى الأخرة ، فانّ ملكوت نفس المؤمن سيكون بصورة جنّة متشابكة الأشجار ، تشابكت فيها فروع الأعمال الصالحة و أوراقها ، فألقت ظلالها على الأرض ، فلا مجال هناك لأشعّة الشمس اللاهبة و لا لطوفان

١ـ (شرح نهج البلاغة) ، الطبعة ذات العشرين مجلّداً ، ج ١ ، ص ٢٦.

٢ـ الأية ١٤ و ٢٣ ، من السورة ٢٢ : الحجّ ؛ و الأية ١٢ ، من السورة ٤٧ : محمد .

الحوادث أو غبار الخيالات و الخواطر الشيطانيّة .

سواءً اعتبرنا انّ الجنّة من جهة تجسّم أعمال المؤمن و ظهور ملكوت النفس المؤمنة ، أو بعنوان الجزاء المترتّب على العمل ، فانّ النتيجة ستكون واحدة . يشهد على هذا المعنى خطاب اللّه تعالى الى ءادم أبى البشر قبل وروده فى هذه النشأة :

فَقُلْنَا يَئَادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى *إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَاتَعْرَى* وَ أَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَ لاَ تَضْحَى [1] .

فقد خاطب اللّه ءادم : انّ هذه الجنّة لا خواطر نفسانيّة فيها و لا اضطرابات للخيال و القوى الواهمة ، هناك حيث لا تجوع و لا تعرى ، و لا تظمأ و لا تضحى بحرارة الشمس ، فالجوع و العُرى و الحرارة و الانصهار كلّها من أثر تسلّط النفس الأمّارة بالسوء على الإنسان ، أمّا فى الجنّة حيث قلب الإنسان مطمئنّ هادئ بعيد عن الخواطر و الانفعالات ، هناك حيث الاستقرار و الاستراحة **فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيْكٍ مُّقْتَدِرٍ** [2] .

فالذين يغادرون الدنيا الى اللّه بالإيمان و الأعمال الصالحة هم الذين يدخلون الجنّة و يتمتّعون فيها تحت ظلال الأشجار المتكاثفة .

الأنهار الجارية فى الجنّة:

و امّا الأنهار الجارية فى الجنّة ، فهى العلوم و المعارف التى أوجبت حياة القلب ، و ذلك لأن المؤمنين كانوا قد رووا قلوبهم بالعلم و المعرفة و الإقرار بوحدانيّة اللّه و أسماء ذاته المقدّسة ، و بالإقرار بحقّانيّة الإمام

١ـ الأية ١١٧ ـ ١١٩ ، من السورة ٢٠ : طه .

٢ـ الأية ٥٥ ، من السورة ٥٤ : القمر .

و النبىّ ، فانّ ظهور هذه العلوم التى هى حياة القلوب سيكون هناك فى هيئة أنهار ماء . و سيكون لجميع الذين عملوا الصالحات ـ و من جملتها الإقرار بإمام زمانهم ـ امتلاك هذه الأنهار ، بل يمكن اعتبار مقياس فصل الأعمال الصالحة عن غير الصالحة هو مصادقة الإمام عليها أو عدمها ، فكلُّ فعل أَمَرَ به الإمام صالحٌ ، و كلّ ما نهى عنه سيكون غير صالح ، و ذلك لأنّ نظر الإمام يمثّل النظرة الواقعيّة و الحقيقيّة ، و لذلك فانّ تخطّى كلام الإمام يمثّل انحرافاً عن متن الواقع و حقيقة نفس الأمر .

امّا الذين لم يوكلوا قلوبهم للإمام ، و لم يستفيدوا من ذلك المنبع الفيّاض ، فانّ قلوبهم ستبقى يابسة لا طراوة لها و لا محبّة و لا صفاء و لا معرفة ، كالقربة اليابسة العتيقة البالية ، قد فقدت مرونتها و سعتها ، لذا فانّ ماء اولئكم هو الحرمان و الحسرة و الندم الذى سيصبّ فى أفواههم على هيئة الفلز المصهور .

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَ أَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِى النَّارِ وَ سُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ [1].

أنهار الجنّة الأربعة:

ذكر اللّه سبحانه فى هذه الأية المباركة أربعة أنهار ، لأنّها أنهار الماء الزلال غير الأسن ، لأن الماء فى عالم الطبيعة هو حياة الموجودات :

وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىءٍ حَىٍّ [2].

١ـ الأية ١٥ ، من السورة ٤٧ : محمّد .

٢ـ الأية ٣٠ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

أنهار الماء : و حياة القلوب بالعلم و معرفة اللَه ، لـذا فـانّ أنهـار العلـم و المعرفة الجارية فى القلوب ستتجلّى هناك فى هيئـة أنهـار ظـاهرة صافيـة مـن ماء زلال غـير ءاسـن ، و المـراد بالأنهـار أصنـاف و أنـواع المعـارف و العلـوم الحقّة و الحقيقيّة التى تنـاط بهـا حيـاة القلـوب و تـروى بهـا غرائـز الإنسـان ، و المراد بغير الأسن غـير المتعفّـن و غـير المتغيّر ، اى عـدم تغيّر تلـك العلـوم بأوهام و شكوك و عادات باطلة و سنن ضالّة و اعتقادات فاسدة .

و هـذا النـهر مختـصّ بـالذين وصلـوا فى طريـق اللَـه الى مقـام القلـب ، و استفادوا من العلوم الالهيّة الحقّة دون أى تدخّل للنفس لتغييرها .

انهار من لبن : و النـوع الثـانى هـو الأنهـار مـن اللـبن الـذى لم يتغـيّر طعمه ، و هذه الأنهار هى ظـهور و بـروز العلـوم الـتى كـانت مفيـدة للمبتدئـين فى الطريق الى اللَـه ، لأنّ اللـبن طعـام الطفـل ، و العلـوم الـتى تتعلّـق بالأفعـال و الأخلاق كعلوم الشرائع و الحكمة العمليّـة باعتبارهـا مقدّمـة للعمـل و تزكيـة النفس ، لذا فـانّ ظـهور هـذه الأنهـار مختـصّ بالضعفـاء المسـتعدّين للسـير فى منازل النفس و الذين لـهم قابلية الوصول الى مقام القلـب بسـبب الابتعـاد عـن المعـاصى و الأخـلاق الرذيلـة ، الاّ انّـهم لم يصلـوا بعـدُ الى ذلـك المقـام ، فـهم بتعلّمهم المقدّمات من علوم الشرائع و الأخـلاق و بـالعمل بهـا فى صـدد تقويـة بُنيتهم الروحية . كما انّ عدم تغـيّر طعـم هـذه الأنهـار إشـارة الى عـدم تلـوّث هذه العلوم بالنوايا الفاسدة و الأهواء و البـدع الباطلـة و الأعمـال و العصبيّـات الجاهليّة التى تُسقط هذه العلـوم عـن خاصيّتـها و فضيلتـها ، و تحوّلـها الى سـمّ مهلك .

أنهار الخمر : و النوع الثالث من الأنهار أنهارٌ من خمـر لـذّة للشـاربين ، فالخمر فى الدنيا مع انّ مادّتهـا خبيثـة و نكهتـها مُقرفـة و طعمـها ردىء ، لأنّـها تـخدّر العـقول و تسقطـها مـن الإحسـاس و الإدراك ، و تـهوى بالانسـان الـى

مصافّ البهائم ، لكن خمر الأخرة جذباتٌ الهيّه تظهر اثر تجليّات الصفات و الأسماء فى القلب ، فتحيّر العقول و تبهتها بحيث يسقط العقل المفكّر فى العواقب و المصالح عند مشاهدة تلك الاسماء الكليّة و الصفات الالهيّة غير المحدودة و ينسى كليّاً مراتب الوجود .

و لأنّها تمتلك هذه الخاصيّة فقد عُبّر عنها بالخمر ، لكّن هذه الخمر ترفع الانسان من مرتبة العقل و تهديه الى مرتبة أعلى و هى الشهود و القلب .

و على ذلك فانّ انهار الخمر هى ظهور أصناف و أنواع محبّة صفات و ذات اللَه التى جعلها اللَه سبحانه للشاربين ، و هم الكاملين الواصلين الى درجة الشهود ، و الذين صارت لديهم القابليّة لمشاهدة حسن تجليّات الصفات و شهود جمال الذات ، و صاروا مولّهين بالجمال المطلق للحضرة الربوبيّة لا إدراك لهم بسببه ، و وصلوا الى مقام الروح و استغرقوا فى الأنوار الالهيّة ، و ستوجب لهم اللذة و البهجة و السرور و الحبور .

أنهار من عسل مصفّى : و النوع الرابع من هذه الأنهار هى أنهار من عسل مصفّى لا يُرى فيها شىء من الشمع و الخبث و المواد القذرة . و لأنّ العسل له حلاوة زائدة ، فانّ تلك الحلاوة التى هى من واردات عالم القدس و البوارق النورانيّة ، و اللذات التى توجد فى حالات مختلفة للمتوسّطين فى طريق اللَه ، و تعيدهم الى اللَه بالذوق و الوجد و التوجّه ، و توجّههم الى كمالاتهم ، فانّها تظهر هناك فى هيئة أنهار من عسل مصفّى خالٍ من الشوائب و الأكدار و تدخّلات النفس و تسويلاتها ، و هذا بالطبع مختصّ بالأفراد الذين هم فى مقام ذوق تلك الجذبات ، و الذين لم يصلوا بعدُ الى مرحلة السكر اثر مشاهدة التجلّيات .

و بناءً على ما سبق فانّ أنهار اللبن هى العلوم لدى المبتدئين

و الضعفاء من سالكى طريق اللَه ، و أنهار العسل مختصّة بالافراد المتوسّطين المشغولين بملاحظة الجذبات الالهية و مشاهدة الصفات ، وأنهار الخمر مختصّة بالأفراد الذين نسوا وجودهم بسبب تجلّيات الجمال و عشق تلك الذات الأزليّة فامّحوا فى أنوارها .

و المراد بالأية الشريفة : **وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** [1]، الشراب الذى يطهّرهم و يزكّيهم من جميع التعلّقات الدنيويّة من المال و الولد و العيال و الجاه و الاعتبار ، و يرفع نفس الشارب عن هذه المراحل .

ثمّ انّ أنهار الماء الزلال غير الأسن و غير المتغيّر مختصّة بالذين وصلوا الى مرحلة القلب ، و الذين طلعت و أشرقت فى قلوبهم جميع أنواع العلوم و المعارف الالهيّة بدون تدخّل النفس و زيغ الأهواء .

امّا الافراد المتوسّطون الذين يتمّحون بجمال اللَه اثر تجلّيات صفاته و مشاهدة أسمائه ، فيعمدون الى خلط قدر من نهر الزنجبيل ـ و هو مادّة تبعث الحرارة ـ فى كؤوس شرابهم ليبقى طلبهم و عشقهم حيّاً على الدوام ولكى تبقى الحرارة موجودة فيهم بقدرٍ كاف .

وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا [2].

و الزنجبيل نهر يسمّى بالسلسبيل ، فهو من فرط حُسن مذاقه يمنح الشاربين حرارة الطّلب ، و بالطبع فلأنّ هؤلاء لم يصل اشتياقهم و عشقهم الى الذروة ، فانّهم لذلك لا يُسقون من الزنجبيل الخالص ، بل يمزجون فى كأسهم من نهر الزنجبيل فيسقونهم منها ؛ و لأنّهم لا يزالون مشتاقين للسير

١ـ ذيل الأية ٢١ ، من السورة ٧٦ : الدهر .

٢ـ الأية ١٧ و ١٨ ، من السورة ٧٦ : الدهر .

فى الصفات ، فانّ محبّتهم لذلك لم تصفُ عن لذّة حرارة الطلب ، فهم يهدأون و يسكنون أحياناً من واردات و تجلّيات الجمال ، لذا يُصبّ فى كأسهم من عين الكافور ، و الكافور شراب بارد معطّر يبعث على السكون و الارتياح .

إنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً [١].

و لأنّهم لم يصلوا الى مقام الجمع ، و لم يستغرقوا فى عين جمع الذات ، لذلك فليس لهم ذلك السكون المطلق و ذلك الهدوء من جميع الجهات ، و انّما السكون للذين وصلوا الى مرحلة العبوديّة المطلقة وأصبحوا من عباداللَه ، فاولئك من المقرّبين و يسقون من أصل عين الكافور ، بالإضافة الى انّهم يُجرون من تلك العين فى قلب كلّ من له قابليّة و استعداد ، و يصبّون منها فى كأس كلّ فرد حسب قابليّته .

و على كلّ حال فانّ عين الكافور هذه هى نفسها عين التسنيم المختصّة هى الاخرى بالمقرّبين ، لكنّهم يصبّون قدراً منها فى كأس الأبرار .

إنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ [٢].

انّ الأبرار يشربون من شراب مختوم ، ختامه طيّب و طاهر ، هى قوانين الشرع المقدس التى ملأوا بها ءانية الشراب و صانوها عن تلاعب

١ـ الأية ٥ و ٦ ، من السورة ٧٦ : الدهر .

٢ـ الأية ٢٢ الى ٢٩ ، من السورة ٨٣ : المطففّين .

الشيطان ، فهم يصبّون قدراً من نهر التسنيم فى ذلك الشراب الصافى و يقدّمونه للأبرار ، لكنّ المقربين يُسقون من نفس عين التسنيم الجارية من أعلى نقاط الجنّة .

عين التسنيم تجرى تحت أقدام أميرالمؤمنين:

انّ المستقرّ على الأعراف ، الذى يجرى التسنيم تحت أقدامه ، هو مولى الموالى أميرالمؤمنين صاحب مقام الولاية الكبرى ، ذلك الذى يشرب جميع المقرّبين من العين الجارية تحت أقدامه .

كما انّ نهر التسنيم يستمدّ مائه من قلب أميرالمؤمنين عليه السلام فيسقى المقرّبين ، ثمّ يرد فى حوض الكوثر . ثم انّ جميع أنواع تلك العلوم التى ذكرناها من التسنيم و الكافور و الزنجبيل و الخمر الصافى و أنهار اللبن و الماء غير الأسن و أنهار العسل تنبع كلّها من مقام الولاية ، أى العلم المطلق ، فتجرى الى قلوب الشيعة و الموالين أينما كانوا و حيثما حلّوا ، فتروى كلّ واحد من الناس بدوره حسب قابليّته و ظرفيّته .

ساقى حوض الكوثر:

وردت كثير من الروايات المستفيضة عن الأئمة سلام اللَه عليهم فى أنّ ساقى حوض الكوثر هو أميرالمؤمنين عليه السلام ، فهو يسقى مواليه بالأقداح التى توزّعت على جوانب الحوض ، و يذود عن الحوض بالعصا التى فى يده أعداء أهل بيت العصمة .

الاّ اننا نذكر بعض الروايات المنقولة عن العامّة فى هذا الباب ، فيروى محبّ الدين احمد بن عبداللَه الطبرى ، عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : يَا عَلِيُّ مَعَكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ عصَا مِنْ عَصَى الْجَنَّةِ تُذودُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ عَنِ الْحَوْضِ . أخرجه

الطبرانى [١].

يقول القندوزى الحنفى : أخرج أبو المؤيد أخطب الخطباء الموفّق بن أحمد الخوارزمى عن سيّد الحفّاظ أبى منصور شهردار ابن شيرويه الديلمى بسنده ، عن زيد بن علىّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه أميرالمؤمنين علىّ رضى اللَه عنهم ، ثم ينقل رواية مفصّلة و من جملة فقراتها يقول :

يَا عَلِيُّ ... وَ إنَّکَ غَداً عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِى ، وَ أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يَرِدُ عَلَىَّ الْحَوْضَ ، وَ أَنْتَ تَذُودُ الْمُنَافِقِينَ عَنْ حَوضِى ، وَ أَنتَ أَوَّلُ دَاخِلٍ فِى الْجَنَّةِ مِنْ أُمَّتِى،وَ إنَّ مُحِبِّيکَ وَ أَتْبَاعَکَ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ، وَآءٌ مَرويِّينَ ، مُبيَضَّةٌ وُجُوهُهُمْ حَوْلِى ، أَشْفَعُ لَهُمْ فَيَكُونُونَ غَدًا جِيرَانِى ، وَإِنَّ أَعْدَاءَکَ غَدًا ظِماءٌ مُظْمَئِينَ مُسْوَدَّةٌ وُجُوهُهُمْ ، يُضْرَبُونَ بِالْمَقَامِعِ وَ هِى سِيَاطٌ مِن نَارٍ مُقْمَحِينَ ، الحديث [٢].

و يقول أيضاً : أخرج أبونعيم الحافظ ، عن أبى هُريرة قال :

قال رسولُ اللَهِ صَلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم لِعَلِيٍّ رضى اللَه عنه : أَنْتَ يَا عَلِيُّ عَلَى حَوضِى تَذُودُ عنه الْمُنَافِقِينَ ، وَ إنَّ أَبَارِيقَهُ عَدَد نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَ أَنْتَ والحَسَنُ و الحُسَينُ وَ حَمْزَةُ وَ جَعْفَرٌ فِى الجَنَّةِ إخوانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ، وَ أَنْتَ وَ أَتْبَاعَکَ مَعِى ، ثُمَّ قَرَأَ : (وَ نَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِن غِلٍّ إخوانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) [٣].

و يقول أيضاً : و فى جمع الفوائد : جابر و أبوهريرة رفعاه :

علىُّ بنُ أبى طَالِبٍ صَاحِبُ حَوضِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ . للأوسط [٤].

١ـ (ذخائر العقبى) ، ص٩١ .

٢و ٣ و ٤ـ (ينابيع المودّة) ، ص١٣٠ .

و يقول أيضاً : أبوسعيد رفعه :

يَا عَلِيُّ ! مَعَکَ يَومَ الْقِيَامَةِ عَصًا مِن عَصَى الْجَنَّةِ تَذُودُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ عَن حَوضِى . للأوسط[1].

و يقول : و فی (جواهر العقدين) ، أخرج الطبرانی عن أبی كثير قال :

كُنتُ جَالِسًا عِنْدَ الْحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رضى اللَهُ عنهما ، جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لَه:إِنَّ مُعَاوِيَةبنَخَديجٍ يَسُبُّ أَبَاکَ عِنْدَ ابنِ أَبِى سُفيَانَ ، فَقالَ لَهُ : إن رَأَيتَهُ مِن بَعْدُ ، ارنيه ! فَرَءاهُ يَوْمًا فَأَراه ذلک الرجل ،

فقال الحسنُ رَضى اللَهُ عنه لابنِ خَدِيجٍ : أَنْتَ تَسُبُّ أَبَاىَ عِنْدَ ابنِ آكِلَةِ الأَكْبَادِ ؟

أَما لَئِن وَرَدتَ عَلَى الحَوضِ وَ مَا أَرَاکَ تَرِدُهُ ، لَتَجِدَنَّ أَبِى مُشَمِّرًا حَاسِرًا ذِرَاعَيْهِ ، يَذُودُ الْمُنَافِقِينَ عَنْ حَوضِ رسول اللَه صلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم و هَذَا قَوْلُ الصَّادِقِ الْمُصَدَّقِ صلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم [2].

و يقول أيضاً : لأحمد فی (المناقب) ، انّ رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم قال : **أُعْطِيَتْ فِى علىٍّ خَمْسٌ ، هُنَّ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا** ، ...

الى أن قال : **وَ أَمَّا الثَّالِثَةُ فَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى حَوضِى يَسْقِى مَنْ عَرَفَهُ مِن أُمَّتِى** [3].

و يقول أيضاً : و فی (المناقب) ، عن سيعد بن جبير ، عن ابن عبّاس رضى اللَه عنهما قال : قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم :

---

١ و٢ و٣ ـ (ينابيع المودّة) ، ص١٣٢ .

يَا عَلِيُّ،أَنْتَ صَاحِبُ حَوْضِى ، وَ صَاحِبُ لِوائِى ، وَ حَبِيبُ قَلْبِى ، وَ وَصِيِّى ، وَ وَارِثُ عِلْمِى ، وَ أَنْتَ مُسْتَوْدَعُ مَوَارِيثِ الأَنْبِياءِ مِنْ قَبْلِى ، وَ أَنْتَ أَمِينُ اللَهِ فِى أَرْضِهِ،وَ حُجَّةُ اللَهِ عَلَى بَرِيَّتِهِ ، وَ أَنْتَ رُكْنُ الإِيمَانِ ، وَ عَمُودُ الإِسْلاَمِ ، وَ أَنْتَ مِصْبَاحُ الدُّجَى ، وَ مَنَارُ الْهُدَى، و الْعَلَمُ الْمَرفُوعُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، يَا عَلِيُّ ، مَنِ اتَّبَعَكَ نَجَى ، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْكَ هَلَكَ ، وَ أَنْتَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ وَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَ أَنْتَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَ يَعْسُوبُ الْمُؤمِنِينَ ، وَ أَنْتَ مَوْلَى مَنْ أَنَا مَوْلاَهُ ، وَ أَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤمِنٍ وَ مُؤمِنَةٍ ، لَا يُحِبُّكَ إِلَّا طَاهِرُ الْوِلَادَةِ ، وَ لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا خَبِيثُ الْوِلاَدَةِ ، وَ مَا أَعْرَجَنى رَبِّى عَزَّوَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ وَ كَلَّمَنى رَبِّى إِلَّا قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِقْرَءْ عَلِيّاً مِنِّى السَّلاَمَ وَ عَرِّفهُ أَنَّهُ إِمَامُ أَوِلِيائِى وَ نُورُ أَهْلِ طَاعَتِى ، وَ هَنِيئاً لَكَ هَذِهِ الْكَرَامَةَ [١].

و يقول ابن شهر ءاشوب : و فى أخبار أبى رافع من خمسة طرق : قال النبيّ صلّى اللَه عليه و ءاله :

يَا عَلِيُّ تَرِدُ عَلَيَّ الْحَوضَ وَ شِيعَتُكَ رُوَاءً مَرويّينَ ، وَ يَرِدُ عَلَيْكَ عَدُوُّكَ ظِمآءٌ مُقْمَحِينَ [٢].

و جاء فى تفسير قوله تعالى : **وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُوراً ، يَعنى سَيِّدهُم عَلِيّ بن أبى طالِب ، و الدَّلِيلُ عَلى أَنَّ الرَّبَّ بمعنَى السَّيِّدِ ، قولُهُ تعالي : و اذْكُرنى عِنْدَ رَبِّكَ** [٣].

الفايق (للزمخشرى) : إنَّ النَّبِيَّ قَالَ لِعَلِيٍّ : أَنْتَ الذَّائِدُ عَنْ حَوْضِى يَوْمَ القِيَامَةِ ، تَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يُذادُ الأَصيدُ البعيرُ الصَّادِى ، أى الَّذِى

١ـ (ينابيع المودّة) ، ص١٣٣ .

٢ و ٣ ـ (مناقب ابن شهر ءاشوب) ، ج ١ ، ص٣٥٠ .

بِهِ الصّيْدُ ، و الصَّيدُ دَاءٌ يَلْوى عُنُقَهُ [1].

و يقول الحميرى شاعر أهل البيت سلام اللَه عليهم:

أُؤَمِّلُ فِـى حُبِّـهِ شِـرْبَةً مِنَ الْحَوْضِ تَجْمَعُ أُمْنَاً وَ ريًّا
إذَا مَا وَرَدْنَـا غَـدَاً حَوْضَـهُ فَأُدْنَى السَّـعِيدَ وَ ذَادَ الشَّـقِيًّا
مَتَى يَـدْنُ مَـولاهُ مِنْـهُ يَقُـلْ رِد الْحَوضَ وَ اشْـرَبْ هَنيئَـاً
وَ إن يَـدْنُ مِنْـهُ عَـدوٌ لَـهُ يَذُدْهُ عَلِـىٌّ مَكَانَـاً قَصِيّـا [2].

و يقول أيضاً فى غاصبى مقام الولاية ضمن قصيدة طويلة :

وَأَزْمَعُـوا غَـدْراً بِـمولاهمُ تَبَّـاً لِمَـا كَـانُوا بِـهِأَزْمَعُـوا
لاهُـمْ عَلَيـهِ يَـردُوا حَوْضَـهُ غَـداً وَ لاَ هُـوَ فِيـهُم يَشْـفَعُ
حَوضٌ لَهُ مَا بَيْـنَ صَنعَـا إلَـى أَيْلَـةِ أَرضِ الـشَّامِأَ وَ أوسَـعُ
يُنْصَـبُ فيـهِ عَلَـمٌ لِلْـهُدَى وَ الْحَـوضُ مِـنْ مَـاء لَـهُ مُـتْرَعُ
يَفِيـضُ مِـنْ رَحْمَتِـهِ كَوْثَـرٌ أَبْيَـضُ كَالفِضَّـةِ أَو أَنْصَـعُ
حَصَـاهُ يَـاقُوتٌ وَ مَرْجَانَـةٌ و لُؤْلُـؤٌ لَـمْ تَجْنِـهِ إِصْبَـعُ
بَطْحـاؤهُ مِسْـكٌ و حافاتُـهُ يَـهْتَزّ مِنْـها مونـقٌ مُونـعُ
أَخْضَـرُ مـادونَ الْجنـي نـاضِرٌ وَ فَـاقِعٌ أَصْفَـرُ مَـا يَطْلَـعُ
وَ الْعِطْـرُ وَ الرَّيْحَـانُ أَنواعُـهُ تَسْـطَعُ إن هَبَّـت بِـهِ زَعْـزَعُ
ريـحٌ مـنَ الجَنَّةِ مَـأمُورَةٌ دَائِمَـةٌ لَيْـسَ لَـها مَـنْزَعُ
إذَا مَرَتـهُ فَـاحَ مِـن ريحِـهِ أَزكـى مِـنَ الْمِسـكِ اذَا يَسْـطَعُ
فيـه أَبـاريقُ وَ قِدْحَانُـهُ يَـذُبُّ عَنْـهَا الأنـزَعُ الأصلَـعُ

١ـ (مناقب ابن شهرءاشوب) ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

٢ـ (ديوان الحميرى) ، ص ٤٦٤ ؛ و تخريجها من (المناقب) ، ج ٢ ، ص ١٦٢ و ٢٢٣ ، و (أعيان الشيعة) ، ج ١٢ ، ص٢٧٦ .

يَـذُبُ عَنْـهُ ابـنُ أَبـى طـالِبٍ ذَبَّـکَ حَربـي إبـلٍ تَشْـرَعُ
إذا دنَـوا مِنْـهُ لِکَـىْ يَشْـرَبُوا قيـلَ لَـهُمْ تَبّـاً لَکُـمْ فَـارجِعُوا
دُونَکُمُـو فَالْتَمِسُـوا مَنْـهَلاً يُرويکُـمُ أَو مطْعَمَـاً يُشْـبِعُ
هَـذَا لِمَـنْ وَالَـى بَنـى أَحْمَـدٍ وَ لَـمْ يَکُـن غَـيْرَهُمُ يَتْبَـعُ
فَالفَوزُ لَلشَّـارِبِ مِـنْ حَوضِـهِ وَ الْوَيـلُ وَ الـذلُّ لِمَـنْ يُمْنَـعُ [1]

و الخلاصة فـهذا الحـوض هـو معـدن علـم أمـيرالمؤمنين عليـه السـلام الذى يُحيى الأرواح و يشفى القلوب ، من دخلـه أعمـى صـار مُبصـراً ، و مـن ورده أسودَ صار أبيضاً ، و من دخله مريضاً شُـفى ، و مـن دخلـه محترقـاً وجـد روحـاً جديـدة ، و لـذا فـانّ هـذا الحـوض يجـرى مـن الأعـراف و هـو مقـام أميرالمؤمنين ، و يجرى من التسنيم و هو علمـه عليـه السـلام ، و لا مقـام أعلـى منه الاّ عرش اللَه الذى يُشير الى مقام الحقيقة النبويّة .

قال الرسول الأكرم صلّى اللَه عليه و ءالـه فى حديثـه المتّفـق عليـه لـدى الفريقين :

أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِىٌّ بَابُهَا [2].

١ـ (ديوان الحميرى) ، ص ٢٦١ ؛ و قد أخرج هـذه القصيـدة عـن (بحـار الأنـوار) و(مجالس المؤمنين) و (الغدير) و (أعيـان الشـيعة) و (ضحـى الاسـلام) و (الأغـانى) و (ظرافـة الأحلام) .

٢ـ (كنز العمال) ، ج ١٢ ، الحديث ١١٣٠ ، طبع الهند ١٣٨٤ ؛ و (وسـائل الشـيعة) الطبعة الحروفيّة ، ج ١٨ ، ص ٥٢ .

الدرس الحادي عشر

معنى وحي الخيرات إلى الأئمة

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدِّين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَوةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَوة وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ [1].

بحثنا فى المباحث السابقة فى كيفية الهداية بأمراللَه و شرائط تحقّقها من خلال ما استنتجناه من الأيات القرءانيّة ، و نبحث الأن فى الجملة الأخرى من الأية ، القائلة : **وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ** لنستنتج معناها بحول اللَه و قوّته .

معني ايحاء الخيرات الي الأئمّة:

يقول اللَه تعالى فى هذه العبارة الشريفة انّ نفس الأعمال الخيرة التى كانوا يعملونا هى من وحينا ، لأنّ المصدر المضاف يفيد تحقّق الفعل فى الخارج ، فاذا قال أحد : **يُعجِبُنى إحْسَانُکَ وَ فِعْلُکَ الْخَيْرَ** ، فانّه يُستفاد منه انّ الإحسان و فعل الخير الذى عملتَه قد سرّنى . امّا اذا أرادوا أن يقولوا إنّ إحسانك و فعلك الخير بعد هذا يسرّنى ، فانّهم لا يضيفون المصدر ، بل امّا

١ـ الأية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

يقطعونه عن الإضافة أو أن يذكروا الفعل مع (أن المصدريّة) ، فيقولون : يُعجبنى أن تُحسن و أن تفعل الخير ، أو يقولون : يعجبنى الإحسان لك و الفعل لك .

شأن ذلك شأن الأيات التى بُيّنت فى القرءان بعنوان تشريع الأحكام ، و يقصد بها الإتيان بتلك الأفعال فى الزمان المستقبل لوقت الخطاب ، فاستعمل فى تلك الأيات (أن المصدرية) .

مثل (**أَنْ تَصُومُوا خَيرٌ لَّكُمْ**) [١]، و (**أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَهَ**) [٢]، و (**أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَهَ**) [٣]، و (**أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوةَ**) [٤].

معنى الوحى التكوينى:

امّا فى الأية مورد البحث ، فهو لا يقول : **وَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا الْخَيْرَاتِ** ، بل يقول : انّ الافعال الخارجيّة التى تصدر منهم هى عين وحينا ، و انّا أوحينا اليهم الأفعال الخيّرة التى يعملونها ، و فى هذه الحال فانّ نفس فعلهم هو مورد الوحى . و ينبغى أن نرى ـ بناءً على هذا ـ كيف يمكن ان يكون الفعل مورد الوحى ؟ و نأتى بشاهد من القرءان الكريم لبيان هذا الأمر :

وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَأَيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ [٥].

١ـ ذيل الأية ١٨٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ مقطع من الأية ١١ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٣ـ صدر الأية ٢٦ ، من السورة ١١ : هود .

٤ـ صدر الأية ٧٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٥ـ الأية ٦٨ و ٦٩ ، من السورة ١٦ : النحل .

فـهل هـذا الوحـى الـذى أوحـاه اللَـه تعـالى للنحـل مثـل الوحـى الى قلـوب الأنبياء ؟

فالوحى يصل الى قلب النحل فى كـلّ لحظـة أن اصنعـى هـذا النـوع مـن البيوت ، و اسكنى هنا ، وقِفى على هــذه الـوردة ، ثمّ علـى تلـك الـوردة ! و لا تقفى على الوردة ذات الرائحة الكريهة ! أو انّ الأمر ليــس كذلـك ، بـل انّ اللَـه سبحانه خلق هذا الحيوان اللطيف العجيب بحيث انّــها لا تعمـل شـيئاً الاّ بـإرادة اللَه . فهذا الحيــوان المعصـوم يسـير دون أىّ تدخّـل للنفـس الأمّـارة و الأمـال الباطلة و حــبّ الشـخصيّة وفـق برنـامج معيّـن عينّـه اللَـه تعـالى لـه فى عـالم التكويـن ، و يسـير فى كـلّ لحظـة بـأمر و إذن ربّ العـالمين ، فينتقـل حســب دعوة الفطرة من هذه الـوردة الى تلـك ، و يتنـاول رحيـق الـوردة ذات الرائحـة الجيّـدة ، و يصنـع بيتــاً هندســيّاً بشــكل عجيــب فى الســقوف و الجبــال و الأشـجار . و هـذا الوحـى يُدعـى بـالوحى التكويـنى ، اى انّ اللَـه سـبحانه و تعالى ينظّــم فى عـالم التكويـن و الخـارج حركـات ذلـك الحيـوان و سـكناته دون تدخّـل أى أمـر خـارجى يُخرجـه مـــن الصــراط المســتقيم فى ســيره التكاملى ، كما يحرّكـه فى السـبل و طـرق السـعادة و الأعمـال الحسـنة حسـب برنامج الخلقة .

وحى الخيرات للأئمّة:

تقول الأية القرءانيّة المباركة : **وَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْــلَ الْخَـيْرَات** ، اى انّ جميع الأفعــال الحسـنة الـتى تظـهر عنـهم هـى بإذننـا و أمرنـا ، و انّ ملكوتهـا بيدنا ، و بالنتيجة فـانّ أعمـالهم تصـدر منـهم دون أىّ تدخـلّ للفكـر النفسـانىّ و الهوى و العُجب .

فهم لا يفكرّون و لا يفعلون بالاعتبار شـيئاً للمحافظـة علـى مصالحـهم ، و لا يقعـون فـى اعـتبارات واهـية من أجـل فعـلٍ ما ، فيفعـلوه عـلى أسـاس

مصلحةٍ خياليّة ، بل انهم اجتازوا جميع هذه المراحل ، فصارت إرادتهم إرادة اللَه ، و صار فعلهم يصدر عن ضمير طاهر بلا موارية و لا خيانة و بلا شائبة من التفكير بالمصلحة أو ملاحظة للأجر و الثواب أو تفكيرٍ بعاقبة . هؤلاء هم الذين جزاؤهم نفس فعلهم ، فليسوا فى صدد جزاء خارج عن نفس فعلهم و حقيقته .

هذا الفعل هو فعل اللَه الذى يطلع بإرادة اللَه من مرءاة وجودهم و صُقع نفوسهم ، و يظهر من مصدر تجلّى وجودهم ، و لذلك يمكن القول أنّ نفس فعلهم هو وحى اللَه . لانّ الانسان مالم تبصر عينه جمال ربّه فينسى تدريجاً مراتب وجوده و يصبح موجوداً باللَه تبارك و تعالى ، فانّه سيرى أنّ جميع أفعاله صادرة عن نفسه ، و سيقوم بها حتماً من أجل غايةٍ و هدف . لكنّه اذا تقدّم بقدم صدق فى مرحلة العبوديّة فانّه سوف يتأثّر تدريجاً بمشاهدة قدرة اللَه و علمه المطلق و بانكشاف مراحل التوحيد فى وجوده ، فيصبح لا يدرك وجوداً لنفسه بعدُ ليقوم بعمل ما لحفظه أو لاستجلاب منفعةٍ له و دفع الضرر عنه ، و سيرى نفسه خاضعاً مستسلماً بيد القدرة الالهيّة كالعجينة فى القبضة القويّة ، و سيرى وجوده سراباً اثر بزوغ شمس الحقيقة و مشاهدة الجمال المطلق و العلم و الحياة المطلقة ، فلا يمكنه أن يعمل لنفسه و لمصلحته ، و سيكون كلّ ما يصدر عنه فى هذه الحال هو عمل الحق فقط .

كما يقول سُبحانه فى الحديث القدسىّ الذى رواه الفريقان : **لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَ بَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَ لِسَانَهُ الَّذِى يَنْطِقُ بِهِ وَ يَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا** [1] .

١ـ وردت مصادر هذا الحديث فى كتاب (معاد شناسى) = معرفة المعاد ، المجلد ⇦

اى انّه لن يعدّ أذنه ملكاً له ، بل لنّ أذنه مجرىً يسمع اللَه بها ، و عينه وسيلة يرى اللَه بها ؛ و تدلّ الأية المباركة القرءانية :

وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَهَ رَمَى [1]، على هذا المقام . كما لنّ الأية المباركة : **يَدُ اللَهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** [2]، تدلّ على هذا المعنى أيضاً .

تحقّق شرائط الإمامة:

و عموماً فانّه يُستفاد من الأية المباركة : **وَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ** ، أنّ الإمام هو من توجّب عليه حقّاً اجتياز مراحل النفس و الورود فى مراحل التوحيد الحقيقى ، و مع طلوع الشمس المشرقة على العالم و ظهور ذات الحقّ المقدّسة جلّ و علا فى مرايا الكائنات و تجلّيها فى الماهيّات الإمكانية ، فانّ عليه ان لا يرى فى نفسه ظهوراً أو بروزاً ، بل عليه أن يجعل أصل وجوده مندكّاً فى وجود حضرة مفيض الوجود ، ليصبح فعله و حركته و سكونه و قيامه و قعوده و حربه و سلمه فعل اللَه .

و لو وصل امرؤ ما الى هذه المرحلة كان له قابليّة الإمامة بإذن اللَه ، و الاّ فلا ، و ذلك لأنّ الإمام يعنى مَن يهدى المأموم الى مقامه و مقصده ، فمن لم يخرج من شوائب النفس الأمّارة إذا أصبح إماماً فانّه سيدعو جميع المأمومين الى مقامه و محلّه ، أى للميول و الرغبات النفسيّة . و من الواضح انّ هذه الدعوة ليست دعوةً الى اللَه بل دعوةً للنفس . و الإمام بهذه الخاصيّة التى ذُكرت ، لأنّ فعله فعل الحقّ و قوله قول الحقّ لذا فهو حجّة ، لأنّ فعل و قول الحقّ حُجّة .

⇦ الثانى ، المجلس التاسع .

١ـ مقطع من الأية ١٧ ، من السورة ٨ : الأنفال .

٢ـ مقطع من الأية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح .

و بناءً على هذا يجب اتباعه (اى الإمام) و عدم انتقاد فعله ، لأنّ انتقاد فعل الإمام يعنى انتقاد فعل الحقّ ، و على الناقد ان يرجع الى ذاته ليجد العيب و الخلل هناك ، لأنّها نسبت ـ لجهلها و عدم معرفتها بالإمام ـ العيبَ اليه .

كما يمكن ان يكون هناك كثير من الأفراد الطيّبين ذوى الأعمال الصالحة ، لكنّهم لم يتخطّوا ذواتهم خارجاً ، لذا فانّهم لم يتعرّفوا على الإمام ، لأنّ الإمامة فى غاية الرفعة و السمّو .

ثُورة زيد بن على بن الحسين لم تكن بأمر من الإمام:

ينقل المرحوم الكلينى فى (أصول الكافى) ، كتاب الحجّة ، باسناده عن أبان عن الأحول [١]، أنّ زيد بن علىّ بن الحسين عليهما السلام بَعَث اليه و هو مستخفٍ ، قال : فأتيتُه .

فقال لى : يا أبا جعفر ما تقول إنْ طَرَقَكَ طارقٌ منّا أتخرجُ معه ؟

قال : فقلتُ له : إنْ كان أباك [الإمام علىّ بن الحسين] أو أخاك [الإمام محمّد الباقر] خرجتُ معه .

قال : فقال لى : فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معى .

قال : قلتُ لا ما أفعل جُعلتُ فداك .

قال : فقال لى : أترغب بنفسكَ عنّى ؟

قال : قلتُ له : إنّما هى نفسٌ واحدة ، فإنْ كان للَه فى الأرض حجّة فالمتخلّفُ عنك ناجٍ و الخارجُ معك هالكٌ ، و إنْ لاتكن للَه حجّة فى الأرض

١ـ هو محمّد بن النعمان ، من خواص اصحاب الامام الصادق عليه السلام ، و كان يُدعى بـ (مؤمن الطاق) لأنّه كان يمتلك دكّة تحت الطاق ، لكن أهل السنّة لقّبوه بـ (شيطان الطاق) لمهارته فى المناظرة و للعداء الذى يكنّه بعضهم لأهل البيت عليهم السلام .

فالمتخلّفُ عنك و الخارجُ معك سواء .

قال : فقال لى : يا أبا جعفر كنتُ أجلس مع أبى على الخوان فيُلقمنى البَضعةَ السمينة و يبرّد لى اللقمة الحارّة حتّى تبرد شفقةً علىّ و لم يشفق عَلِىَّ من حرّ النار إذا أخبرك بالدين و لم يُخبرنى به ؟

فقلتُ له : جُعِلْتُ فِداكَ مِنْ شفقته عليك من حرّ النار لم يُخبرك ؛ خافَ عليك أن لا تقبله فتدخل النارَ و أخبرنى أنا ، فإن قبلتُ نجوتُ و إن لم أقبل لم يُبالِ أن أدخل النّار .

ثمّ قلتُ له : جُعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء ؟ قال : بل الأنبياء .

قلتُ : يقول يعقوبُ ليوسفَ عليهما السلام : **يَابُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا** [1]، لِمَ لَمْ يُخبرهم حتّى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمهم ذلك ، فكذا أبوك كتمك لأنّه خاف عليك .

قال : فقال : أما واللَهِ لئن قُلتَ ذَلك لقد حدّثنى صاحبُك بالمدينة أنّى أُقتل و أُصلب بالكناسة و أنّ عنده لصحيفة فيها قتلى و صلبى .

فحججتُ فحدّثتُ أبا عبداللَه عليه السلام بمقالة زيد و ما قلتُ له ، فقال لى : أخذتَهُ من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوق رأسه و من تحت قدميه و لم تتركْ له مَسلكاً يسلكه [2].

لقد كان لزيد بن علىّ بن الحسين مقام شامخ ، و كان مشهوراً بالتقوى و الزهد و الغيرة و الإيثار و الإنفاق و العبادة ، و عندما استشهد تأثّر الإمام الصادق عليه السلام عليه كثيراً و بكى و ترحّم عليه ، ولكن و مع ذلك كّله فقد كان مقام الإمام شيئاً ءاخر لم يكن زيد يعرف عنه شيئاً .

١ـ صدر الأية ٥ ، من السورة ١٢ : يوسف .

٢ـ (أُصول الكافى) ، ج ١ ، ص١٧٤ .

حركة الإمام و سكونه كلاهما صحيح:

لقد نفد صبر زيـد أمـام انحـراف هشـام بـن عبدالملـك و جرائمـه ، و لم يكن له سعة صدر ليتحمّل هذه الأمور ، فقام بثورته ضـدّه ، امّـا الإمـام فانّـه لا يكـلّ أبـداً مـن التصـدّى للظلـم ، و لأنّ نفسـه لا تضيـق فانّـه لا يُقـدم علـى المواجهة الدمويّـة مـا دام ذلـك فى غـير صـالح الاسـلام و المجتمـع الاسـلامى ، و لا يتأثّر بإحساساته أو إحساسـات جلسـائه أو إلقـاءآتهم ، فـهو لا يـمتلك حسّ الانتقام ، و لا يُقدم على عملٍ لـيُرضى رغبتـه و ليشـفى غرائـزه ، بـل انّ أعمالـه كلّـها وفـق أعلـى برامـج الإنسـانيّة لهدايـة الخلـق الى أعلـى درجـة الكمال ، و فى هذه الحال فانّ حربـه و سـلمه كلاهمـا مصلحـة ، و كلاهمـا مـن فعل اللَـه تعـالى ، و حركتـه و سـكونه مـن أفعـال اللَـه أيضـاً و يجـب اتّباعـه فيهما .

و الخلاصة فانّ مقـام الإمامـة هوالالـتزام برسـالة اللَـه و هدايـة نفـوس الناس الى اللَه ، و ليس هناك من يليق بهذا المقام الاّ مـن اتّسـعت نفسـه و فـاز بعلوم اللَـه و صـار حيّـاً بحيـاة اللَـه و أفلـح فى الامتحانـات الالهيّـة و تجـاوز مراحل النفس كليّاً .

و لقد كان أميرالمؤمنين عليه السلام نفس رسـول اللَـه صلّـى اللَـه عليـه و ءاله ، و كان الرسول الأكرم يصرّح بهـذا الأمـر فى مواطـن كثـيرة ، و لم يكـن هـذا التصريـح بـالطبع مـن وجهـة نظـر الظـاهر و المجـاملات الإعتباريّـة و البلاغات العاديّة للناس ، بل كان ذلك علـى أسـاس إدراك للواقـع و الوقـوف على مراتبـه و قابليّاتـه و مقاماتـه اللامتناهيـة ، فـهى كاشـفة و مظـهرة لتلـك الواقعيّة .

و حسب تصريح الأية القرءانيّـة فى قضيّـة المُباهلـة ، فقـد عُـدّت نفـس أميـرالـمؤمنين نفسَ رسـول اللَه و اعتُبـرت بـمنـزلة نفس النبّى الأكرم ، كما قد

اعترف الفخر الرازى فى ذيل تفسير ءاية المباهلة بهذه الحقيقة .

يقول القندوزى : أخرج صاحب (المناقب) عن جعفر الصادق ، عن أبيه ، عن جدّه علىّ بن الحسين : أنّ الحسن بن علىّ (عليهم السلام) قال فى خطبته :

قال اللَه تعالى لجدّى صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم حين جحده كفرةُ أهل نجران و حاجّوه :

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَ أَبْنَآءَكُمْ وَ نِسَآءَنَا وَ نِسَآءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّعْنَتَ اللَهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ [1].

فَأَخْرَجَ جَدِّى صَلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم مَعَهُ مِنَ الأَنْفُسِ أَبِى ، وَ مِنَ البَنِينَ أَنَا وَ أَخِى الْحُسَين ، وَ مِنَ النِّسَآءِ فَاطِمَةَ أُمِّى ، فَنَحنُ أَهْلُهُ وَ لَحْمُهُ وَ دَمُهُ وَ نَفْسُهُ ، وَ نَحْنُ مِنْهُ وَ هُوَ مِنَّا .

ثم قال : و فى (عيون الأخبار) عن الريّان بن الصلت ، قال الرضا رضى اللَه عنه : **عَنَى اللَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا نَفْسَ عَلِيٍّ ، وَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم : لَتَنْتَهِيَنَّ بَنُو وليعة أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلاً كَنَفْسِى يَعْنى عَلِيَّ بنَ أَبى طالِبٍ ، فَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ لاَ يَلْحَقُهُمْ فِيهِ بَشَرٌ** .و قد تقدّم فى الباب الخامس [2].

ثم يقول : أخرج أحمد [بن حنبل] فى (المسند) عن عبداللَه بن حنطب قال : قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم لوفد ثقيف حين جاؤه . **لَتُسْلِمَنَّ أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً كَنَفْسِى لَيَضْرِبَنَّ أَعْنَاقَكُمْ ، وَ لَيَسْبِيَنَّ ذَرَارِيكُمْ وَ لَيَأْخُذَنَّ أَمْوَالَكُمْ ، فَالْتَفَتَ إِلَى عَلِيٍّ وَ أَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ : هَذَا هُوَ**

١ـ الأية ٦١ ، من السورة ٣ : ءال عمران .

٢ـ (ينابيع الـمودّة) ، ص ٥٢ و ٥٣ .

(مرّتين) [١].

و يقول أيضاً : أخرج أحمد بن حنبل فى (المسند) و فى (المناقب) : انّ رسول اللَه قال : **لَتَنتَهِيَنَّ يَا بَنِى وَلِيعة ،أَ وَ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً كَنَفْسِى يُمْضِى أَمْرِى ، يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ ، وَ يَسْبِى الذُّرِّيَّةَ ، فَالتَفَتَ إِلَى عَلِىٍّ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَ قَالَ : هُوَ هَذَا (مرّتين)** .

ثم يقول : و قد أخرج الموفّق بن أحمد الخوارزمى عين هذا الحديث بنفس الألفاظ [٢].

و ينقل أيضاً من كتاب (المشكاة) عن حبيش بن جنادة رضى اللَه عنه قال :

قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : **عَلِىٌّ مِنِّى وَ أَنَا مِن عَلِىٍّ وَ لَا يُؤَدِّى عَنِّى إِلَّا أَنَاَ أَوْ عَلِىٌّ** .

ثم يقول : روى الترمذى هذا الحديث ، و رواه أيضاً أحمد بن حنبل عن حبيش بن جنادة . و يقول الترمذى : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيح .

كما روى هذا الحديث عن ابن ماجة عن ابن جنادة [٣].

و يقول أيضاً انّه رواه فى (المشكاة) عن عمران بن حصين رضى اللَه عنه قال :

انّ النبىّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم قال : **إِنَّ عَلِيّاً مِنِّى وَ أَنَا مِنْهُ وَ هُوَ وَلِىُّ كُلِّ مُؤمِنٍ بَعْدِى** .رواه الترمذى [٤].

و يقول الحموينى فى (فرائد السمطين) باسناده عن علىّ كرّم اللَه وجهه قال: **أُهْدِىَ إِلَى رَسُولِ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم قَنْوُ مَوزٍ،**

---

١ و ٢ ـ (ينابيع المودّة) ، ص٥٣ .

٣ و ٤ ـ (ينابيع المودّة) ، ص٥٤ .

فَجَعَلَ یَقشرُ الموزَ بیده وَ یَجْعَلُها فِی فَمِی ، فقالَ قَائلٌ : یَا رسـولَ اللَـهِ ! إنَّکَ تُحِبُّ عَلِیّاً !

قالَ : أَوَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِیّاً مِنِّی وَ أَنَا مِنْ عَلِیٍّ [1].

و یقول أیضاً : روی أحمد بن حنبل فی مسـنده عـن حبیـش بـن جنـادة السلولی قال : سمعتُ رسول اللَه صلّی اللَه علیه [و ءالـه] و سـلّم یقـول : **عَلِـیٌّ مِنِّی وَ أَنَا مِنهُ وَ لاَ یُوَدِّی عَنِّی إلَّا أَنَا أَو عَلِیٌّ** [2].

و یقول أیضاً : فی کتاب (المناقب) ، عن عطیّـة بـن سـعد العـوفی ، عـن مخدوج بن یزید الذهلی قال : **نَزَلَتْ ءایَةُ (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)**

فَقُلْنَا : یَا رَسُولَ اللَهِ ! مَنْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ؟

قال : مَنْ أَطَاعَنی ، وَ اَلَی عَلِیّاً مِنْ بَعْدِی ، وَ أَخَذَ رَسُولُ اللَهِ صلّی اللَه علیه [و ءاله] و سلّم بِکَفِّ عَلِیّ فقالَ : إنَّ عَلِیّاً مِنِّی ، وَ أَنَا مِنْهُ ، فَمَـنْ حَادَّهُ فَقَدْ حَادَّنی ، وَ مَنْ حَادَّنی أَسْخَطَ اللَهَ عَزَّوَجَلَّ .

ثُمَّ قالَ : یَا عَلِیُّ ! حَرْبُکَ حَربی ، وَ سَلمُکَ سِلْمِی ، وَ أَنْـتَ الْعَلَـمُ بَینی وَ بَیْنَ أُمَّتِی .

قالَ عَطِیَّهُ : سَأَلْتُ زَیْدَ بنَ أَرقَم عَنْ حدیثِ مخدوجٍ قالَ : أُشْهِدُ اللَهَ لَقَدْ حَدَّثَنَا بِهِ رَسُولُ اللَهِ [3].

الخصال الموجودة فی أمیرالمؤمنین:

و یقول القندوزی أیضاً : و فی (المنـاقب) عـن جـابربن عبداللَـه رضـی اللَه عنهما قال : لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ صلّی اللَهُ علیه [و ءاله] یقول :

فِی عَلِیٍّ خِصَالٌ لَوْ کَانَت واَحِدَةٌ مِنْهَا فِی رَجُلٍ اکـتَفِی بِهَـا فَـضْلاً

۱ـ (ینابیع الـمودّة) ، ص٥٤ .

۲ و۳ـ (ینابیع الـمودّة) ص ٥٤ و ٥٥ .

وَشَرَفاً .

قوله صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : مَن كُنْتُ مَولاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَه .

و قوله : عَلِيٌّ مِنِّى كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى .

و قوله : عَلِيٌّ مِنِّى وَ أَنَا مِنْهُ .

و قوله : عَلِيٌّ مِنِّى كَنَفْسِى ، طَاعَتُهُ طَاعَتِى ، وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِى .

و قوله : حَرْبُ عَلِيٍّ حَرْبُ اللَهُ ، وَ سَلْمُ عَلِيٍّ سِلْمُ اللَهُ .

و قوله : وَلِيُّ عَلِيٍّ وَلِيُّ اللَهِ وَ عَدُوُّ عَلِيٍّ عَدُوُّ اللَهِ .

و قوله : عَلِيٌّ حُجَّةُ اللَهِ عَلَى عِبَاده .

و قوله : حُبُّ عَلِيٍّ إيـمَانٌ وَ بُغْضُهُ كُفْرٌ .

و قوله : حِزْبُ عَلِيٍّ حِزبُ اللَهِ ، وَ حِزْبُ أَعْدَائِهِ حِزْبُ الشَّيْطَانِ .

و قوله : عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَهُ لاَ يَفْتِرِقَانِ .

و قوله : عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ .

و قوله : مَنْ فَارَقَ عَلِيّاً فَقَدْ فَارَقَنى ، وَ مَنْ فَارَقَنى فَارَقَ اللَهَ .

و قوله صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : شِيعَةُ عَلِيٍّ هُمُ الْفَائِزُونَ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ .

و يُستفاد من مجموع هذه الروايات انّ رسـول اللَـه قـد جعـل علـىّ بـن أبى طالب أميرالمؤمنين عليه السـلام فى بيتـه و حرمـه حـرم اللَـه ، مـن وجهـة الباطن و المعـارف الالهيّـة ، و الاطّـلاع علـى الأسـرار الغيبيّـة ، و مـن وجهـة الظاهر ، و كانا دائماً فى السرّ و الشهادة و الظـاهر و الخفـاء نفسـين تشـعّبا مـن أصل واحد ، و خاصةً فى تلك الفقرة مـن الروايـة حيـث قـال : **لاَ يُـؤَدِّى عَنِّـى إِلَّا أَنَاأَ وَ عَلِيٌّ** و المقصود هو انّ أحداً لا يسـتطيع حمـل ثقـل الرسـالة و هدايـة النـاس الى اللَـه مـن وجهـة الظـاهر و البـاطن ، أى بالسـيطرة علـى أنفسـهم و ملكوتهم ، الاّ أنا أو عـلىّ ، و بناءً على ذلـك فـانّه كان عـليه السـلام شـريكاً

لرسول اللّه فی جمیع المقامات و الدرجات ، و فی نفس الدرجة ، و هی مقام الحمد و حمل لواء الحمد ، و وفقاً للعدید من الروایات فانّ ذلك اللواء بید أمیرالمؤمنین ، ای انّ أحداً لم یعرف اللّه کما عرفه أمیرالمؤمنین ، لذا فانّ أحداً غیره علیه السلام لم یستطع حمد اللّه کما یلیق بذلك المقام العالی الرفیع ، کما انّ مقام الشفاعة یوم القیامة فی یده علیه السلام و ید ذریّة رسول اللّه .

لقد نقلنا فی المباحث السابقة بعضاً من مقامات أمیرالمؤمنین ، مثل کونه قسیم الجنّة و النار ، و إعطائه الجواز علی الصراط ، و کونه ساقی الکوثر ؛ و ذکرنا أیضاً مقام الشفاعة و میزان العمل .

و یجب ان نعلم انّ اتّصافه علیه السلام بهذه الصفات لا ینافی قدرة اللّه تعالی ، بل هو عین الصفات التی فی اللّه سبحانه ، لم تنسلخ عنه سبحانه حین أُعطیت لأمیرالمؤمین ففقد اللّه سبحانه قدرته ، بل هی عین صفات اللّه التی تظهر فیه علیه السلام فی امتلاکه الولایة الکبری ، بل انّ نفس الولایة هی عین تجلّیات و ظهورات حضرة الحقّ .

و علیه فانّ کلّ موجود راجع الی اللّه وحده ، و ما هو موجود فی مقام الولایة ، انّما هو الاحتیاج و الفاقة المحضة الی الذات المقدّسة ، کما هو الأمر فی هذا العالم المادی حیث الموجودات مقدّرة و محدودة قُسّم بینها العلم و القدرة فاکتسب کلّ موجود منها حسب حاله و سعته ، لکنّ هذا التقسیم لا یتنافی مع وجود منبع العلم و القدرة و الحیاة فی اللّه ، و لیس من مقسِّم أحد غیر اللّه تعالی .

کما انّ ظهورات التقسیم فی أیّ مرحلة هی نفس ظهورات اللّه ، و کذلك الأمر فی عالم العقل و الملکوت ، فانّ المقسّم هو اللّه ، لا تخرج الاستفادة و التقسیم عن صفاته و أسمائه ، لذا فانّ مقام الولایة و هو

تقسيم المعارف و العلوم و الحياة على القلوب هو نفسه عمل اللَه تعالى وحده :

وَ مَا تَشَآءُونَ إِلَّاأَن يَشَآءَ اللَهُ [١].

و على هذا فانّ أحداً لن يشاهد فى القيامة التى هى عالم الظهور و البروز ، غير قدرة اللَه و عظمته و حياته ، و ستكون جميع الموجودات ازاء ذاته المقدّسه صفراً و عدماً .

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ [٢].

وَ بَرَزُوا لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّار [٣].

وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَأَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا [٤].

و عموماً فانّ جميع أسماء و صفات اللَه التى حُصرت فى القرءان الكريم ، مثل : **إِنَّ اللَهَ هُوَ الرَّزَّاقُذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** [٥].

و فَلِلهِ الْحَمْدُ [٦].

و جميع درجات و مراتب الحمد و التمجيد (من أى موجود الى أىّ موجود) مختصّة بذات اللَه .

اللَهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ [٧].

هَوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ [٨].

١ـ صدر الأية ٣٠ ، من السورة ٧٦ : الإنسان .

٢ـ صدر الأية ١٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٣ـ ذيل الأية ٤٨ ، من السورة ١٤ : ابراهيم .

٤ـ ذيل الأية ١٦٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٥ـ الأية ٥٨ ، من السورة ٥١ : الذاريات .

٦ـ صدر الأية ٣٦ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

٧ـ صدر الأية ٢٥٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٨ـ صدر الأية ٢٥٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [1].

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [2].

و ستظهر فى ذلك العالم ، و سيكون انحصارها بذات الحقّ المقدّسة مشهوداً .

انّ مقام الولاية هو نفس تلك الصفات والأسماء لا غيرها ، و لذلك فانّ ظهور تلك الصفات و الأسماء يُدعى بالولاية لا غيرها . و الحمد للَه ربّ العالمين و صلّى اللَه على محمّد و ءاله الطاهرين .

١ـ ذيل الأية ١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢ـ ذيل الأية ٦ ، من السورة ٤٤ : الدخان .

الدرس الثاني عشر

الهداية إلى الحق تلزم العصمة

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّى إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [1].

يُعلّم اللَه سبحانه رسول فى هذه الأية المباركة كيفيّة محاججة المشركين ، و كيف يُثبت لهم أنّ شركاء اللَه لا يستحقّون الحمد و الاتّباع ، و أساس هذا الاحتجاج قائم على لزوم اتّباع الصدق و الإعراض عن غير الحق .

و هذا الاحتجاج احتجاجٌ عقلىّ لأنّه يستند الى أصل عام و كلّى ، و هو لزوم الاتّباع الدائم للحقّ ، و لذلك فانّه أفضل دليل للزوم اتباع الامام المعصوم . وعلينا ـ من أجل الورود فى أصل الاحتجاج ـ أن نبيّن ذلك المبنى كمقدّمة للبحث .

لزوم اتّباع الحقّ :

انّ أحد الأحكام الفطريّة و العقليّة للإنسان ، هو لزوم اتّباع الحقّ ،

١ـ ذيل الأية ٣٥ ، من السورة ١٠ : يونس .

وهذا الحكم قانون عام يستند عليه الإنسان دائماً ، و اذا ما انحرف عنه أحياناً فى أعماله و أقواله فمال الى غير الحقّ بسبب هوى نفسه أو شبهة أو خطأ قد يبدر منه ، فانّه سيكون بسبب ظنّه أنّه حقّ ، و لقد تبع غير الحق لالتباس الأمر عليه ، فانّه يجد نفسه معذوراً حيث يحسب أنّه على حق .

و على هذا فانّ الحقّ واجب الاتّباع بدون أىّ قيد أو شرط ، و يتفرّع عن هذا الأصل قاعدة اخرى ، هى انّ الذى يهدى الى الحقّ يجب اتّباعه لأنّه مع الحقّ و دالّ على الحقّ ، و بناءً على هذا يجب تقديمه فى الاتّباع على الأخر الذى لا يدلّ على الحقّ أو الذى يدلّ على غير الحقّ ، لأنّ اتّباع الهادى الى الحقّ هو اتّباعٌ للحقّ الموجود معه .

و قد ذكرنا ءانفاً انّ اتّباع ذات الحقّ حكم ضرورى فطرىّ عقلى ، و على هذا الأساس أقام القرءان الكريم استدلاله ضدّ المشركين فى هذه الأية المباركة ، فهو يسألهم أوّلاً باستفهام : **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مَّن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ** [١].

و من الجلىّ انّ المشركين ليس لديهم جواب إيجابىّ فى هذا المجال ، لأن الشركاء الذين يجعلونهم للّه إمّا من الجمادات مثل الأصنام ، أو من الأحياء مثل الملائكة و أرباب الأنواع و الجنّ و طواغيت الزمان و الفراعنة و حكّام الجور الذين يتابعونهم ، و من الواضح انّ أيّاً منهم لا يهدى الى الحقّ ، لأنّهم لا يملكون لأنفسهم ضرّاً و لا نفعاً و لا موتاً و لا حياةً و لا نشوراً . و لأنّهم ليس لديهم جواب ايجابىّ ، فانّ اللّه جعل على لسان نبيه ان يُجيبهم فوراً جواباً ابتدعه بنفسه فيقول : **قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ** . اللّه هو الهادى الى الحقّ ، يهدى كلّ موجود فى مقاصده التكوينيّة الى ما يحتاجه ،

١ـ صدر الأية ٣٥ ، من السورة ١٠ : يونس .

و هو الذى يرسل اليه ما يحتاجه ،كما فى قوله تعالى :

رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى[1].

فعندما سأل فرعونُ هارونَ و موسى : من ربّكما ؟ قالا : ربّنا الذى أعطى كلّ موجود فى عالم الخلق احتياجاته الوجودية و خلقه تامّ الخلقة ، ثم هداه الى كماله . و مثل قوله : **الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى * وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى**[2].

فانّ اللَه هو الذى خلق ثم لحظ فى الخلقة التعادل و التناسب من جميع الجهات ، و هو الذى خلق كلّ موجود فى العالم بقدر و حدّ معين ، ثم يسيّره فى طريق الكمال . و بناءً على هذا فانّ اللَه هو الذى هدى الإنسان الى سعادة الدنيا ، و دعاه الى الجنّة و السعادة المطلقة بإرساله للأنبياء و الكتب السماويّة و الأحكام الالهيّة .

لزوم اتّباع الامام المعصوم مبنى على أصل لزوم اتّباع الحقّ:

و على كلّ حال ، فانّ رسول اللَه لـمّا انتزع فى مقام الاحتجاج اعترافيْن من المشركين ،

الأوّل : أنْ ليس من شركائهم من يهدى الى الحقّ .

و الثانى : أنّ اللَه هو وحده الهادى الى الحقّ .

فانّه يرى لزاماً و واجباً أن يسأل هذا السؤال :

أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّى إِلَّا أَن يُهْدَى ؟

و من الواضح انّ جواب هذا السؤال هو ان يقولوا انّ اللَه الذى يهدى الى الحقّ أحقّ أن يُتّبع ، بيد ان الكفّار و المشركين لا يلتزمون عمليّاً بهذا المنطق ، و يعبدون الشُركاء الذين لا يهدون الى الحقّ ، و يُعرضون عن

١ـ الأية ٥٠ ، من السورة ٢٠ : طه .

٢ـ الأية ٢ و ٣ ، من السورة ٨٧ : الأعلى .

عبادة اللَه الذى لا شريك له و الذى يهدى الى الحــقّ ، و بذلـك يجعلـون حُجبـاً على القوى الفطريّــة و الأحكـام العقليّـة ، و يتعـاملون خـلاف نـاموس الفطـرة و العقل . لذا فانّ النبىّ يُخاطبهم من باب التوبيخ و اللوم :

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟

و ينبغى إعمال دقّة النظر عنـد المقابلـة بـين جملـة **أَفَمَـنْ يَـهْدِى إِلَـى الْحَقِّ** و بين جملة **أَمَّنْ لاَّ يَهِدِّى إِلَّـاأَن يُـهْدَى** ، لـنرى كيـف جُعلـت هاتـان الجملتان عِدْلاً لبعضهما ؟

لأنّ من الواضح لأنّ السائل بطريق الاستفهام ينبغــى أن ينفـى طرفـاً مـن الجملة ، كأن يقول : **أَرَأَيْتَ زيداً أم لا ؟ أَدَرَسَ حَسنٌ أَمْ لَمْ يَدْرُس ؟**

أمّا اذا استفهم مثلاً : أيــدرس حسـن أم انّـه مغـرورٌ بنفسـه ؟ فـانّ مـن اللازم ، من أجل أن تكون هــذه المعادلـة الاسـتفهاميّة صحيحـة ، أن يُقـال : انّ المغرور بنفسه لا يدرس .

و بناءً على ذلك فانّ هنــاك جملـة منطويـة و ضمنيّـة فى جملـة (مغـرور بنفسه) ، و هى (لا يدرس) .

و كذلـك الأمـر فى هـذا الجـانب ، أى جملـة (مغـرور بنفسـه) و الــتى سـيكون عِدلهـا جملـة (ليــس مغــروراً بنفســه) ؛ و لأن الجملــة الســابقة الاستفهاميّة تحوى جملة (يـدرس) بـدلاً مـن جملـة (ليـس مغـروراً بنفسـه) ، لذا يجب القول لانّ جملــة (ليـس مغـروراً بنفسـه) منطويـة و متضّمنـة فى هـذه الجملة . و تكون النتيجة (حسن ليــس مغـروراً بنفسـه و يـدرس) أو (حسـن مغرور بنفسه و لا يدرس) .

يــجب أن يكون طرفا الـجملة فى الاستـفهام نفـياً و اثبـاتاً :

يدرس	**حسن**	**مغرور بنفسه**
ليس مغروراً بنفسه	**أو**	**لا يدرس**

و لم يكن فى الأية المباركة أيضاً طرفى الجملة الاستفهاميّة (النفى و الاثبات) لكى تنتفى الحاجة الى جملة ضمنيّة أُخرى (لأن يَهدِّى كان فى الاصل يهتدى ، و القاعدة فى باب الافتعال جواز إدغام تاء الافتعال فى عين الفعل بعد قلبه الى عين الفعل) و تكون نتيجة المعنى : هل انّ الذى يهدى الى الحقّ أحقّ أن يُتّبع ، أم الذى لا يهتدى بنفسه الّا بهداية الغير ؟ لأن جملة (يهدى الى الحقّ) عدلها جملة (لا يهدى الى الحقّ) .

لذا يُستفاد من ذلك انّ الذى لا يهتدى الاّ بهداية الغير لا يهدى الى الحقّ ؛ و كذلك فلأنّ جملة (مَن لاَ يَهدِّى إلاَّأَن يُهْدَى) سيكون عدلها (من يهتدى بنفسه) ، لذا يُستفاد انّ الذى يهدى الى الحقّ هو الذى يهتدى بنفسه و بذاته لا بهداية الغير .

من يهدى الى الحقّ من لا يهدّى (يهتدى) الاّ أن يُهدى أحقّ أن يُتّبع

من يهتدى بنفسه من لا يهدى الى الحقّ

و لذلك فانّه يستفاد من هذه الأية جيّدًا انّه يجدر بالإنسان أن يتّبع من يهدى الى الحقّ ، و هو بالطبع من يهتدى بنفسه لا بهداية غيره ، و ذلك هو الإمام المعصوم الذى لا يعبد غير اللَه فى أىّ لحظة ، و لا يصدر منه أىّ معصية ، و مثل هذا الإنسان قد اهتدى على يداللَه نفسه دون تدخّل واسطةٍ ما ؛ أمّا من عَبَدَ غيراللَه مدّةً ، أو من صدرت منه معصية مهما تنبّه و اهتدى فعلاً على يد الغير فصار عابداً للَه و عادلاً ، لكنّه غير لائق لمقام الإمامة و لا للاتّباع .

و يجب أن نعلم بالطبع انّ كلمة (أحقّ) فى الأية الشريفة ، و هى من أدوات التفضيل و الدالّة على رجحان متابعة الحقّ لا لزومه ، مبنيّة على قواعد فنّ المناظرة و المباحثة لتحريك عصبيّة الطرف المقابل ، و الاّ فانّ

من الجلىّ لنّ تبعيّة غير الحقّ غير جائزة كليّاً ، و لنّ اتّباع الحقّ لازم و واجب فى كلّ الأحوال ، و بالنتيجة فانّ اتّباع الإمام المعصوم واجب ، و اتّباع الإمام غير المعصوم حرام .

هذه هى احدى الطرق الاستدلاليّة التى احتجّ بها كبار علماء الشريعة فى لزوم اتّباع الإمام المعصوم ، و نقلوا تبعاً للروايات المتواترة عن رسول اللَه : أنّ أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام لم يعبد صنماً ءانا واحداً و لم يرتكب معصية و لو للحظةٍ واحدة ، و لا مكان للشكّ فى انّه تربّى فى حضن رسول اللَه ، و كان أوّل شخص ءامن بالرسول و هو صبىّ لم يبلغ الحلم .

نُقل فى (الأمالى) للشيخ الطوسى مسنداً ، و كذلك فى (المناقب) لابن المغازلى مرفوعاً عن ابن مسعود عن النبىّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] وسلّم فى الأية : **[لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمينَ] عن قول اللَه لابراهيم : مَن سَجَدَ لِصَنَمٍ دُونى لَا أَجْعَلُهُ إمَامًا ـ قال عليه السّلام : وَ انْتَهَت الدَّعْوَةُ إلَىَّ وَ إلَى أَخِىَّ عَلِىٍّ ، لَمْ يَسْجُدْ أَحَدُنَا لِصَنَمٍ قَطُّ** [١] .

عَلِىٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِىٍّ :

يروى السيّد هاشم البحرانى [٢] خمس عشرة رواية عن طريق العامّة واحدى عشرة رواية عن طريق الخاصّة فى لنّ عليّاً مع الحقّ و الحقّ مع علىّ ، و فى انّه قال صلّى اللَه عليه و ءاله فى شأنه : اللهم أدر الحقّ معه حيثما دار ، و فى لزوم متابعته و الإقتداء بسيرته ، و نذكر هنا باختصار و بحذف السند الروايات التى نقلت عن العامّة مع احدى الروايات التى نقلت عن

١ـ (تفسير الميزان) ، ج ١ ، ص٢٨٢ .

٢ـ (غاية المرام) ، ص ٥٣٩ و ص ٥٤٠ .

طريق الخاصّة .

١ـ يروى ابراهيم بن محمد الحموينى ، و هو أحد علماء العامّة ، و

٢ـ الموفّق بن أحمد الخوارزمى باسنادهما المتّصل عن شهر بن حوشب ؛ و

٣ـ الزمخشرى فى (ربيع الأبرار) مُرسلاً [١] ، قال شهر بن حوشب : كنتُ عند أمّ سلمة رضى اللَه عنها ، إذ استأذن رجل فقالت له : من أنت ؟

قال : أنا أبو ثابت مولى علىّ عليه السلام .

فقالت أمّ سلمة : مرحباً بك يا أبا ثابت أُدخل ، فدخل و رحّبت به .

ثم قالت : يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها ؟

قال : تَبَع علىٍّ عليه السلام .

فقالت : وُفّقتَ و الذى نفسى بيده ؛ لقد سمعتُ رسول اللَه صلى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم يقول : علىٌّ مع الحقّ و القرءان ، و الحقّ و القرءان مع علىّ ، و لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض . [٢و٣]

و ورد فى رواية الموفّق بن أحمد الخوارزمى أنّ أبا ثابت قال : مولى أبى ذر ، ثم يقول بعد بيان حديث أمّ سلمة : **وَ لَقَدْ بَعَثْتُ ابْنِى عُمَرَ ،و اَبْنَ أُخِى عَبْدِاللَه بْنِ أَبِى أُمَيَّه ، وَ أَمَرْتُهُمَا أَنْ يُقَاتِلاَ مَعَ عَلِىٍّ مَنْ قَاتَلَهُ ، وَ لَو لَا أَنَّ رَسُولَ اللَهِ أَمَرَنَا أَنْ نَقِرَّ فِى حِجَالِنَا وَ فِى بُيُوتِنَا لَخَرَجتُ وَ كُنتُ حَتَّى أَقِفَ فِى صَفِّ عِلِىٍّ .**

١ـ يقول الزمخشرى : استأذن أبو ثابت مولى علىّ ... الخ .

٢ـ و ينقل هذه الروايات الثلاثة فى (ينابيع المودّة) ، ص ٩٠ بأدنى اختلاف فى اللفظ .

٣ـ يروى (ينابيع المودّة) ص ٩٠ عن جمع الفوائد معيّة علىّ للقرءان و عدم افتراقهما حتّى يردا الحوض ثم يقول : للأوسط و الصغير .

٤ـ يروى الحموينى باسناده المتّصل عن أبى حيّان التميمى ، عن أبيه ، عن علىّ عليه السلام .

٥ ـ فى كتاب (الجمع بين الصحاح الستّة) تأليف رزين إمام الحرمين ، عن (صحيح البخارى) ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام .

٦ ـ من الجزء الأول من كتاب (الفردوس) ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام .

٧ ـ يروى الموفّق بن أحمد الخوارزمى باسناده المتّصل عن أبى الحباب التيمى ، عن أبيه ، عن علىّ عليه السلام قال : **قالَ رَسُولُ اللَهِ : رَحِمَ اللَهُ عَلِيّاً ، اللَهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ** . و يقول الخوارزمى : أخرجه أبو عيسى الترمذى فى جوامعه .

٨ ـ يروى الحموينى باسناده المتّصل عن أخى دعبل الخزاعى ، عن هارون الرشيد ، عن الأزرق بن قيس ، عن عبداللَه بن عبّاس **قال : قالَ رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : الْحَقُّ مَعَ عَلِىٍّ بنِ أَبِى طَالِبٍ حَيْثُ دَارَ** [١] .

٩ ـ عن كتاب (فضائل الصحابة) باسناده المتّصل عن الأصبغ بن نباته ، عن محمد بن أبى بكر ، عن عائشة قالت : سمعتُ رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم يقول : **عَلِىٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِىٍّ ، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَىَّ الْحَوْضَ** .

١٠ـ الموفّق بن أحمد الخوارزمى باسناده المتّصل عن شريك ، عن سليمان الأعمش ، عن ابراهيم ، عن علقمة و الأسود قالا : **سَمِعْنَا أَبَا أَيّوب الأنصارى قال : سَمِعتُ النبىَّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم يقولُ لِعَمَّار**

١ـ و يذكر هذه الرواية أيضاً فى (ينابيع المودّة) ، ص٩١ .

بن يَاسِر : تَقْتُلُکَ الْفِئَةُ البَاغِيَة وَ أَنْتَ مَعَ الْحَقُّو اَلْحَقُّ مَعَکَ يَا عَمَّـارُ ، إذَا رَأَيتَ عَلِيًّا سَلَکَو اَديًا وَ سَلَکَ النَّاسُو اَديًا غَيْرَهُ : فَاسْلُک مَـعَ عَلِـيٍّ وَدَعِ النَّاسَ ، إنَّهُ لَنْ يَدُلُّکَ عَلَى رَدَىً ، وَ لَنْ يُخْرِجُکَ عَنْ الـهُدَى .

يَا عَمَّارُ إنَّهُ مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفَاً أَعَانَ بِهِ عَلِيًّا عَلَى عَدُوِّه ، قَلَّدَهُ اللَـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ وُشَاحًا مِن دُرٍّ ، وَ مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفًا أَعَانَ بِهِ عَدُوَّ عَلِيٍّ قَلَّدَهُ اللَـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ وَ شَاحًا مِن نَار . قالَ : قُلْتُ : حَسْبُکَ .

لقاء علقمة و الأسود عند أبى أيّـوب الأنصـارى و المذاكـرة فـى خلافة علىّ عليه السلام :

١١ـ يـروى ابراهيـم بـن محمّـد الحمويـنى باسـناده المتّصـل عـن الأعمش ، عن ابراهيم ، عن علقمة و الأسـود قـال : **قـالا : أَتَيْنَـا أَبَـا أَيّـوبَ الأَنْصَارِىَّ وَ قُلْنَا لَهُ:يَا أَبَا أَيُّوب! إنَّ اللَهَ تبارَکَ وتعالي أَكْرَمَ نَبِيَّهُ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم وَ صَفَا لَکَ فَضيلةً مِنَ اللَهِ فَضَّلَـکَ بِـهَا ! أَخْبِرْنَـا بِمَخْرِجِکَ مَعَ عَلِيٍّ عليه السّلامُ تُقَاتِلُ أَهْلَ لاَ إلَهَ إلَّا اللَهُ ! (يقصدان حربه مع أصحاب معاوية المسلمين ظاهراً) .**

فقال (أبو أيّوب) : أُقسِمُ لَكُمَا بِاللَهِ ، لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَه صلّى اللَـه عليه [و ءاله] وسلّمفِى هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَنْتُمَا فِيهِ مَعِى ، وَ مَا فِى الْبَيْتِ غَـيْرُ رَسُول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم و عَلِيٌّ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِـهِ وَ أَنَـا جَالِسٌ عَن يساره،وَ أَنَسٌ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ،إذ حرَّکَ البابَ ، فَقالَ رسولُ اللَه صلّى اللَه عليه [و اله] و سلّم : إفْتَح لِعَمَّار الطَيِّب الْمُطَيَّب .

فَفَتَحَ النَّاسُ [١] البَابَ وَ دَخَلَ عَمَّار ، فَسَلَّمَ عَلَى رَسُول اللَهِ فَرَحَّبَ بِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ لِعَمَّارٍ، إنَّهُ سَيَكُونُ فِى أُمَّتِـى بَعدِى هُنَاة ، حَتّى يَخْتَلِفَ السَّيفُ

١ـ الظّاهر انّه (أنس) .

فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَ حَتَّى يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الأَصْلَعِ عَنْ يَمِينِى ، يَعنى عَلِيَّ بْنَ أَبى طالب .

فَإن سَلَكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَادِيًا وَ سَلَكَ عَلِيٌّ وَادِيًا ، فَاسْلُك وَادِىَ عَلِىٍّ عليه السّلامُ وَ خَلِّ عَنِ النَّاسِ . يَا عَمَّارُ ! إنَّ عَلِيّاً لاَ يَرُدُّكَ عَنْ هُدًى وَ لَا يَدُلُّكَ عَلَى رَدًى . يَا عَمَّارُ ! طَاعَةُ عَلِىٍّ طَاعَتِى ، وَ طَاعَتِى طَاعَةُ اللَه عَزَّوَجَلَّ .

١٢ـ الموفّق بن أحمد الخوارزمى ، باسناده المتّصل عن أبى ليلى قال :

قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : سَتَكُونُ مِنْ بَعْدِى فِتْنَةٌ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْزَمُوا عَلِيَّ بنَ أَبى طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ الْفَارُوقُ الأَكْبَرُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ [1].

١٣ ـ الحموينى بإسناده عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حُذيفة قال :

قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : عَلِيٌّ طَاعَتُهُ طَاعَتِى وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِى .

١٤ ـ عن كتاب (الفردوس) بإسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : **تَفْتَرِقُ أُمَّتِى فِرقَتَينِ ، فَيَمْرُقُ بَيْنَهُمَا فِرقَةٌ مَارِقَةٌ ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ .**

١ـ روى هذه الرواية فى (ينابيع المودّة) ، ص ٨٢ عن (الإصابة) بأدنى تغيير ، و يقول : و فى كتاب (الإصابة) ، أبو ليلى الغفارى قال : سمعتُ رسول اللَه صلّى اللَه عليه [وءاله] وسلّم يقول : تكون من بعدى فتنة ، فاذا كان ذلك فالزموا علىّ بن أبى طالب ، فانّه أوّل من ءامن بى ، و أوّل من يصافحنى يوم القيمة ، و هو الصدّيق الأكبر ، و هو فاروق هذه الأمّة ، و هو يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب المنافقين .

١٥ـ يـروى عـامر الشـعبى ، و هـو مـن النواصـب و المنحرفـين عـن أميرالمؤمنين ، عن عروة بن الزبير ، عن أبى بكـر قـال : **سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَـهِ يَقُولُ : اَلْحَقُّ مَعَ عَلِىٍّ وَ عَلِىٌّ مَعَ الْحَقِّ .**

كانت هذه هـى الروايـات الـتى ذُكـرت فى (غايـة المـرام) عـن طريـق أهل السنّة ، و لقد نُقلتْ احدى عشرة رواية عن طريـق الشـيعة ، نكتفـى بذكـر إحداها :

عيادة عطا لعبداللَه بن عبّاس و التذاكر فى خلافـة علـى بـن أبـى طالب عليه السلام:

ينقل ابن بابويه باسـناده المتّصـل عـن عبدالحميـد الأعـرج ، عـن عطـا قال :

دخلنا على عبداللَه بـن العبّـاس و هـو عليـل بالطـائف و قـد ضعـف ، فسلّمنا عليه و جلسنا ، فقال لى : يا عطا ، مَن القوم ؟

فقلت : يا سيّدى شيوخ هذا البلد ، منهم عبداللَـه بـن سـلمة بـن هـرم ، و عمارة بن الأجلح ، و ثابت بن مالك ، فمازلتُ أذكر له واحداً بعـد واحـد ، ثمّ تقدّموا اليه و قالوا : يابن عمّ رسول اللَه ! انّـك رأيـتَ رسـول اللَـه صلّـى اللَـه عليه و ءاله و سمعتُ منه ما سمعتَ ، فأخبرنـا عـن اختـلاف هـذه الأمّـة ، فقـومٌ قدّموا عليّاً على غيره ، و قومٌ جعلوه بعد ثلاثة !

قالَ : فَتَنَفَّسَ ابنُ عَبَّاس فقال : سَمِعْتُ رسولَ اللَهِ صلّى اللَـه عليـه و ءاله يقول:عَلِىٌّ مَعَ الْحَقِّوَالْحَقُّ مَعَ عَلِىٍّ ، وَ هُوَ الإمَامُ و الْخَلِيفَةُ بَعْـدِى ، فَمَنْ تَمَسَّکَ بِهِ فَازَ وَ نَجَا ، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَ ضَلَّ وَ غَوَى ، يَلِـى تَكْفِينـى وَ غَسلِى وَ يَقْضِى دَينى وَ أَبُو سِبْطَىَّ الْحَسَـنِ وَ الْحُسَـيْنِ ، وَ مِـنْ صُلْـبِ الْحُسَينِ تَخْرُجُ الأئِمَّةُ التِّسعَةُ ، وَ مِنَّا مَهدِىُّ هَذِهِ الأمَّةِ .

فقـال له عـبداللَه بن سلمة الـحضرمى : يا بن عـمّ رسـول اللَه صلّى اللَه

عليه و ءاله ، فهل لا كنت تعرفنا قبلُ ؟!

فقال : قد و اللَهِ أدّيتُ ما سمعتُ **وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** .

ثُمَّ قال : اتَّقُوا اللَهَ عِبَادَ اللَهِ تَقِيَّةَ مَن اعْتَبَرَ تَمْهِيدًا،وَ أَبْقَى فِى وَجَلٍ ، وَ كَمَشَ فِى مَهَلٍ ، وَ رَغِبَ فِى طَلَبٍ ، وَ هَرَبَ فِى هَرَبٍ ، فَاعْمَلُوا لِآخِرَتِكُمْ قَبْلَ حُلُولِ ءاجَالِكُمْ ، وَ تَمَسَّكُوا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّكُمْ ، فَإِنِىّ سَمِعْتُهُ صلّى اللَه عليه و ءاله و سلّم يَقُولُ : مَن تَمَسَّكَ بِعِتْرَتِى مِنْ بَعْدِى كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ .

ثمّ بكى بكاءً شديداً ، فقال له القوم : أتبكى و مكانك من رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله مكانك ؟!

فقال ل: يا عطا انّما أبكى لخصلتين **لِهَولِ المُطّلَعِ و فِرَاقِ الأَحِبَّةِ** .

ثم تفرّق القوم فقال : يا عطا خُذ بيدى واحملنى الى صحن الدار ، فأخذنا بيده أنا و سعيد و حملناه الى صحن الدار ، ثمّ رفع يديه الى السماء وقال : **اللَهُمَّ إِنِّى أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَ ءَالِ مُحَمَّدٍ اللَهُمَّ إِنِّى أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِوِلاَيَةِ الشَّيخِ عَلِىِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ، فَصَبَرنَا عَلَيهِ سَاعَةً ثُمَّ أَقَمْنَاهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ رحمة اللَهِ عليه** [1].

سبب مخالفة المعاندين لخلافة أميرالمؤمنين:

و على كلّ حال ، فلو سأل سائل : كيف حصل ـ مع وجود هذه النصوص الصريحة الواصلة عن رسول اللَه ، و التى نقل الكثير منها الخلفاء الثلاثة و عائشة بأنفسهم ـ أن صرف هؤلاء الخلافة عنه عليه السلام ،

١ـ (غاية المرام) ، ص ٥٤١ ؛ و قد أورد فى كتاب (علىّ و الوصيّة) من ص ٦١ الى ٦٥ أحاديثاً باسناد مختلفة فى معيّة أميرالمؤمنين للحقّ و القرءان .

فارتقوا منبر النبيّ و تربّعوا فى مقام الخلافة بدلاً من أميرالمؤمنين ؟

فالجواب هو قـول رسـول اللّـه الـذى رواه أهـل السـنة أيضـاً : **حُبُّـکَ الشَّىءَ يُعْمِى و يُصِمُّ** [1].

فمن أحبّ شيئاً و كـانت محبّتـه هـذه نابعـة مـن الإحساسـات ، و كـان هوى النفس و القوى الدنيّـة مؤثـرة فى نشـأتها ، فـانّ ذلـك الشـخص سـيكون أعمى و أصـمّ بالنسـبة الى غـير ذلـك المقصـود و المحبـوب ، اى أنّـه لـن يـرى غير ذلك الهدف و لن يسـمع غـير ذلـك الكـلام . و ليـس خفيّـاً علـى أربـاب الملل و النحل ، و لا مُبهماً على المطّلعـين علـى السـيرة و التـاريخ ، لأنّ غصـب مقام الخلافة من ءال بيت الرسول صلى اللّـه عليـه و ءالـه لم يكـن لـه مـن داعٍ الّا حبّ الحكومة و الـترؤّس علـى المسـلمين ، و الاّ بـروز النزعـة الشـخصيّة ، لذا فان جميع هـذه الأحـاديث و النصـوص لـن تجـدى شـيئاً مـع وجـود تلـك الغريزة المهلكة ، فستدفع بهـا جميعـاً ـ عندمـا تريـد نيـل هدفـها ـ الى طوفـان البـلاء ليجرفـها أشـبه بقشّـة و أعشـاب يابسـة ، و لا تتـورّع عـن مواجهتـها لهدفها عن محاربة أهل البيت ، أو عن إحـراق بـاب بيـت بضعـة رسـول اللّـه ، أو عن اقتياد مقام الولايـة و جـرّه الى المسـجد قسـراً ، ثمّ السـعى بجـدّ السـيف الـمُشرع للإدّعاء بتسليمه و خضوعه مقابل هذه التعدّيات .

و هذه مسـألة يجـب التـأمّل و التدقيـق فيـها ، لأنّ مقـام العلـم و إدراك الحقائق أمر ، و مرحلة خضوع النفس و انقيادهـا الى الحـقّ أمـر ءاخـر منفصـل عنـه ، و هكـذا فـانّ الكثـير مـن الذيـن تـردّوا فى بـئر الطبيعـة و هاويتـها لم يحصل ذلك لهم بجهلـهم بطريـق الصـلاح ، فمـا أكـثر مـن امتلـك منـهم علمـاً كافياً فصار يـميّز جيّداً بين القـبيح و الـحسن ؛ ولكـنهم أوقعـوا أنفـسهم عمـلاً

١ـ روى المسعودى هذا الحديث فى (مروج الذهب) ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

ـ بسيطرة القوى النفسيّة و عدم انقيادها لملكة العقل و بغلبة الغرائز الشهويّة ـ فى مثل تلك الاعمال القبيحة الذميمة .

لذا فانّ دعوة الأنبياء و الأئمّة الأطهار مبنيّة على إصلاح النفس و الخضوع و الانقياد أمام الحق ، قال اللّه العلىّ الأعلى :

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [١].

لقد كان عُمر يعلم جيداً بمقام و منزلة و شخصيّة المولى أميرالمؤمنين ، فهناك روايات كثيرة وردت عن أهل السنّة يعترف فيها بنفسه بذلك ، و ينقل بشأنها الأحاديث عن رسول اللّه ، و لكن ـ و كما ذُكر ـ فانّ اتّباع الحقّ يستلزم طهارة النفس و صفاء الباطن و الأنقياد ، و أين هذا ؟

يقول العلّامة الأمينى : أخرج الحافظ الدار قطنى و ابن عساكر : انّ رجلين أتيا عمر بن الخطاب و سألاه عن طلاق الأمَة ، فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة فى المسجد فيها رجلٌ أصلع فقال : أيّها الأصلع ما ترى فى طلاق الأمَة ؟! فرفع رأسه اليه ثم اوحى اليه بالسبّابة و الوسطى ، فقال لهما عمر : تطليقتان .

فقال أحدهما : سُبحان اللّه ، جئناك و أنت أميرالمؤمنين فمشيتَ معنا حتّى وقفتَ على هذا الرجل فسألتَه فرضيتَ منه أن أومى اليك .

فقال لهما : تدريان مَن هذا ؟ قالا : لا .

قال : هذا علىٌّ بن أبى طالب، أُشهدُ عَلَى رَسُولِ اللّه صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم لَسَمِعْتُهُ وَ هُوَ يَقُولُ : إنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَ الأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَا فِى كَفَّةٍ ثُمَّ وُضِعَ إيمَانُ عَلِىٍّ فِى كَفَّةٍ لَرَجَحَ إِيمَانُ عَلِىِّ بنِ أَبِى طالِبٍ [٢].

١ـ الأية ٩ و ١٠ ، من السورة ٩١ : الشمس .

٢ـ (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

ثمّ يقـول العلّامـة الأميـنى : و فى لفـظ الزمخشـرى : جئنـاك و أنـت الخليفة فجئتَ الى رجل فسألتَه ، فو اللَـه مـا كلّمتُـكَ . فقـال لـه عمـر : ويلـك أتدرى من هذا ؟ الحديث .

و نقلـه عـن الحـافظين : الـدار قطـنى و ابـن عسـاكر : الكبخـى فى (الكفاية) ص ١٢٩ و قال : هذا حسـنٌ ثـابت . و رواه مـن طريـق الزمخشـرى خطيـب الحرمـين الخوارزمـى فى (المنـاقب) ، ص ٧٨ ، و السـيّد علـى الهمدانى فى (مودّة القربى) ، و حديث الميزان [1].

رواه عـن عمـر محـبّ الديـن الطـبرى فى (الريـاض) ، ص ٢٤٤ ، و الصفورى فى (نزهة المجالس) ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

١ـ يعنى ذيل الحديث اعلاه ، اى جملة : لو انّ السموات السّبع ... الخ .

الدرس الثالث عشر

معنى هداية الأئمة وشرائط الهادي إلى الحق

بسم اللَه الرّحمن الرّحيم

و صلّى اللَهُ على محمّد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن الي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة الاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَهُ الحكيم فى كتابه الكريم :

أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبِعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّى إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [1].

جرى البحث فى الفصل السابق مفصّلاً حول هذه الأية المباركة ، و كانت النتيجة انّ الهادى الى الحقّ يجب حتماً أن تكون هدايته بنفسه لا بغيره ، و أنّ مَن كان مِن أهل الشرك و المعصية و من اهتدى بغيره لا يمكن ان يكون إماماً و لا يمكنه هداية الناس الى الحقّ ، و يلزم هنا ذكر نكات عدّة :

الاولى : انّ المراد بالحقّ فى الأية الشريفة المعنى الحقيقى و ليس معنى الحقّ المبنى بنحو ما على التساهلات العرفيّة فى ألسنة الناس ، كما يُشاهد انّهم ينسبون الهداية للحقّ لكلّ من يتكلّم بالحقّ ، حتى لو كان معتقداً بذلك أو غير معتقد ، و سواءً عمل بذلك الاّ انّ نفسه لم تتحقّق به أو لم يعمل ، و سواءً اهتدى بنفسه أم لم يهتدِ . فهذه بأجمعها ليست هدايةً

١ـ ذيل الأية ٣٥ ، من السورة ١٠ : يونس .

للحقّ ، بل انّها تدعى هداية الى الحـقّ مـن بـاب المسـامحات العرفيّـة ، فالهدايـة الى متن الحقّ هى الوصول الى متن الواقـع ، و هـى فقـط للّـه و للواصلـين اليـه سُبحانه دون واسطة الغير .

الثانيـة : انّ المـراد بالهدايـة الى الحـقّ فى هـذه الأيـة ، هـو الإيصـال الى المطلوب ، لا بـمعنى إراءة الطريق الى اللّـه ، لأنّ مـن البديـهى انّ إراءة الطريـق أمرٌ سهل مـمكن لكلّ شخص ، سواءً كـان إمامـاً أم لم يكـن ، و سـواءً اهتـدى بنفسه أم بغيره ، و سواءً كان ضالّـاً غـير مـهتد أصـلاً ؛ فالهدايـة بـمعنى إراءة الطريق ستكون على كلّ حـال أمـراً مـمكناً لهـم ، و لكـنّ الإيصـال الى مـتن الواقع و الحقّ و كمال كـلّ موجـود أمـرٌ مختـصٌ بالمـهتدين بأنفسـهم و الهـادين الى الحقّ .

الثالثة : انّ المراد بجملة (**لا يَهِدِّى إِلَّـاأَن يُـهْدَى**) هـو الـذى لم يـهتدِ بنفسه ، و هـو أعـمّ مـن غـير المـهتدى أَصـلاً ، أو المـهتدى بالغـير ، و الدليـل على عموميّتها أنّ جملة (إلاّ أن يُهْدَى) و هى اسـتثناء مـن جملـة (لاَ يَـهِدَّى) جاءت مع (أنْ المصدريّة) . و هذه الجملة لا تـدلّ علـى تحقّـق الوقـوع ، خلافـاً للمصدر المضاف .

و هناك فرق بين أن نقول (أعجبـنى ضربُـك) أو أن نقـول (أعجبـنى أن تضـرب) ، فالإعجـاب مـن نفـس الضـرب فى الصـورة الاولى متحقّـق فى الخارج ، بينما الإعجاب فى الصورة الثانيـة مـن إمكـان تحقّـق الضـرب ، و قـد نصّ على هذا المطلب الشيخ عبدالقاهر الجرجانى فى (دلائل الإعجاز) .

و على ذلك فـانّ جملـة (**إِلَّـاأَن يُـهْدَى**) لا تعـنى كونـه الأن مـهتدياً بالغير ، بل تعـنى انّـه (و لـو أمكـن أن تصـل الهدايـة اليـه مـن الغـير) . و مـن الواضح انّ الهداية من الغير ستكون فى حال قبول الهدايـة ، و امّـا اذا كـان غـير قـابل للهـداية فـانّ الـهداية من الغيـر لن تصـل الـيه ، و لذلك فـانّ جـملة (**لَا**

يَهِدِّى) باقية على عمومها و سيكون معناها : لم يهتدِ بنفسه ، سواءً لم يجد الهداية أو كان قابلاً للهداية فاهتدى بغيره .

الإمام يجب أن يكون مهتدياً بالحقّ و فى ذلك شروط ثلاثة:

و عموماً فانّ الإمام هو الذى يكون مهتدياً الى الحقّ ذاتيّاً ، و ليس من فئة من الفئتين اللتين مرّ ذكرهما ، و على هذا فانّ الإمام هو المصون من الضلالة و المعصية ، أى أنّه أوّلاً لا يخطىء فى تلقّى المعارف الإلهيّة و الإلهامات الرحمانيّة ، و أنّ متن الواقع ينعكس فى قلبه دون اضطراب أو تدخّل النفس التى تغيّره إلى صورة أخرى و تفسّره على نحوٍ ءاخر .

و ثانياً : انّ الامام هو الذى يقوم ـ فى إبلاغ الأحكام و هداية الناس من جانب الباطن و الظاهر ـ بتحريكهم على طريق مستقيم لا عوج فيه .

و ثالثاً : أن لايكون الإمام نفسه مبتلياً بالمعصية و ظلم النفس ، و قد استفدنا هذه المعانى من جملتى (**وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ**) [1].

و يستفاد أيضاً من الأية الخاصّة بابراهيم و التى سأل فيها الإمامة لذريّته ، أنّ الإمامة لا ينالها الظالم ، لأنّ تعبير الظالم ورد فى الأية بشكل مُطلق : **لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ** [2]، أى انّ عهدى لاينال ظالماً و لو كان ظلمهُ محدوداً ؛ و على العكس فإنّ عهدى ينال اولئك الذين ليسوا ظالمين على نحوٍ مطلق ، و هذا هو عين العصمة .

إنّ الإمام هو الذى لم يرتكب طوال عمره أى ذنب ، أمّا من ارتكب الذنب الصغير أحياناً ، أو من بدر منه ظلمٌ أو شرك ثم تاب منه فامّحى أثر

١ـ صدر الأية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢ـ ذيل الأية ١٢٤ ، من السورة ٢: البقرة .

ذلك الذنب ، فانّه لا يكون إماماً .

يقول العلّامة الطباطبائى (مُدّ ظلّه العالى)[1] فى تفسير هذه الأية الشريفة : و قد سُئل بعض أساتيدنا رحمة اللَه عليه عن تقريب دلالة الأية على عصمة الإمام ، فأجاب : إنّ الناس بحسب القسمة العقليّة على أربعة أقسام : مَن كان ظالماً فى جميع عمره ، و من لم يكن ظالماً فى جميع عمره ، و من هو ظالم فى أوّل عمره دون ءاخره ، و من هو بالعكس من هذا . و إبراهيم عليه السلام أجلّ شأناً من أن يسأل الإمامة للقسم الأولّ و الرابع من ذريّته ، فبقى قسمان و قد نفى اللَه أحدهما ، و هو الذى يكون ظالماً فى أوّل عمره دون ءاخره ، فبقى الأخر ، و هو الذى يكون غير ظالم فى جميع عمره ، و هذا هو معنى العصمة .[2و3]

و إجمالاً فانّ كلّ ما استدللنا عليه من ءايات القرءان هو سبع مسائل من أهم مسائل الإمامة التى تقول بها الشيعة و تصرّ عليها و التى تمثّل الحدّ الفاصل بينهم و بين أهل السنّة (الذين لا يعتبرون أيّاً منها شرطاً للإمامة) .

المسألة الاولي: الإمامة غير قابلة للانتخاب :

المسألة الاولى : إنّ الإمامة ليست قابلة للاختيار و الانتخاب ، بل هى مجعولة بجعل الهىّ يُعلن للناس من قبل النبّى او الإمام السابق ، او باتّضاح الإمام نفسه للناس بواسطة النصوص و المعجزات ، لأنّه أولاً ـ و كما قلنا ـ فانّ اللَه سبحانه و تعالى يعرّف هذا المنصب فى القرءان الكريم بعنوان

١ـ الكتاب مؤلّف فى حياة العلّامة الطباطبائى قُدّس سرّه ، و ءاثرنا الابقاء على تعبير المؤلّف (م) .

٢ـ (الميزان) ، ج ١ ، ص٢٧٧ .

٣ـ و يورد القاضى نور اللَه نظير هذا الاستدلال بتقريب ءاخر فى (إحقاق الحقّ) ، ج ٢ ، ص٣٩٦ .

(الجعل و التنصيب الالهىّ) ، حيث ورد :

قَالَ إِنِّى جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمَامًا [1].

و يقول أيضاً : **وَ جَعَلْنَا مِنْهُم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا** [2].

و يقول أيضاً : **وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ** [3].

و فى جميع هذه الأيات التى ذكرت منصب الإمامة ، فانّها أوردت عنوان الجعل الالهىّ .

ثانياً : انّ الإمامة قوّة الهيّة فى نفس الإمام يحصل بواسطتها على الاطّلاع على ملكوت و نفوس الأشياء و يسيطر عليها ، كما هو مستفاد من جملة **يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ، فمن كانت فيه هذه القوّة كان هو الإمام ، و من خلا منها لم يكن إماماً .

و لا دخل للاختيار و الانتخاب فى هذا الأمر ، ليس لجهة قولنا انّ الناس باعتبار جهلهم بالملكوت و بمقام العصمة لا يمكنهم معرفة الامام ، و لذا فانّ انتخابهم و اختيارهم ليس صحيحاً ، بل اننا لو فرضنا انّ جميع الناس صار لهم اطّلاع على ملكوت الأشياء و روحها ، و انّ اللّه قد أعطاهم نوراً يمكنهم به تشخيص مقام العصمة ، فانّ الإمامة ـ مع ذلك ـ لن تكون قابلة للانتخاب ، لأنها ـ و كما قلنا سابقاً ـ ملكة الهيّة و قوّة قدسيّة موجودة فى نفس الإمام ، و ليس هناك من معنى للقول بأنّ الانسان ينتخب موجوداً خارجياً ، فالموجود الخارجى موجود و لا يحتاج الى انتخاب الانسان

١ـ بعض الأية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ صدر الأية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٣ـ صدر الأية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

ليوجد .

أمن الصحيح أن نقول للعالِم الذى صارت لديه مَلَكة استنباط الأحكام : انّنا ننتخب اجتهادك ؟ أو نقول للبطل الفائز فى المسابقات و الذى وصلت القدرة فى بدنه الى الفعليّة : انّنا ننتخب قوّتك ؟ أو نقول لحافظ القرءان الكريم : انّنا ننتخب حفظك ؟! كلّا بالطبع ، فهذا الكلام ليس صحيحاً أبداً .

انّ الانتخاب يحصل فى الأمور الاعتباريّة التى دورانها بيد الاعتبار و الانتخاب ، و التى توجد بواسطة الانتخاب و تفنى بعدمه . امّا فى الأمور التكوينيّة و الواقعيّة التى وجدت قبل مرحلة الانتخاب و امتلكت وجودها ، فانّ الانتخاب ليس له مجال فيها أبداً .

المسألة الثانية: لنّ الامام يجب أن يكون معصوماً حتماً :

المسألة الثانية : لنّ الإمام يجب حتماً ان يكون معصوماً بعصمة البارى جلّ و عزّ ، و قد استنتجنا بعض الاستنتاجات فى هذا الباب من ءايات : **لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ** . و جملة : **يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** و جملة : **وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيرَاتِ** ؛ و أصبح معلوماً أنّ الإمام حينما عبر جميع مراحل النفس و تحقّق بوجود حضرة الحقّ ، و تحكّمت فى وجوده إرادة و مشيئة الحقّ دون تدخّل النفس الأمّارة ، و صار فعله نفس وحى اللّه ، لذا فانّ ذلك الإمام معصوم و منزّه عن كلّ دنس نفسى ، و هذا هو معنى العصمة .

كما اننا استفدنا المصونيّة و العصمة من ءاية : **فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** [1] .

بحيث أوضحت الأيات القرءانيّة هذه الحقيقة بشكل كامل .

١ـ صدر الأية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

المسألة الثالثة: لنّ الإمام يجب ان يكون مؤيّداً من قبل اللّه تعالى :

المسألة الثالثة : ان الامام يجب ان يكون مؤيّداً من عنداللّه ، أى انّ علومه و إدراكاته تحصل فى نفسه بواسطة اليقين و الإلهامات الغيبيّة ، و يكون اللّه هو المتكفّل بأموره ، و قد أستفيد هذا الأمر من جملة : **وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ** [1]، و جملة : **لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِأيَاتِنَا يُوقِنُونَ** [2]،و جملة : **يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** [3]، لإنّ الإمامة تستلزم امتلاك مقام اليقين ، و مقام اليقين كما ذُكر ليس ميسوراً دون انكشاف الملكوت و حقيقة الأشياء و بناءً على هذا فانّ اللّه سبحانه و تعالى يؤيّده كلّ لحظة بانكشاف الملكوت و الهداية بأمر اللّه .

المسألة الرابعة: لنّ الأرض لا تخلو من حجّة أبداً :

المسألة الرابعة : لنّ الأرض و جميع الأفراد الذين يعيشون عليها لهم إمام فى كلّ زمان ، و لا يمكن أن تخلو الأرض عن حجّة اللّه أبداً ، و قد استفيد هذا الأمر أيضاً من ءاية : **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** [4]، لأن اللّه سبحانه و تعالى يدعو جميع أفراد بنى ءادم الى الحشر يوم القيامة بإمامهم ، فلا يوجد فردٌ من البشر إلّا و له إمام ، و لا يوجد فردٌ على الأرض بدون إمام ، كما انّه ورد فى روايات كثيرة انّه لو لم يبقَ على الأرض الّا نفرين ، لكان أحدهما إماماً للأخر ، و لو لم يوجد الّا شخص واحد لوجب أن يكون الإمام نفسه .

١ـ صدر الأية ٧٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٢ـ ذيل الأية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٣ـ مقطع من الأية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

٤ـ صدر الأية ٧١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

المسألة الخامسة: علم الإمام المحيط بأعمال الأمّة

المسـألة الخامسـة : لنّ الامـام يعلـم بجميـع أعمـال و أقـوال و سـيرة و ملكات عباد اللَه ، و ليس هناك علمٌ غائب أو مخفٍ عـن نظـر الإمـام ، و قـد بيّنـت الأبحـاث السـابقة هـذا المعـنى فى هـذا الأمـر اسـتناداً الى الأيـات القرءانيّة ، لأنّ الامام لـه سـيطرة علـى نفـوس و ملكـوت الموجـودات ، و مـع هذه الملكة فـانّ جميـع الأرواح و النفـوس و روح الأعمـال سـتكون فى مشـهد الإمام و فى حضـور الولايـة ، كمـا لنّ موجـودات عـالم الطبيعـة مشـهودة عنـد الشخص البصير و غائبة عند الأعمى .

و بـالرغم مـن لنّ ملكـوت كثـير مـن الأعمـال و الأقـوال و النفـوس سينكشف لدى الأفراد الذين لم يصلوا بعـدُ الى مرحلـة الإمامـة ، و بـالرغم مـن انّ هذا المعنى سـيتّضح لديـهم اثـر التقـوى و العبـادة و مخالفـة النفـس الأمّـارة و مجاهدتهـا ، الّـا انّـهم لـن يـمتلكوا السـيطرة الكليّـة علـى جميـع الأرواح و النفوس أو هداية كلّ منـهما الى كمالـه ، كلّـاً حسـب دوره و بقـدر ظرفيّتـه ، مـع أنَّ هـذه الدرجـة مـن البصـيرة هـى بصـيرة القلـب الـتى لا توجـد لـدى الأخرين ، الّا ان هذه البصـيرة و الرؤيـة قويّـة و نـافذة لـدى الإمـام بحيـث لا يخفى عنه شىء من الملكوت فى كلّ ءان و فى لىّ مكان .

المسألة السادسة: علم الإمام بحاجات العباد :

المسألة السادسة : لنّ الإمام يعلـم جميـع الأمـور الـتى يحتاجـها العبـاد فى معاشهم أو معادهم ، لأنّه ـ و حسب الفرض ـ فـانّ الإمـام يـهدى النفـوس الى الحقّ مـن ملكوتهـا ، و يوصلـها الى كمالهـا ، فكيـف يـمكن أن يكـون نفسـه جاهلاً بـما يحتاجه العباد فى أمور تكاملهم ؟ و هذه الخاصيّـة تتّضـح أيضـاً مـن الأية القرءانية : يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ، و من أفضليّة مقام الإمامـة علـى النبـوّة حسـب مفاد خطاب حضرة الحقّ لإبراهيم الخليل .

و علاوةً على ذلك ، فلأن فعل الإمام و قوله منطبق على الحقّ بتمام معنى الكلمة ، و لأنّ الإمام قد خطا فى مقام العبوديّة و التقرّب الى مرحلةٍ بعيدة بحيث لنّ اللَه نفسه سيكون هو الأمر و الناهى فى وجوده ، و سيكون فعل الإمام هو عين وحى اللَه ، فكما لنّ ما يحتاجه العباد ليس خافياً على اللَه ، فانّه لن يكون خافياً على الإمام الذى هو التجلّى الأتمّ و المجرى الأكمل لإفاضات الحضرة الأحديّة الى الموجودات ، و هذا الأمر ليس خافياً على الامام ، بل لنّ علم الامام هو عين علم اللَه تعالى ، و ليس هناك أى تفاوت فى أصل المعنى .

المسألة السابعة: أفضليّة الإمام على أفراد البشر فى الكمالات النفسانيّة :

المسألة السابعة : لنّ الامام هو أعلى من جميع أفراد البشر من حيث الفضائل النفسانيّة و الملكات الالهيّة ، و من المستحيل أن يكون هناك شخص أفضل من الإمام فى محاسن الاخلاق و الملكات الانسانيّة ، لأنّه ـ و كما فرضنا ـ فانّ الطريق الى اللَه عن طريق ملكات و صفات النفس . ولأنّ الامام أعلى و أرفع من سائر الأفراد فى هذه المرحلة ، لذا فانّه يهديهم عن طريق الملكوت الى الحقّ ، و اذا ما وجد فى هذه الحالة شخصان أحدهما يفوق الأخر فى هذا المعنى ، فانّ الشخص المتفوّق سيكون حتماً إماماً للآخر ، لإنّ الذى أفق ملكوته و نفسه أنور و أكثر مضاءة و بصيرة سيستطيع أن يدعو الى منزله و محلّه الشخص الأخر الذى ليس فى مستوى أفقه ، و فى هذه الحالة فانّه سيكون هو الإمام ، خلافاً للشخص الضعيف الذى لن يستطع تحريك القوى أو تحمّل ثقله .

و هذه المسائل السبع هى من أصول مسائل الإمامة ، و سائر المسائل الأخرى متفرّعة عنها .

أفضليّة **أميرالمؤمنين فى جميع الفضائل** النفسيّة:

امّا فى أفضليّة علىّ بن أبى طـالب أمـيرالمؤمنين عليـه الصـلاة و السـلام على جميع أفراد البشر عدا خاتم الأنبياء ، فليـس فيـه مجـال للشـبهة و الشـكّ ، و هذه الحقيقة يعـترف بهـا العـدوّ و الصديـق . و بغـضّ النظـر عـن الظـهورات التى صدرت عنه عليه السـلام خـلال ثـلاث و عشـرين سـنة فى حيـاة رسـول اللَه ، و خلال ثلاثـين سـنة بعـد رحلتـه فى فنـون العلـوم المختلفـة ، و فى حـلّ المسـائل الرياضيّـة الغامضـة ، و القضـاء بـالحقّ ، و فى علـوّ النفـس و الهمّـة و الإيثار ، و الاتّصـال بحـرم اللَـه و الإنجـذاب بالجذبـات الالهيّـة ، و فى إدراك الحقـائق و المعـارف الكليّـة المعنويـة الإلهيّـة و عبـور جميـع مراحـل النفـس و ءاثارها ، و فى السبق الى الاسلام و الهجرة و الجهاد .

و بغضّ النظر عن الأحاديث التى رويت عـن رسـول اللَـه و الـتى تُثبـت أفضليّته عليه السلام بـالمعنى الضمـنى او الالـتزامى ، مثـل حديـث : **أَنـتَ مِنِّـى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى** ، و حديث :**إِ نَّ عَلِيّاً وَزِيرِى ، وَ وَصِيّى ، وَ وَارِثِى ، وَ أَخِى فِى الدُّنْيَاو اَلآخِرَةِ ، وَ خَلِيفَتِى مِنْ بَعْدِى ، وَ وَلِىُّ كُلِّ مُؤمِـنٍ مِـنْ بَعْدِى ، وَ إِنَّ عَلِيّاً أَمِيرُالمؤمِنِينَ ، وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، وَ يَعْسُوبُ الْمُؤمِنِـينَ ، وَ قَائِدُ الغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ، وَ هُوَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ، وَ الْفَارُوقُ الأَكْبَرُ ، وَ عَـالِمُ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَذُو قَرْنِهَا** .

و بغض النظر عن حديث : **أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِىٌّ بَابُـهَا** ، و الأحـاديث الأخرى فى علمه عليه السلام .

و بغض النظر عن الأحاديث التى وردت مسـتفيضة فى الدلالـة علـى أنّـه عليه السلام له حكم نفس رسول اللَـه ، و عـن الأحـاديث الـتى تُشـير الى انّـه عليه السلام كان يـمتلك فضائل خاصّة به ، مع ان كلّاً منها يـدلّ بـمفرده علـى على أفضليّته عليه السلام على سائر الأمّة .

لو غضضنا الطرف عن هذا كلّه ، فانّ هنـاك روايـات كثـيرة وردت عـن رسول اللَه صلّى اللَه عليـه و ءالـه عـن طريـق أهـل البيـت و شـيعتهم و عـن طريق العامّة أيضاً تدلّـل علـى أفضليّتـه علـى الأمّـة ، بـل علـى جميـع أفـراد البشـر ، بـل علـى الأنبيـاء و المرسـلين ، و هـذه الأحـاديث تـدلّ بـالمعنى المطابقى على أفضليّة ذلك الإمام المعصوم .

يروى الشيخ حافظ سليمان بـن ابراهيـم القنـدوزى الحنفـى عـن كتـاب (مودّة القربى) تأليف السيد على الشافعى عن عطاء قال : **سُئِلَتْ عَائِشَـةُ عَـنْ عَلِيٍّ ، قالتَ : ذَلِکَ خَيْرُ الْبَشَرِ لاَ يَشُکُّ فِيه إلاَّ کَافِرٌ** [1].

و يروى عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال : قال رسـول اللَـه : **يَـا عَلِـيُّ أنتَ خَيْرُ الْبَشَرِ ، مَا شَکَّ فيک إلاَّ کَافِرٌ** [2].

و يروى عن حذيفة انّه قال : **عَلِيٌّ خَيرُ الْبَشَرِ و َ مَنْ أَبَى فَقَدْ کَفَرَ** [3].

و يروى عن جابر بن عبداللَه الأنصارى انّ رسولَ اللَهِ قَالَ : **عَلِـيٌّ خَـيرُ الْبَشَرِ ، مَن شَکَّ فِيهِ فَقَدْ کَفَرَ** [4].

كما يـروى عـن أمّ هـانى بنـت أبى طـالب و أخـت أمـيرالمؤمنين عليـه السلام انَّ رسولَ اللَهِ قال : **أَفْضَلُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَهِ مَنْ نَـامَ فِـى قَـبْرِه ، وَ لَـمْ يَشُکَّ فِى عَلِيٍّ وَذُرِّيَتِهِ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** [5].

و روى عن الإمام محمّد بن على الباقر ، عن ءابائه عليـهم السـلام قـال : **سُئِلَ رَسُولُ اللَهِ صَلّى اللَه عليه و ءاله عَنْ خَيرِ النَّـاسِ ؛ فَقَـالَ : خَيْرُهَـا ، وَ أَتْقَاهَا ، وَ أَفْضَلُهَا ، وَ أَقْرَبُهَا إلَى الْجَنَّةِ أَقْرَبُهَا مِنِّى ،وَ لاَ أَتْقَى وَ لاَ أَقْرَبَ إلَىَّ مِنْ عَلِيِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ** [6].

---

١ و٢ و٣ـ (ينابيع المودّة) ، ص٢٤٦ .

٤ و٥ و٦ـ (ينابيع المودّة) ، ص٢٤٧ .

الروايات المعراجيّة الدالّة على ولاية أميرالمؤمنين:

و يروى عن أميرالمؤمنين عليه السلام انّه قـال : قـالَ رسـولُ اللَـه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : إِنِّى رَأَيْتُ اسْمَكَ مَقْرُونَاً بِاسْمِى فِى أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ ،

فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ فِى مِعْرَاجِى إِلَى السَّمَاءِ ، وَجَدْتُ عَلَـى صَخْرَةِ بهَا : لاَ إِلَهَ الَّا اللَهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، أَيَّدْتُهُ بعَلِىٍّ وَزيره ، وَ لَمَّـا انْتَهَيْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَجَدْتُ عَلَيْهَا : إِنَّى أَنَـا اللَـهُ ، لاَ إِلَـهَ إِلَّـا أَنَـا وَحْدِى ، مُحَمَّدٌ صَفْوَتِى مِنْ خَلْقِى ، أَيَّدْتُهُ بعَلِىٍّ وَزيره ، وَ نَصَرْتُهُ بهِ ،

وَ لَمَّا انتَهَيْتُ إِلَى عَرشِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ ، فَوَجَـدْتُ مَكْتُوبَـاً عَلَـى قَوَائِمِهِ : إِنِّى أَنَا اللَهُ ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، مُحَمَّدٌ حَبِيبِى مِنْ خَلْقِى ، أَيَّدْتُهُ بعَلِـىٍّ وَزيره ، وَ نَصَرْتُهُ بهِ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ الْجَنَّةَ وجَدْتُ مَكْتُوبَاً عَلَى بَابِ الْجَنَّـةِ : لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَ مُحَمَّدٌ حَبِيبِى مِنْ خَلْقِى ، أَيَّدْتُهُ بعَلِىٍّ وَ زيـرِه ، وَ نَصَرْتُـهُ بهِ [1].

بيانات جبرئيل فى هيئة دحية فى الولاية:

يروى الخوارزمـى أبـو المؤيّـد الموفّـق بـن أحمـد باسـناده المتّصـل عـن الأعمش عن سيعد بن جبير ، عن ابن عبّاس قال : كان رسول اللَـه صلّـى اللَـه عليه [و ءاله] و سلّم فى بيته ، فغدا عليه علـىّ بـن أبى طـالب كـرّم اللَـه وجهـه بالغداة أن لا يسبقه اليه أحد ، فدخل فإذا النبىّ صلّى اللَه عليـه [و ءالـه] و سـلّم فى صحن الدار ، فاذا رأسه فى حجر دحية بـن خليفـة الكلـبى ، فقـال : السـلام عليك كيف أصبح رسول اللَه ؟

قال : بـخير يا أخا رسول اللَه .

١ـ (ينابيع المودّة) ، ص ٢٥٦ ، و (الغدير) ، ج ٢ ، ص ٥١ نقلاً عن (مودّة القربى) .

فقال علىّ :**جَزَاکَ اللَهُ عَنَّا خَيْرَاً أَهْلَ الْبَيتِ .**

فقال له دحية : إنّى لأحبّك ، و لَ لك عندى مدحة ازفّها لك ، **أَنتَ أَمِيرُالمُؤمِنِينَ ، وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ، أَنتَ سَيِّدُ وُلْدِء اَدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا خَلاَ النَّبِيّينَ وَ الْمُرسَلِينَ ، لِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِکَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تُزَفُّ أَنْتَ وَ شِيعَتُکَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ مَعَ مُحَمَّدٍ وَ حِزْبِهِ إِلَى الْجِنَانِ زَفّاً ، وَ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَوَلَّاکَ وَخَسِرَ مَنْ تَخَلَّاکَ ، فَبَحُبِّ مُحَمَّدٍ حَبُّوکَ،وَ مُبْغِضُوکَ لَنْ تَنَالُهُمْ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم؛ادْنُ مِنِّى صفوةَ اللَهِ !**

فأخذ رأس النبىّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم فوضعه فى حجره ، فقال النبىّ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : ما هذه الهمهمة ؟ فقال علىّ بما جرى .

فقال : يا علىّ ، لم يكن دحية ، ولكن كان جبرائيل ، و سمّاك بإسم سمّاك اللَه به ، فهو الذى ألقى محبّتك فى صدور المؤمنين ، و رهبتك فى صدور الكافرين [1].

المسائل السبع للإمامة كانت متحقّقة فى أميرالمؤمنين :

انّ الأحاديث المرويّة عن رسول اللَه و الدالّة على أفضليّة أميرالمؤمنين عليه السلام بعنوان خيرالوصيّين و سيّد ولد ءادم و أمثال ذلك كثيرة ، و قد اكتفينا بهذه الروايات العدّة عن طريق العامّة كمثال ، لذا وفقاً للمسائل السبع السابقة فانّ مقام الإمامة مختصٌّ به عليه السلام ، و هو الذى كان يدعو الناس بقاطعيّة تامّة ، لم يُشاهَد فى فعله او قوله ندم أو شكّ أو حيرة أو جهل . و لأنّ الإمام له إحاطة بالملكوت ، فانّه لا يخطئ أبداً ، و لأنّ فعله فعل الحقّ ، فانّه لا يتردّد و لا يتحيّر و لا يندم فى عمله ، لأنّ اللَه

١ـ (غاية المرام) ، ص١٦ .

سبحانه لا يتحيّر و لا يندم فى فعله .

انّ الأفراد الذين يندمون ، انّما يندمون عند العمل لجهلهم ، اذ تبدو لديهم جهة من الجهات بصورة مقبولة فيبادرون الى فعلها ، و حين تتّضح لهم نقاط الضعف و النقاط المبهمة التى خفيت عليه لدى العمل فانّهم يندمون .

امّا رجل الحقّ فلا يندم ، و لم يشاهد أبداً انّ الإمام أظهر ندمه من فعل فعله ، و هذه هى علامة صحّة العمل و إتقانه ، إضافة الى أنّ الإمام يعيّن وظيفة الناس فى كلّ موضوع بشكل قطعىّ ، و لا يؤجّل ذلك الى اليوم التالى و لا تنكشف له الحقيقة بالمشاورة و المطالعة و التأنى و التروّى ، بل انّ الحقائق تظهر أمامه و تتجلّى كالمرءاة ، فيجيب بلا تريّث و لا تأخير .

لقد كان عُمر يعيى و يعجز فى كثير من الأمور عن الإجابة على مسائل الأحكام العاديّة ، بينما كانوا يسألون أميرالمؤمنين عن بعض المسائل التى لا يستطيع علماء الرياضيات حلّها الّا باستخدام القوانين الرياضيّة ، فيُجيبهم عليها مباشرة . فهل كان له عقل الكترونى يا ترى ؟ إنّ الأجهزة الالكترونيّة هى الأخرى لا تستطيع ان تتجاوز حلّ المسائل البسيطة ، لكن الامام كان يجيب عن تلك المسائل بداهةً ، لكأنّ الجواب كان واضحاً لديه كالشمس ، كما انّه كان يُجيب فوراً على الكثير من مسائل القضاء التى يحتاج حلّها الى جهد رياضىّ .

ندم أبى بكر على الخلافة:

و لقد أظهر أبوبكر ندمه على تولّيه الخلافة مرّات عديدة ، و قال مراراً : **أَقِيلُونى أَقِيلُونى وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ** [1].

١ـ سيأتى الكلام عن هذا الحديث فى المجلّد الثانى لهذا الكتاب الدرس ١٧ ، كما ينقل فى (الغدير) ج ٥ ، ص ٣٨٦ ، عين العبارة الواردة أعلاه عن (الصواعق المحرقة) .

لكنه يجب ان يُقال له : اذا كـانت الخلافـة الـتى سـلبتَها بأمراللَـه فكيـف تريد تركها و التخلّى عنها ؟ و إن لم تكن بأمر اللَه فيكف سلبتها ؟

فهو يعيي هنا و يتحيّر فلا يـميّز يـــمنةً عـن يسـرة ، لأنّـهُ مـن جهـة لا يـمتلك القدرة على تحمّل هـذا العـبء و المسـؤوليّة ، و مـن جهـة اخـرى فـانّ قلبه لا يطاوعه فى أن يُعيـد الأمـر الى صاحبـه . **كَظُلُمَـات فِـى بَحْـرٍ لُّجِّـىٍّ يَغْشَهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْـضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَيَاهَا وَ مَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** [1].

لقد ارتقى أبوبكر منبر رسـول اللَـه فى مسـجد الرسـول يومـاً بعـد بيعـة السقيفة و قال فى خطبته : **أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّى قَـدْ وُلِّيـتُ عَلَيْكُـمْ ، وَ لَسـتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِن أَحْسَنتُ فَأَعِينُونِى ، وَ إِن أَسَأتُ فَقَوِّمُونِى**[2] **... أَطِيعُونِـى مَـا أَطَعْتُ اللَهَ ، وَ إِذَا عَصَيْتُ اللَهَ وَ رَسُولَهُ ، فَلاَ طَاعَةَ لِى عَلَيْكُم** [3].

يقول الطبرى : و خطب أبوبكر الناس فقال :

أَيُهَّا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَ إِنِّى لاَ أَدْرِى لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونى مَا كَانَ رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] يُطِيقُ ،إِ نَّ اللَهَ اصْطَفَـى مُحَمّـدًا عَلَـى الْعَالَمِينَ ، وَ عَصَمَهُ مِنَ الْأَفَات ، وَ إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَ لَستُ بِمُبتَـدِعٍ ، فَـإِنِ اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِى ، وَ إِن زُغتُ فَقَوِّمُونِى .

الـى أن يقـول : **وَ إِنَّ لِى شَيْطَانًا يَعْتَرِينِى ، فَإِذَا أَتَانِى فَـاجْتَنِبُونِى** .[4]

١ـ الأية ٤٠ ، من السورة ٢٤ : النور .

٢ـ (تاريخ اليعقوبى) ، ج ٢ ،ص ١٢٧ ؛ و(شرح النهج) ، ج ٢ ،ص ٨ ، وزاد أيضـاً : انّ لى شيطاناً يعترينى فايّـاكم و إيّـاى اذا غضبـتُ لا أؤثـر فى اشـعاركم و أبشـاركم ؛ و اورده فى (دائرة المعارف) فريد و جدى ، ج ٢ ، ص٣٠٠ .

٣ـ (سيرة ابن هشام) ، ج ٤ ، ص١٠٧٥ .

٤ـ (تاريخ الأمم و الملوك الطبرى) ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ ؛ و أورد أيضاً عن (الإمامة) ⇦

الإشكالات الخمسة على خطبة أبى بكر:

الإشكالات الاوّل : قوله : (وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ) ؛ حيث يجب أن يُقال له : فلماذا تصدّيتَ للخلافة و لم تتخلّ عنها لخير الناس و مولى الموالى مع كلّ تلك النصوص الصريحة من صاحب الشريعة على أفضليّته ؟ و لماذا أردت أن تكون إماماً لمن هو أفضل منك و أعلم ؟ و كيف رضيت ان تدعو أميرالمؤمنين الناموس الاكبر الالهىّ و كنز الاسرار و معارف الحقّ و نفس الرسول لا تّباعك ؟ و كيف أردت أن تأخذ بيعته لك و أن تجعله يسلّم لأمرك و نهيك دون قيد أو شرط ؟ و بأىّ معارف و فضائل أخلاقيّة أردتَ ايصال المؤمنين الى المطلوب ؟ و على أىّ ملكوت كنت مسيطراً و مهيمناً ؟

الإشكال الثانى : قولك (فَإن أحسَنْتُ فَأعِينُونِى ! وَ إن أسأتُ فَقَوِّمُونِى!)

و بناءً على هذا فانّك حين جعلتَ بأيدينا ميزان صحّة أو بُطلان عملك ، و خيرّتنا فى الجرح و التعديل ، فقد كنّا نحن إمامك لا أنت إمامنا !

و بغضّ النظر عن ذلك ، فمن أين لنا أن نميّز الصحيح من السقيم ؟ لو ميّزناه من عندنا لكنّا إذن لا نحتاج الى خليفة ، و إن توجّب ان يُفهمنا ايّاه إمامُ الحقّ لوجب علينا اتّباع ذلك الامام ، و لوجب عليك أن تسلم أنت الأخر لأمره .

⇦والسياسة) نظير هذه الخطبة بتفصيل أكثر ، و قد أوردناها فى المجلّد الثانى من هذا الكتاب و كذلك أوردناها فى الدرس ١٨ من هذا الكتاب ، و أوردها كذلك القاضى عبد الجبار فى (المغنى) و ابن تيمية فى (منهاج السنّة) ، و محبّ الدين الطبرى فى (الرياض النظرة) و السيوطى فى (تاريخ الخلفاء) و ابن حجر فى (الصواعق المحرقة) و ابن ابى الحديد فى (شرح نهج البلاغة) .

الإشكال الثالث :

قولك : (لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونى مَا كَانَ رَسُولُ اللَهِ يُطِيقُ) .

بلى ، لنّ مثل هذه التكاليف ستأتى حتماً ، ولكن من أجلسك مكان رسول اللَه لتحتار فى النهوض بأعباء عمل و مهمة رسول اللَه ؟ أو لم تسمع طوال المدّة المديدة رسولَ اللَه يقول كراراً ـ لا مرّةً أو مرّتين ـ **عَلِىٌّ يَقْضِى دَيْنى** ؟ أو لم تسلّم يوم غدير خم على أميرالمؤمنين بتحيّة الولاية ؟! فبأىّ مجوّز جلستَ مكان رسول اللَه أنتَ العاجز عن تحمّل أعباء مسؤوليّته و عمله ، و سلبتَ الحقّ المسلّم لمقام الخلافة و الوصاية ؟!

الإشكال الرابع :

قولك : (أَطِيعُونِى مَا أَطَعْتُ اللَهَ ، وَ إِذَا عَصَيْتُ اللَهَ وَ رَسُولَهُ فَلاَ طَاعَةَ لِى عَلَيْكُمْ) .

فبناءً على ذلك فقد صرتَ أنت أيضاً رديفاً لنا لا رئيساً علينا ، فلماذا نطيعك إذن ؟ تعال أنت فأطعنا ! و بأىّ قاعدة و سُنّة الهيّة صارت طاعتُك واجبةً علينا ؟ و إضافة الى ما تقدّم ، فاننا نحتاج فى معالم ديننا الى معلّم و مربٍّ نتعلّم منه ما هى طاعة اللَه و رسوله ، و ما هى مخالفة اللَه و رسوله ، فمن أين لنا أن نعلم لَنّ عملك هذا طاعة ، و عملك ذاك معصية ؟ الاّ ان يدلّنا معلم القرءان و العارف برسول اللَه ، و المحيط بنواميس الأحكام و الشرايع ، فيفصل الطاعة عن المعصيته ! و لو فرضنا انّنا شئنا تقويمك عند معصيتك ، فهو ستتقوّم يا ترى ؟

فأنت الذى تأبى التخلّى عن الخلافة ، ستقف عند مخالفتك لأمر اللَه و الرسول و تصرّ على موقفك ، و مهما شاءت الأمّة تقويمك فانّك ستقاوم أكثر ، إذ ان نفس هذا التصدّى لمقام الخلافة يمثّل زيغك و انحرافك .

ألم يؤاخذك أميرالمؤمنين لتقويمك و يوبخّك على مبادرتك الخفيّة

السريعة و جثمان رسول اللَه بعدُ لم يُدفن ؟ ألم يتحدّث أميرالمؤمنين فى المسجد عن فضائله و مقامه ؟ ألم تبيّن الصديقة الطاهرة فى خطبتها المُبينة تلك موارد انحرافك ؟ ألم تقل (سلامُ اللَه عليها) : **يَا أَبَابَكْرٍ مَا أَسْرَعَ مَا أَغَرْتُمْ عَلَى أَهلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَهِ ؟**

ألم يبيّن لك بنو هاشم و أصحاب اللَه الكرام الذين تخلّفوا عن يبعتك مواضع خطأك ؟ فلماذا لم ترتدع و لم تستقم ؟ و لو أرادوا الإصرار على هذا الأمر لسُفكت الدماء و نُهبت الأموال و استُبيحت الاعراض و النواميس .

ألم يخالف عثمانُ علناً أمرَ رسول اللَه ؟ فَلِمَ لَمْ يرعوِ حين اعترض عليه المسلمون و نبهّوه على ذلك ؟ و لماذا أصرّ على أفعاله ؟

لقد قال له المسلمون : إمّا أن تتنحّى عن الخلافة أو تسير على سُنّة رسول اللَه ! لكنّه لم يرضَ بأحد الأمرين ، ثم قاومهم و استنصر بمعاوية وجيش الشام للوقوف فى وجه المسلمين .

و أنّى له أن يستقيم و يرعوى مَنْ أمسك بزمام الأمور بيده و أبى عن التنازل عن مقامه و شخصيّته ؟ أوَ هل استقام معاوية ؟ أوَ هل استقام خلفاء بنى أميّة و بنى العبّاس ؟

لقد سفكوا دم كلّ من أراد أن يذكّرهم أو حتّى أن ينصحهم ، و لقد قتل مخالفو سُنّة رسول اللَه هؤلاء فى وضح النهار ابنَ بنت رسول اللَه و أهل بيته بشفاهٍ ظمأى عند شاطىء النهر ؟

الإشكال الخامس :

فاحذرْ يا أبابكر ! ماذا تقول فى خطبتك التى ألقيتها ؟ لقد فتحت بكلماتك باباً لخلفاء الجور لجميع هذه الاعتداءآت .

فأنت تقول خامساً : (**وَ إِنَّ لِى شَيْطَانًا يَعْتَرِينى ، فَإِذَا أَتَانِى**

فَاجْتَنبُونِى) .

ليتـك لم تتفـوّه بهـذا الكـلام ! إنّ الإمـام الـذى يعـترف بنفسـه بوجـود شيطان يتسلّط عليه هو إمام الشياطين لا إمام الـمؤمنين !

انّ امام المؤمنين هو الـذى أفـنى الشـيطان و أهلكـه : **اعزُبِـى عَنـىّ يَـا دُنيَا ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاَثًا !** و هو الـذى يقـدّم نفسـه فى قاطعيّـة كـالجبل الراسـخ فيقول : يا أفراد البشر ، تعالوا الىّ فأنا ولىّ اللَـه ، أنـا مـن عباداللَـه المخلَصـين ، أنا الذى نزلت ءاية التطهير فينا ، أنا صاحب مقـام العصمـة ، أنـا صـاحب مقـام (سلونى قبل أن تفقدونى) ، أنا باب مدينـة العلـم ، و أنـا حـامل عـبء الرسـالة و قاضى ديْـن رسـول اللَـه ، أنـا صـاحب السـيطرة علـى ملكـوت و حقـائق الأشياء .

ثم يعطى ءالاف النماذج الواضحـة البيّنـة : أنـا نفـس رسـول اللَـه ، أنـا ولىّ كلّ مؤمن و مؤمنة ، أنا الوصىّ و الوزير و الوارث لأسرار النبوّة .

هذا هو مقام الإمام ، ذلك الذى لا يتحسّـر عنـد المـوت فيقـول : الويـل لى ! وددتُ انّى لم أفعل الثلاث التى فعلتُها !

تأسّف أبى بكر عند موته على تسعة أمور:

يقول المسعودى : **وَ لَمَّا احتَضَرَ أَبُوبَكْرٍ قالَ : مَا ءاسَى عَلَى شَىء إلَّـا عَلَى ثَلاَث فَعَلْتُهَا ، وَدَدْتُ أَنىّ تَرَكْتُهَا ،وَ ثَلاَث تَرَكْتُهَا وَدَدْتُ أَنِّى فَعَلْتُهَا ، وَ ثَلاَث أَنِّى سَأَلْتُ رَسُولَ اللَهِ صلّى اللَـه عليـه [و ءالـه] و سـلّم عَنْـهَا ، فَأَمَّا الثَّلاَثُ الَّتِى فَعَلْتُهَا وَ وَدَدْتُ أَنِّى تَرَكْتُهَا ، فَوَدَدْتُ أَنىّ لَمْ أَكُنْ فَتَّشْـتُ بَيْتَ فَاطِمَةَ ، وَ ذَكَرَ فِى ذَلِكَ كَلاَمَاً كَثِيرًا** [1].

١ـ (مروج الذهب)، ج ٢،ص ٣٠٨ ؛ و أورده (تاريخ الطبرى) ، ج ٢ ، ص ٢١٩ بـهذا اللفظ: فوددتُ أنّى لم أكشف بيتَ فاطمة عن شىءٍ و إن كانوا قد غلّقوة على الـحرب ... الـخ .

و قد أورد هذه الرواية علاوة على المسعودى ، الطبرى فى تأريخه ، و ابن قتيبة فى (الإمامة و السياسة) ، و ابن عبد ربّه فى (العقد الفريد) [١].

و قد أرودها العلّامة الأمينى فى (الغدير) إضافة الى هذه المصادر ، عن أبى عبيد فى كتاب (الأموال) ، ص ١٣ ، و يقول : الاسناد صحيح ، رجاله كلّهم ثقات ، أربعةٌ منهم من رجال الصحاح الستّ [٢].

و من الأمور التى كان أبوبكر يتأسّف منها ، قتله الفجأة السُّلَمى حرقاً بالنار ، و بيان ذلك كما ورد فى (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير الجزرى انّ الفجأة السُّلَمى ، و اسمه إياس بن عبد ياليل جاء الى أبى بكر فقال له : أعنِّى بالسلاح أقاتلُ به أهل الردّة .

فأعطاه سلاحاً و أمرّه إمرةً ، فخالف الى المسلمين و خرج حتى نزل بالجواء ... فبلغ ذلك أبابكر فأرسل الى طُرَيْفة بن حاجز فأمره أن يجمع له و يسير إليه ، فأُسر و بُعث به الى أبى بكر ، فلمّا قدم أمر أبوبكر أن توقد له نار فى مصلّى المدينة ، ثمّ رُمى فيها مقموطاً . و كان أبوبكر يقول عند موته : .... و ودتُ أنّى لم أكن حرقت الفجاة السلمى ، و أنّى كنتُ قتلته سريحاً ، أو خلّيته نجيحاً ....

و قد أورد خطبة أبى بكر بعض المعاصرين من العامّة ، مثل فريد وجدى فى (دائرة المعارف) ، و أحمد أمين المصرى فى كتبه ، و عدّوها أساساً لحريّته ، و حاولوا اظهار حكومة أبى بكر على انّها حكومة ديمقراطيّة تدعو الى الحريّة .

و لقد أثبتنا فى بحوثٍ ماضية ، و سنُثبت فى بحوث مفصّلة قادمة إن

١ـ (الإمامة و السياسة) ، ج ١ ، ص ١٨ ، و (العقد الفريد) ، ج ٢ ، ص٢٥٤ .

٢ـ (الغدير) ، ج ٧ ، ص ١٧٠ و ١٧١ .

شاء اللَه تعالى ، أنّ اسلوب الحكومة الاسلاميّة قائم على أساس الحقّ لا على ءاراء ءاحاد الناس أو مجموعهم ، و لا على أساس الأكثريّة و الأقليّة ، فالنصوص القرءانيّة الصريحة و السنّة الصحيحة لرسول اللَه ، و السيرة المتّبعة للأئمة الطاهرين عليهم السلام ، و نهج الصحابة ذوى البصيرة و التابعين ذوى الدراية ، تؤكّد كلها انّ مناط التبعيّة يجب أن يكون للواقعيّة و الحقّ ، سواءً كان موافقاً لأراء الأكثريّة أم لا ، و على تجنّب اتّباع الأراء التى تخالف الحقيقة و الواقع ، سواءً كان العالم كله يتبنّاها أم لا . و هذا أكبر موضع للإختلاف بين الشيعة و السنّة ، و جميع مسائل الاختلاف تدور على هذا المحور و ترجع الى هذا الأساس .

فالشيعة ينادون منذ صدر الاسلام الى الأن و يحتجّون و يأتون بالأدلّة على وجوب اتّباع الحقّ لا ءاراء الناس ، و انّ الإمامة بالتعيين و النصّ لا بالانتخاب ، و على الناس ان يتبعوا الحقّ ، و ان الإمام بالحقّ يجب أن يُعين من قبل اللَه تعالى ، تماماً كما انّ رسول اللَه يجب أن يأتى من قبل اللَه ، وكما انّ الناس لا يمتلكون الحقّ فى انتخاب النبيّ .

و الشيعة يُثبتون انّ الرسالة و الإمامة ليس بينهما تفاوت من جهة الحكومة و الولاية على الناس ، أشبه بشجرتين تنموان من أصل واحد ، أو بطفلين يرضعان من ثدى واحد .

امّا العامّة فيقولون انّ الإمامة حكومة ظاهريّة ، و انّ اتّباع الشخص الجاهل المخطىء أمرٌ لا إشكال فيه . و بالطبع فإنّ أبابكر ـ وفقاً لهذا المنطق ـ يجب أن يُعدّ رمزاً للحريّة ، كما انّ المتظاهرين بالتجديد من أهل السنّة يميليون الى هذا الرأى .

و بالطبع فانّ هناك اليوم مفهوماً واسعاً و رائجاً عن الحريّة لا يتنافى أبداً مع المؤامرات الليليّة و عدم إطلاع بنى هاشم و الكثير من المهاجرين

والأنصار للبيعة ، و مع كسر ضلع الزهراء عليها السلام بنت رسول اللَه ، ومع صرف النظر عن إقامة الحدّ على خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويرة ذلك المؤمن الملتزم لا فْتتانه بجمال زوجته ، ثم بنى بها فى نفس الليلة !! و كثير من المخالفات الواضحة الاخرى التى لا يعتبرها مناصرو المدرسة الغربيّة مخالفةً للحريّة ، فيعدّون الغاية تبرّر الوسيلة .

غير انّ الشيعة تقطع أساس هذا المنطق و ذيله ، و تهدم هذا البنيان ، و تُثبت ضعف هذا التفكير و وهنه بالبراهين العقليّة و الفلسفيّة ، ناهيك عن الأدلّة النقليّة .

و كما رأينا أخيراً فى رواية أبى أيّوب الأنصارى انّ رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله قال لعمّار: **فَإن سَلَکَ النَّاسُ کُلُّهُمْو اَديًا وَ سَلَکَ عَلِیٌّو اَديًا ، فَاسْلُک وَادیَ عَلِیٍّ علیه السَّلامُ وَ خَلِّ عَنِ النَّاسِ .**

وما أروع ما يُبرهن رسول اللَه على هذه العبارات بهذه الجملة فيقول :

إنَّ عَلِيّاً لاَ يَرُدُّکَ عَن هُدَیً وَ لاَ يَدُلُّکَ إلَى رَدَیً .

اى انه يجب اتّباع علىّ لأنّه متحقّق بالحقّ ، و لو خالفه العالم أجمع [1].

هذا هو منطق الشيعة ، الذى هو منطق الإسلام !

١ـ و قد نُقلت هذه الرواية فى هذا الكتاب فى المجلس الثانى عشر ضمن الروايات الدالّة على أفضليّته أميرالمؤمنين ، عن (غاية المرام) ، عن الموفّق بن أحمد الخوارزمى .

الدرس الرابع عشر

لزوم اتباع الأعلم

بسم اللَه الرحمن الرحيم

و صلى اللَه على محمد و ءاله الطاهرين

و لعنة اللَه على أعدآئهم أجمعين من الآن إلي قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة إلاّ باللَه العلىّ العظيم

قال اللَه الحكيم فى كتابه الكريم :

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [1].

بقاء منصب الإمامة فى ذريّة إبراهيم عليه السلام الى يوم القيامة :

يمكن الاستفادة من هذه الأية المباركة أنّ منصب الإمامة و هداية الناس هو فى ذريّة ابراهيم عليه السلام نسلاً بعد نسل الى يوم القيامة .

و بيان ذلك انّ لفظ (بَرآء) مصدر من الفعل **برىء يَبْرَءُ** وصفته بَرِىء ، و (**إنّنى براء**) إمّا على تقدير محذوف تقديره (**إنّنى ذو براء**) أو على سبيل التأكيد و المبالغة مثل (زيدٌ عدلٌ) ؛ و ضمير الفاعل فى (جعلها) يعود الى اللَه سبحانه ، و ضمير المفعول امّا أن يعود الالبراءة التى تكلّم عنها ابراهيم عليه السلام، أو يعود الى الهداية التى تستنتج و تتّخذ من كلمة (سيهدين) .

امّا اذا قلنا انّه يرجع الى لفظ البراءة ، فانّ مفاده هو كلمة التوحيد ، أى كلمة : **لا إلَه الّا اللَه** ؛ و ذلك لأنّ (**إِنَّنِى بَرَآءُ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى**)

١ـ الأية ٢٦ ـ ٢٨ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

هو نفس مفاد كلمة التوحيد (**لاَ إلَه إلاَّ اللَهُ**) ، و لها معنى واحد هو مرجع ضمير المفعول فى (**وَ جَعَلَهَا**) .

معني كلمة لا إلَه الاّ اللَه:

فبناءً على قواعد العربيّة ، فانّ إعراب المستثنى فى الكلام المنفى فى الاستثناء المتّصل سيكون اعراب المستثنى منه و بدله ، و فى كلمة (**لاَ إلَهَ إلاَّ اللَهُ**) فانّ لفظ الجلالة مرفوع بعنوان بدل من (إله) المرفوعة محلّاً ، بملاحظة أنّ الإبدال لن يكون فى أكثر من جملة واحدة ، فيكون المعنى هكذا (**لاَ إلَهَ إلاّ اللَهُ مَوجُودٌ**) .

و لو كانت هذه الجملة تتضمّن النفى و الإثبات ، فالواجب ان يكون لفظ الجلالة منصوباً ، و فى هذه الحال فانّ هناك جملتين كلاهما يتضمّن معنىً مستقلّاً .

الاوّل الجملة المنفيّة : (**لاَ إلَهَ مَوْجُودٌ**) ، و الثانى الجملة المُثبتة : (**أسْتَثنِى اللَهَ أو اللَهُ مَوْجَودٌ**) ، و الأمر ليس كذلك بالطبع .

و عليه فانّ ما ورد على لسان أهل الدعاء و الأوراد من أن كلمة (**لاَ إله إلاَّ اللَهُ**) وِرد نفى و اثبات المركّب ، هو أمرٌ خالٍ من التحقيق ، فهو فقط ذكر النفى دونَ سواه .

و امّا اذا كان مرجعه الى لفظ الهداية ، فمن المعلوم انّ الهداية الالهيّة أولاً و بالذات مختصّة بالذات المقدّسة لربّ العالمين ، ثم تسرى من الذات المقدّسة الى غيرها . فالهداية الالهيّة التامّة إذن مختصّة باللَه تعالى ، و مادونها للموجودات و المخلوقات .

و لأنّ ابراهيم يُشير بكلمة (**سَيَهْدِينِ**) الى الهداية المطلقة ، فانّها قابلة للإنطباق على أتمّ مراتب الهداية ، و هى حظّ هداية الإمام و من لوازم الولاية الكليّة .

و ذلك لأنّه قد ذكر فى تفسير قوله تعالى (**إِنِّى جَاعِلُک َ لَلنَّاسِ إمَامًـا**) [1] حيث الخطاب موّجه لابراهيـم عليـه السـلام : انّ وظيفـة الإمـام هدايـة أفـراد البشر من باطن و ملكوت أعمالهم الى اللَـه عزّوجـل الـذى أرشـدهم و جعلـهم فى درجات القرب و فى دركـات البُعـد كلّـاً حسـب منزلتـه ، و سـوف يجعلـهم يُقيمون هنـاك و يُسـكنهم فى مـا تقتضـى أعمـالهم و أفعـالهم ، و سـيجذبهم الى ذلك المنزل . فتكون هدايـة اللَـه البـارى تعـالى شـأنُه ذاتيّـة ، و هدايـة الإمـام بالتّبع و بالعرض .

امّا اذا كان مرجع الضمير الى (البراءة) ، فانّ معناه انّنا قـد جعلنـا حقيقـة التوحيد ، اى الولاية ثابتة و باقيـة الى الأبـد فى ذريّـة ابراهيـم لعلّـهم يرجعـون الى الحقّ و التوحيد . فيُستفاد أوّلاً انّ هـذه الحقيقـة سـتبقى ثابتـة الى الأبـد فى ذريّة ابراهيم ، و أنّ ذريّته ـ إجمـالاً ـ يـمتلكون مثـل هـذا المنصـب و المقـام ، و انّ الإمامة لن تزال أبداً و فى أى زمن عن ذريّة ابراهيم .

و ثانياً : انّ كلمة التوحيد و الولايـة هـذه فى خصـوص ذريّـةٍ تدعـو الى الحقّ ، و بقيّة الذريّة تُدعى الى الحقّ ، فيكون المراد مـن (**فِـى عَقِبِـهِ**) الذريّـة باعتبار الإمامة و القيادة ، و الضمير فى (**يَرْجِعُونَ**) عـائداً الى الذريّـة باعتبـار الإهتداء و الإنقياد .

و مع ذلك فانّ لكلّ فئة سيرٌ خاصّ و حركة خاصّـة بهـا ، فالفئـة الاولى لها الإمامة و الثانية الائتمام .

و يظهر من هذا البيان : أوّلاً : استجابة دعاء ابراهيم فى دعـائه الـى اللَه : **رَبَّـنَا وَ اجْـعَـلْنَا مُـسْلِمِيْنَ لَکَ وَ مِنْ ذ رِيَّتِنَـآ أُمَّـةً مُـسْلِمَةً لَّـکَ** [2].

١ـ الأية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ الأية ١٢٨ ، من السورة ٢ : البقرة .

و ثانياً : يتّضح سرّ قول اللَه عزّوجل : **لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّـالِمِينَ** [١]، بعد سؤال ابراهيم : وَ مِن ذُرِّيَّتِى ، فى انّ الفئة التى تصل الى الإمامة هى التى لم تظلم نفسها و لا غيرها .

و ثالثاً : انّها تبرهن معنى سلسلة من الروايات الواردة فى تفسير هذه الأية المباركة ، و التى فسّرت الكلمة الباقية بالإمامة ، و التى صرّح بعضها بانطباقها على ذريّة الحسين بن علىّ سيد الشهداء عليه السلام .

و قد روى فى (مجمع البيان) عن الإمام الصادق عليه السلام انّ المقصود بالكلمة الباقية الإمامة الى يوم القيامة .

و اذا ما كان مرجع الضمير عائداً الى (الهداية) ، فمن المعلوم أنّ الهداية الالهيّة هى مقام الولاية و الإمامة التى يرجع الناس بوسيلتها من الشرك الى التوحيد ، و من غير اللَه الى اللَه . و عموماً ، و على كلّ حال ، و سواءً أكان الضمير عائداً الى كلمة البراءة و التوحيد ، أو عائداً الى الإمامة و الهداية ، فانّ الأية المباركة سيكون لها دلالة على بقاء منصب الإمامة فى ذريّة ابراهيم .

و هذا المقام بالطبع معلول لمقام التوحيد و الولاية ، و مقام التوحيد و الولاية يستلزم اندكاك الصفات البشريّة فى الصفات الالهيّة ، و من جملتها صفة القدرة و العلم .

الإمام يجب أن يكون أعلم من جميع الأمّة:

و على ذلك فإنّ الإمام يجب ان يكون صاحب مقام العلم الجامع الشامل فى درجةٍ لم تصلها أمّته و لا أتباعه ، و تلك الدرجة من العلم المنزّه الخالص من الشوائب و الأكدار ، و تلك المرتبة من المعرفة الواسعة المطلقة

١ـ الأية ١٢٤ ، من السورة ٢ : البقرة .

ستستتبع وجوب انقياد الأخرين و تبعيّتهم . و على هـذا الأسـاس فـانّ ابراهيـم يخاطب وليّه ءاذر فيقول :

يَاَأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطًـا سَوِيّاً [1].

لقد جاءنى يا أبى من قبل اللَه مـن العلـم مـا لم يـأتك ، لـذا فقـد وجـب عليك أن تتّبعنى لأهديك ، و قد عدّ فى هذه الأية ـ كما هـو مُلاحـظ ـ وجـوب تبعيّة ءازر لأفكاره و ءاراءه منوطاً و منحصراً فقـط بعلمـه هـو و بفقـدان ذلـك العلم من قبل ءازر .

لـذا فـانّ لـزوم تبعيّـة الجـاهل للعـالم مـن القضايـا الـتى لا تحتـاج الى برهان ، بل من القضايا التى قياساتها معها .

لزوم تبعيّة الجاهل للعالم فى المراحل الثـلاث : الفطريّـة و العقليّـة و الشرعيّة :

و على أساس هذا الأصل المسلّم و هـذه القـاعدة الكليّـة ، فـانّ ابراهيـم قد نفّذ حكمه و أوصل مقـام الإبـلاغ الى ءازر دون ذكـر لهـذه القـاعدة ، و لـذا فقد أثبت العلماء الأعـلام فى أصـول الفقـه انّ لـزوم تبعيّـة الجـاهل للعـالم هـو حكمٌ عقليّ قبل ان يكون حكماً شرعيّاً ، و هـو حكـم فطـريّ و وجـدانيّ قبـل أن يكون حكمـاً عقليّـاً ، و انّ هـذا الحكـم يتجلّـى و يظـهر فى ثـلاث مراحـل هى الوجدان و العقل و الشرع ، و اسـتناداً لهـذه القـاعدة الكليّـة فقـد اسـتفادوا لزوم اتّباع ءاراء الأعلـم ، و اعتـبروا انّ سـعادة المجتمـع منوطـة بحكومـة ءاراء الأعلم فى ذلك المجتمع .

و ذلك لأن العلم بـمنـزلة النـور و الـحياة ، و بـمثابة الـروح و النفـس ،

١ـ الأية ٤٣ ، من السورة ١٩ : مريم .

و كلّما زاد النور و الحياة فى المجتمع ، و قويت الروح و النفس فيه ، فانّه سيصبح أكثر حياةً و تأثيراً و رقيّاً ، كما انّه كلّما كانت الحياة و الروح و النفس أقوى فى بدن الإنسان كلمّا كان ذلك الإنسان أقرب الى العافية و طول العمر و التمتّع بالمواهب الالهيّة ، و كلمّا كانت الحياة أضعف و الروح أشدّ ذبولاً فانّ الأدمى سيقترب من المرض و الهلاك و فقدان المواهب الالهيّة و سيكون له نصيب أقل من المواهب الإنسانيّة .

و يُستفاد من هذه الأية المباركة فى باب الإجتهاد و التقليد و استنتاج لزوم اتّباع أفراد الأمّة للعالم بالشريعة الالهيّة ، بل لزوم اتّباع أفراد الأمّة لأعلم زمانه ، و لو لنّ هذا الحقير لم يُشاهد حتّى الأن أحداً من العلماء الأعلام و كتبهم المدوّنة قد تمسّك بهذه الأية الكريمة .

روى فى كتاب (غاية المرام) عن الشيخ الطوسى فى (الأمالى) ، بسلسلة سنده المتّصل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه علىّ بن الحسين عليهم السلام قال : لمّا أجمع الحسن بن على عليه السلام على صلح معاوية ، خرج حتّى لقيه ، فلمّا اجتمعا قام معاوية خطيباً ... الى أن يقول : فقام الحسن عليه السلام فخطب فقال : **أَلْحَمدُ لِلهِ الْمُستَحْمد بالآلاء وَ تَتَابُعِ النَّعْمَاءِ** ... الى ءاخر خطبته الجامعة الطويلة التى تحوى الكثير من المطالب الدقيقة و العميقة ، و تظهر شرف أهل بيت رسول اللَه ، و من جملة ذلك الاستشهاد بئاية التطهير و ءايات و مطالب تاريخيّة أخرى .

عاقبة أمر كلّ أمّة تولّى أمرها رجلاً و فيهم أعلم منه سيؤول الى السَفال و الفساد :

و من جملتها قوله فى خطبته : قال رسول اللَه [صلّى اللَه عليه و ءاله] : **مَا وَلَّتْ أُمَّةٌ أَمْرَهَا رَجُلاً قَطُّ وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ**

يَذْهَبُ سَفَالاً حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى مَا تَرَكُوا [1].

كما ذكر فى (غاية المرام) أيضاً مختصر هذه الخطبة بسند ءاخر عن الشيخ فى (الأمالى) ؛ و روى عين هذه الجملة عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله حول لزوم قيادة أعلم الأمّة [2].

كما روى المرحوم ابن إدريس فى باب (مستطرفات السرائر) عن رواية أبى القاسم بن قولويه ، عن الصادق عليه السلام مرفوعاً عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله قال :

قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله : **مَنْ أَمَّ قَوْمَاً وَ فِيهِمْ مَن هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ أَوْ أَفْقَهُ مِنْهُ ، لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ فِى سَفَالٍ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ ، وَ مَنْ دَعَى إِلَى إِضلاَلَ لَمْ يَزل فِى سَخَطِ اللَهِ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْهُ ، وَ مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** [3].

و الخلاصة فانّ للعلماء استدلالات فى لزوم إمامة أعلم الأمّة ، لأنّه ـ و كما أُشير سابقاً ـ فانّ مسألة الإمامة و القيادة مسألة حياتية ، فالإمام و القائد روح المجتمع و إرادته ، و كلمّا كانت إرادة الإمام و القائد أنزه و أصحّ و أنفع لرشد الأمّة و رقىّ المجتمع ، كلمّا كان المجتمع أنزه و أقوم و أرقى بنفس ذلك القدر .

انّ جميع أفراد المجتمع بمنزلة أعضاء الجسد الواحد ، و كما انّ النفس الواحدة تُدير جسداً واحداً و تحرّكه باتّجاه الصلاح أو الفساد ، فكذلك الامام القائد ، فانّه يُدير المجتمع و يسوقهم باتّجاه الكمال و السعادة

١ـ (غاية المرام) ، الطبعة الحجريّة ، ص ٢٩٨ ، تحت عنوان : الحديث٣٦ .

٢ـ (غاية المرام) ، ص ٢٩٩ ، تحت عنوان : الحديث ٢٧ .

٣ـ (مستطرفات السرائر) ، ص ٢١ .

أو فى مسير الشقاء و النقصان .

أميرالمؤمنين عليه السلام كان أعلم الأمّة:

انّ الروايات التى وردت عن رسول اللَه فى علم و أعلميّة أميرالمؤمنين عليه السلام تفوق الحصر و العدد ، و قد ألّف علماء الخاصّة و العامّة كتباً فى هذا الأمر و ملأوا أسفارهم عن أعلميّته و أفقهيّته عليه السلام و تفوّقه فى القضاء ، بحيث يمكن اعتبار هذه المسألة من مسلّمات الإسلام .

و تبيّن هذه الروايات هذا الأمر بمضامين مختلفة ، و نذكر هنا رواية أو روايتين كنموذج من كلّ سلسلة منها حفظاً للاختصار .

امّا عن الروايات التى تشير إجمالاً الى غزارة و سعة علمه ، فيروى ابن بابويه بسنده المتّصل عن الامام الباقر عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : لمّا نزلت هذه الأية على رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله **(وَ كُلَّ شَىءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِى إمَامٍ مُبِين)** قام أبوبكر و عمر من مجلسهما فقالا : يا رسول اللَه هو التوراة ؟

قال : لا .

قالا : هو الإنجيل ؟ قال : لا .

قالا : فهو القرءان ؟ قال : لا ، فأقبل على أميرالمؤمنين عليه السلام .

فقال رسول اللَه : هَوَ هَذَا إنَّهُ الإمَامُ الَّذِى أَحْصَى اللَهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى فِيهِ عِلْمَ كلِّ شَىءٍ [1].

و امّا الروايات التى تدلّ على انّ رسول اللَه قد فتح لعليّ ألف باب من العلم يفتح له من كلّ باب ألف باب ، فيقول السيد هاشم البحرانى : لأبى

١ـ (غاية المرام) ، ص ٥١٦ ، الحديث ١٨ .

حامد الغزالى ـ و هو من أعيان علماء العامّة ـ عبـارات فى كتـاب (بيـان العلـم اللدنى فى وصف مولانا علىّ بن أبى طالب) نصّها :

قَالَ أَمِيرُالـمُؤمِنينَ عَلِيٌّ عليهِ السَّلامُ : (إنَّ رَسُولَ اللَهِ صلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم أَدْخَلَ لِسَانَهُ فِى فَمِى ، فَانفَتَحَ فِى قَلبِى أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ مَعَ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ ؛ و قال صلوات اللَهعليهو ءاله:لَو ثُنِيَتْ لِى وِ سَادَةٌ وَ جَلَسْتُ عَلَيْهَا ، لَحَكَمْت لِأَهْلِ التَّورَاةِ بِتَورَاتِهِمْ ، وَ لِأَهْلِ الإنْجِيلِ بِإنْجِيلِهِمْ ، وَ لِأَهْلِ الْقُرءانِ بِقُرءانِهِمْ) وَ هَذِهِ الْمَرتَبَةُ لاَ تُنَالُ بِمُجَرَّدِ التَّعَلُّمِ ، بَل يُتَمَكَّنُ فِى هَذِهِ الرّتبَة بِقُوَّةِ العِلْم [1].

و امّا الروايات الدالّة على انّ رسول اللَه قال : أنـا مدينـة العلـم و علـىٌّ بابها ، فقد روى فى (غاية المـرام) ، عـن كتـاب (منـاقب ابـن المغـازلى) بسـنده عن جابر بن عبداللَه الأنصارى قال : أخذ رسول اللَـه صلّـى اللَـه عليـه و ءالـه بيد علىّ عليه السلام و قال : **هَذَا أَمِيرُ الْبَرَرَةِ ، وَ قَاتِلُ الْكَفَرَةِ ، مَنْصُـورٌ مَـنْ نَصرَهُ ، وَ مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ ، ثُمَّ مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ ، فَقَالَ : أَنَـا مَدِينَـةُ الْعِلْـمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأتِ الْبَابَ** [2].

و امّا الروايات التى تدلّ على قوله (**سَلُونِى قَبْـلَ أَن تَفقِدُونِـى**) فقـد قال ابن أبى الحديـد فى شـرح نهـج البلاغـة : أجمـع النـاس كلّـهم علـى أنّـه لم يقل أحدٌ من الصّحابة و لا أحدٌ من العلمـاء **سَـلُونِى قَبْـلَ أَن تَفقِدُونِـى** غـير علىّ بن أبى طالب عليه السّلام [3].

و امّا الروايات التـى تدلّ على انّ أميـرالـمؤمنين كان أقـضى أفـراد الأمّة

١ـ (غاية المرام) ، ص ٥١٧ و ٥١٨ ، الحديث٣ .

٢ـ (غاية المرام) ، ص ٥٢٠ ، الحديث ١ .

٣ـ (غاية المرام) ، ص ٥٢٤ ، الحديث ٧ .

و أحسنهم حُكْماً ، فقد روى فى (غاية المرام) عن الموفّق بن أحمد ، و هو من أعيان علماء العامّة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم **إِنَّ أَقْضَى أُمَّتِى عَلِىُّ بنُ أَبى طَالِبٍ** [١].

و امّا الروايات الدالّة على أنّ أبابكر و عمر كانا يرجعان فى الحكم و العلم الى أميرالمؤمنين عليه السلام ، فيروى فى (غاية المرام) عن مسند أحمد بن حنبل بسلسلة اسناده عن يحيي بن سعيد بن المسيب قال : **كَانَ عُمَرُ يَتَعَوَّذُ بِاللَهِ مِنْ مُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُوالْحَسَنِ عليه السّلام** [٢].

كما يروى عن الموّفق بن أحمد ، بسلسلة الاسناد المتّصلة عن زيد بن علىّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام قال : لمّا كان فى ولاية عُمر ، أُتِى بامرأة حامل ، فسألها عمر فاعترفت بالفجور ، فأمر بها عُمر أن تُرجَم ، فلقيها علىّ بن أبى طالب عليه السلام فقال : ما بال هذه ؟ فقالوا : أمر بها أميرالمؤمنين أن تُرجم ، فردّها علىّ عليه السلام فقال لعمر : أمرتَ بها أن تُرجَم ؟

قال : نعم ، اعترفت عندى بالفجور .

فقال [علىّ] : **هَذَا سُلْطَانُکَ عَلَيْهَا فَمَا سُلْطَانُکَ عَلَى الَّذِى فِى بَطْنِهَا ؛ وَ لَعَلَّکَ انْتَهَرتَهَا وَ أَخْفَتَهَا ؟!**

فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ كَانَ ذَاکَ .

قالَ : أَوَ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَهُ صلّى اللَهُ عليه [و ءاله] و سلّم يقول : لاَ حَدَّ عَلَى مُعْتَرِفٍ بَعْدَ بَلاءٍ إِنَّهُ مَنْ قُيِّدَتْ أَوَ حُبِسَتْ أَوَ تُهدِّدَت فَلاَ إقرَارَ لَهُ ، فَخَلَّا سَبِيلَهَا .

١ـ (غاية المرام) ، ٥٢٨ ، الحديث الاوّل من الباب ٣٩ .

٢ـ (غاية المرام) ، ص ٥٣٠ ، الحديث الأول من الباب ٤١ .

ثُمَّ قَالَ عُمَر : عَجَزَت النِّسَاءُ أَن تَلِدَ مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِـىَ اللَهُ عَنْهُ ، لَولاَ عَلِيٌّ لَهَلَکَ عُمَرُ [1].

كما يروى عن طريق الخاصّـة عـن محمّـد بـن يعقـوب باسـناده المتّصـل عن الإمام الصادق قال : شـرب رجـلٌ الخمـر علـى عـهد أبى بكـر ، فرُفِـع الى أبى بكر فقال له : أشربتَ خمراً ؟

قال : نعم .

قال له : و هى محرّمة ؟!

قال : فقال لـه الرجـل : إنـىّ أسـلمتُ و حَسُـن إسـلامى و مـنزلى بـين ظهرانى يشربون الـخمر و يستحلّونَ ، و لو علمتُ أنّها حرامٌ اجتنبتُها .

فالتفت أبوبكر الى عُمر فقال : ما تقول فى أمر هذا الرجل ؟

فقال عُمر : معضلةٌ و ليس لها الاّ أبوالحسـن . لدعُ لنـا عليّـاً . (ثمّ) قـال عمر : يُؤتى الحكم فى بيته .

١ـ (غاية المرام) ، ص ٥١٣ ، الحديث ٧ ، من الباب ٤١ ، و يقول المرحـوم الشـريف العسكرى فى ص ٢٧ من كتاب (مقام الإمام أميرالمؤمنين عنـد الخلفـاء) : و علـى مـا جـاء فى كتاب (خواص الأئمّة) ، ص ٨٧ ، طبع ايران ، فى قضيّة المرأة الـتى ولـدت لسـتّة أشـهر فـأمر عمر برجمها ، فمنعه أميرالمؤمنين من إقامة الحدّ عليها و بيّن لـه السـبب فقـال عمـر : اللـهم لا تُبقنى لمعضلة ليس لها ابن أبى طالب .

و يروى المولى علىّ المتّقى فى (كنز العمال) الجزء الثالث ، ص ٥٣ نظير تلـك الروايـة بلفظ (اللهم لا تنزل بى شدّة الّا و أبوالحسن إلى جنـبى) و يقـول فى (ذخـائر العقـبى) ص ٨٢ : (اللهمّ لا تنزلنّ بى شديدة الّا و أبوالحسن الى جنبى) كماروى عن يحـيى بـن عقيـل أن عمـر كان يرجع فى القضايا الصعبة الى علىّ بن أبى طالب فيحلّها له ، و كان يقـول : (لا أبقـانى اللَـه بعدك يا علىّ) .

و رُوى عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعتُ عمر يقول لعلّى و قد سأله فأجابه : (أعوذُ باللَه أن أعيشَ فى يومٍ لست فيه يا أبا الحسن) .

قال : فقاما و الرجل معهما و من حضرهما من الناس حتّى أتى أميرالمؤمنين عليه السلام فأخبره بقصّة الرجل ، فقصّ الرجل قصّته .

قال : فقال [عليه السلام] : ابعثوا معه من يدور به على مجالس المهاجرين و الأنصار مَن كان تلا عليه ءاية التحريم فليشهد عليه .

ففعلوا ذلك به فلم يشهد عليه أحد بأنه قرأ عليه ءاية التحريم ، فخلّى عنه و قال له : إن شربتَ بعدها أقمنا عليك الحدّ [١].

و امّا الروايات التى تدلّ على انّ الحقّ مع علىّ يدور معه حيث دار ، فقد روى فى الجزء الثالث من كتاب (الجمع بين الصحاح الستّة) تأليف رزين إمام الحرمين ، فى مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام عن صحيح البخارى قال : عن أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام قال : **سَمَعْتُ رَسُولَ اللَهَ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم يقول : رَحِمَ اللَهُ عَلِيّاً ، اللَهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيثُ دَارَ** [٢].

و من العجيب انّ كثيراً من هذه الروايات رواها أبوبكر و عمر و عثمان و عائشة و عمرو بن العاص و غيرهم من الصحابة عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه و ءاله .

و روى فى كتاب (**مقام أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عند الخلفاء و أولادهم و الصحابة**) [٣] فى فضائل أميرالمؤمنين خمسين حديثاً

١ـ (غاية المرام) ، ص ٥٣٥ ، الحديث الخامس من الباب ٤٢ .

٢ـ غاية المرام) ، ص ٥٣٩ ، الحديث الرابع من الباب ٤٥ .

٣ـ مؤلّفة الميرزا نجم الدين الشريف العسكرى من علماء سامرّاء البارزين و ابن خال أب الحقير مؤلّف هذا الكتاب ، و أبوه المرحوم ءاية اللَه الميرزا محمّد الطهرانى صاحب كتاب (مستدرك البحار) خال أب الحقير ، من علماء سامرّاء الأعلام و من التلامذة المبرّزين لأية اللَه الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازى و ربيبه ، و كان مثالاً للسلف الصالح .

عن رسول اللّه برواية الخلفاء و أولادهم و الصحابة ، نقلاً عن علماء أهل السنّة و محدّثيهم ، و ذكر شواهداً فى ذيل كلّ حديث ، و من جملتها رواية يقول عمر فيها لأعرابىّ : **وَيْحَكَ مَا تَدرى مَن هَذَا ؟ هَذَا مَوْلاَى وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤمِنٍ ، وَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَولاَهُ فَلَيْسَ بِمُؤمِنٍ** [1].

تأسّف ابن عبّاس من منعهم المجىء بالصحيفة لرسول اللّه :

و على كلّ حال ، فقد اهتمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و ءاله على هذا الأساس اهتماماً كبيراً فى تقديم و نصب علىّ بن أبى طالب مكانه ، حتّى انّه كان فى مرضه الذى قبض فيه يوصى الناس باتّباعه عليه السلام ، و وصل به الأمر الى أن طلب فى تلك الساعات الأخيرة من حياته صحيفةً و قلماً ليكتب ما يجب كتابته فى إمامته عليه السلام ، و لكن و مع الأسف و ألف أسف ، فقد منع عمر من تحقّق قصد رسول اللّه و قال : غلب عليه المرض و انّه ليهجر ، حَسبُنا كتاب اللّه ، فأغمض رسول اللّه عينيه عن هذه الدنيا و لا حدَّ لحزنه و غمّه .

يروى ابن سعد فى (الطبقات) بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال : **اشتكى النبىُّ صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم يَوْمَ الخميس ، فَجَعَلَ ـ يعنى ابن عباس ـ يَبكى‌ويقولُ : يَومُ الْخَمِيسِ وَ مَا يَومُ الخميس ! اشْتَدَّ بالنَبىِّ صَلَّى اللّه عليه [و ءاله] وَجَعُهُ فَقَالَ : ائتُونى بِدَوَاةٍ وَ صَحِيفَةٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا .**

قَالَ : فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، إنَّ نَبىَّ اللّهِ لَيَهْجُرُ !

قالَ : فَقِيلَ لَهُ : أَلَا نَأتِيکَ بمَا طَلَبْتَ ؟

قَالَ : أَوَ بَعْدَ مَاذَا ؟ قالَ : فَلَمْ يَدْعُ بِهِ [2].

١ـ (مقام الامام أمير المؤمنين عند الخلفاء) ، ص٢٩ .

٢ـ (طبقات ابن سعد) ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ، طبعة بيروت ، ١٣٧٦ هـ .

و يروى بسند ءاخر عن سعيد بن جبير لنّ ابن عبّاس قال : **يَومُ الخميس وَ مَا يَومُ الخميس ! قال : إشتَدَّ برَسُولِ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم وَجَعُهُ فِى ذَلِكَ الْيَومِ فَقَالَ : ائتُونى بدَوَاة وَ صَحِيفَةٍ أكْتُبُ لَكمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا ، فَتَنَازَعُوا وَ لاَ يَنْبَغِى عِندَ نَبىٍّ تَنَازُعٌ .**

فَقَالوا : مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ ؟ اسْتَفهِمُوهُ ! فَذَهَبُوا يُعِيدُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ : دَعُونى فَالَّذِى أَنَا فِيهِ خَيرٌ مِمَّا تَدْعُونَنى إلَيهِ ... الحديث [١].

منع عمر من الإتيان بصحيفة و دواة لرسول اللَه:

و يروى بسند ءاخر عن جابر بن عبداللَه الأنصارى قال : **لَمَّا كَانَ فِى مَرَضِ رَسُولِ اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم الَّذِى تُوفِّى فِيه ، دَعَا بِصَحِيفَةٍ لَيَكْتُبَ فِيهَا لِأُمَّتِهِ كِتَابًا لاَ يُضِلُّونَ وَ لا يُضَلُّونَ .**

قالَ : فَكَانَ فِى الْبَيتِ لَغطٌ وَ كَلاَمٌ وَ تَكَلَّمَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ . قَالَ فَرَفَضَهُ النَبىُّ .

و يروى بسند ءاخر عن عمر بن الخطّاب قالَ : **كُنَّا عِنْدَ النَّبىِّ وَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ النِّسَاء حِجَابٌ ، فقالَ رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : إغسِلُونى بِسَبْعِ قِرَبٍ، وَأْتُونِى بِصَحِيفَةٍ وَدَ وَاة ،أكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا .**

فقالَ النِّسْوَةُ : ائْتُوا رَسُولَ اللَهِ صلّى اللَه عليه [و ءاله] بحَاجَتِهِ .

قالَ عُمَرُ : فَقُلْتُ : اُسْكُتْنَ فَإنّكُنَّ صَوَاحِبُهُ ، إذَا مَرِضَ عَصَرْتُنَّ أَعيَنَكُنَّ وَ إذَا صَحَّ أَخَذْتُنَّ بعُنُقِهِ !

فقالَ رَسُولُ اللَه صلّى اللَه عليه [و ءاله] و سلّم : هُنَّ خَيرٌ مِنْكُمْ [٢].

١ـ (طبقات ابن سعد) ، ج ٢ ، ص٢٤٢ .

٢ـ (طبقات ابن سعد) ، ج ١ ، ص ٢٤٣ و٢٤٤ .

و يروى بسند ءاخر عن العبّاس **قال : لَمَّا حَضَرَتْ رَسُولَ اللّه صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم الوَفَاةُ ، وَ فِى الْبَيتِ رِجَالٌ فِيهم عُمَرُ بنُ الخطّاب .**

فقالَ رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم : هَلُمَّ أكتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَن تَضِلُّوا بَعْدَهُ !

فَقَالَ عُمَرُ ،إِنَّ رَسُولَ اللّهِ قَد غَلَبَهُ الْوَجَعُ ، وَ عِندَكُمْ القُرءانُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللّهِ ؛ فأختَلَفُ أهلُ الْبَيتِ وَ اختَصَمُوا ، فَمِنهُم مَنْ يَقُولُ : قَرِّبُوا يَكتُب لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم ، وَ مِنْهُم مَن يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ .

فَلَمّا كَثُرَ اللَّغْطُ و الإِخْتِلافُ وَ غَمُّوا رَسُولَ اللّه صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم فَقَالَ : قُومُوا عَنِّى !

فَقال عُبيداللّه بن عبداللّه (بن عبّاس) : فكانَ ابنُ عَبَّاس يقولُ : الرَّزِيَّةُ كُلُّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَينَ رَسُولِ اللّهِ صلّى اللّه عليه [و ءاله] و سلّم وَ بَيْنَ أَن يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلاَفِهِمْ وَ لَغْطِهِمْ [1].

١ـ (طبقات ابن سعد) ، ج ١ ، ص٢٤٤ .